
الطفل العربي

الدكتور محمد ابراهيم الشوش

المال العربي... والخيارات الصعبة



● ماهي القضية الرئيسية التي تواجه الأمة العربية؟

● الخيارات المتاحة كلها احتمالية .. وستؤدي إلى أكثر من طريق

منذ أن تدفق النفط في هذه المنطقة العربية من العالم بالذات ، وارتفع دخانه الأسود في سمائها ، وانتزعت دولها المستقلة - إستكمالا لسيادتها واستقلالها - حقها الشرعي في التحكم في انتاج مواردها الطبيعية ، وتسويقها ، والتصرف المستقل في عائداتها ، وصراخ الناس في الغرب ماقتئ ، وما توقفت أجهزة إعلامه المسموعة والمرئية والمكتوبة يوما واحدا عن الضجيج والهرج ولطم الخدود وشق الجيوب في مواجهة هذه الظاهرة الخطيرة والتي هي في نظرهم كارثة الكوارث ولعنة اللعنات ومظهر من مظاهر افلاس الدنيا ونهاية العالم . وأية كارثة أكبر من أن يتحكم فيهم من كان حتى الأمس القريب تحت إمرتهم ومحور احتقارهم ، وأية مهلكة أعظم من أن يصبح اقتصادهم ورخاؤهم بل ومصير الحضارة كلها في أيدي من لا يفقهون لها شيئا .

وانبثق الحقد الصليبي حمما ترمي العرب بكل تهمة ونقيصة من تخلف وخمول واتكالية وتكاسل وسوء تصرف ، وتتناول دينهم وتقاليدهم بالتحريف والتزييف والباطل ، كأنما مجرد إمتلاك العرب للمال جريمة لا تغتفر ، وكأنما القحط والجدب وركوب البعير والجمال .. لا السيارات أو الدراجات .. قدر محتم على العرب في كل زمان ومكان لا يجب أن يفلتوا منه .

وتدفق الحقد عن حكايات هلامية ترجمت بصيغة مونتاج مستقلة عما يذكرونه من قصص الف ليلة وليلة ومغامرات لورانس في الصحراء وحكايات المخدرات والحريم في الشرق الساحر تتداولها ترجمات في طبعات رخيصة أيدي الجنود الجهلة والمراهقين : حكايات مكررة ممجوجة تتحدث عن المال السائب في موائد القمار والصدور ، والعمولات الخرافية ، وأموال تهدى بلا حساب للخدم والحشم ، وسيارات فارهة يتركها أصحابها للسائقين وهم على سلم الطائرة ، ومواعيد تعطى وتلغى بالمزاج ، والشجار تسلى بالكومبيوتر ، وجسور تبنى بلا أنهار تجري من تحتها ..

حكايات إفك وخرافة تتحول إلى حملة مركزة مكثفة تضع المواطن العربي في قالب كريه تغذيها بصورة مخططة مبرمجة عن طريق الرسم الكاريكاتيري الهازل والكتب المحقرة والمقالات المسمومة والبرامج الاعلامية والفنية ، عقلية صهيونية حاقدة متمرسة في أساليب الخبث والوقيعة والتآمر واللؤم وتركزها وتؤيدها في أذهان السذج والبسطاء في الغرب قلة طائشة لا يؤبه لها لا ترعى في بلاد الاغتراب ليدينها أو لأمنها حرمة ، أعشى الثراء السريع بصرها وبصيرتها وأدار رؤوسها فأصبحت للحملة المغرضة وقودا وقد وجدت الدعاية المغرضة ضد العرب في نفر قليل مما يسمى برجال الأعمال قليهم المنشود - ومالهم في القصاليات بلادهم برغم هيلمانهم الاعلامي في الغرب تأثير قل أو كثر - استخلت فيهم حب الشهرة فراحت ترصد تحركاتهم بين عواصم العالم في نطاق دور محكم الحلقات ..

هذه الأساطير المتداولة أغرت بنا طلاب الشهرة من سفلة الكتاب وصغارهم كلندا بلانفورد والدروندنكل وغيرهم من المغمورين الذين فتحنا لهم أبوابنا وادخلناهم منازلنا وأغدقنا عليهم من كرمنا الذي لا يفرق بين العدو والصديق ، فوجدوا في النيل منا ونهش أعراضنا طريقا مضمونا للشهرة وبابا مفتوحا لدور نشر طامعة ، آمنة في الذي تفعل ، لا تتعرض إلى رد فعل أو عقاب ، ولا يتعرض تعاملها مع الغرب إلى خطر ، حتى أصبح النيل من العرب ومعتقداتهم حقا مشروعا في إطار الممارسات الديمقراطية التي لا تتحقق إلا بشتمنا .

وصدق هذه الأساطير نفر آخر من الانتهازيين والمغامرين وأصحاب الحيل من خبراء الدعاية والاعلان وصحافة الابتزاز وكتاب المسلسلات وأصحاب البرامج الحية والمعلبة ، انشقت عنهم الأرض فجأة ، جاءوا بالآلاف من كل حدب وصوب ، من كل بقاع الأرض جاءوا يحملون الخطط والأفكار والمشاريع ، كلهم يريد أن يلحق بقطار الوليمة ويشترك في مهرجان العرس ، كل هذا حق وواقع معاش ، ولكن هذا العبث المكثف لا يجب أن يحجب عنا أننا نواجه حقا قضية مصيرية يجب أن نحسم حسما علميا موضوعيا سريعا بعيدا عن التزييف والتريد - وهي كيفية الاستفادة من المال العربي في تنمية الثنية والتحديث واستخدامه بوعي وبصيرة سلاحا في معركة التغيير الاجتماعي ...

● القضية الرئيسية

والقضية الرئيسية التي تواجه الأمة العربية هو أن اكتمال سيطرتها على مصدر انتاجها من النفط قد أتاح لها عائدا ماليا كبيرا يتدفق بصورة سريعة ومذهلة ، وهذا العائد لابد من امتصاصه في إطار خطة سليمة وفعالة تأخذ في الاعتبار كل الجوانب الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والانسانية ، وفي إطار التكوين النفسي والديني والإخلاقي للمجتمع ، والتصدي لهذه القضية يمثل واحدا من أكبر التحديات الحضارية التي واجهت الأمة العربية ، وفي أسلوب معالجة هذه القضية والنتائج المترتبة على ذلك يتحدد مصير مستقبل الأمة ، ولهذا كان لزاما أن يتصدى لها في جدية المثقفون والمفكرون والمخططون ، فالمال ليس في حد ذاته نعمة كما يتصور كثير من الناس إلا بقدر ما تمتلكه وتوجهه وتستخدمه ، والخيارات المتاحة كلها صعبة وتؤدي

● في أسلوب معالجة هذه القضية يتحدد مصير مستقبل الأمة

● بعض الطرق وعن وسائل ذلك - وبعضها يؤدي إلى أنفاق مظلمة

- كثرة المال نعمة قد تتحول إلى نقمة إذا أنفق بغير ذوق وبغير حساب
- أي خيار مهما تهيأت له من أسباب الحرية لا يمكن أن يؤخذ في إطار محلي
- الجيل الحالي عليه مسئولية تاريخية عاجلة بقدر ما هي جد خطيرة

العالم العربي والخيارات الصعبة

إلى أكثر من طريق : بعضها وعر شائك ، وبعضها مسدود ، وبعضها يؤدي إلى أنفاق مظلمة تجوس فيها الحيوانات المفترسة والثعابين وتسكنها الأشباح المخيفة . والطريق حتى إلى الخير ليس معبداً بالمال للذين يبصرون حقيقة المال أكثر إيماءً للأقدام من الشوك وكثرة المال نعمة قد تتحول إلى نقمة وليس أكثر نقمة في الدنيا والآخرة من صرف المال بغير ذوق وبغير حساب .

ومن مظاهر صعوبة الخيارات المتاحة ، أصبح الإنتاج سلعة تتحكم بصورة عنيفة وصارمة جداً في اقتصاديات العالم المتقدم كله ، وعلى افتراض توافره الدائم المتصل والرخيص فلم البناء التكنولوجي الذي يعيش في كنفه العالم بأجمعه ، وعليه فإن أي خيار مهما تهيأت له من أسباب الحرية والاستقلال لا يمكن أن يؤخذ في إطار محلي بمعزل عن الاعتبارات العالمية والكونية ، فمسؤولية القرار والاختيار بقدر ما هي مسؤولية وطنية وقومية هي أيضاً مسؤولية إنسانية شاملة . وفي إطار هذه المسؤولية العالمية والعملية ، وفي نطاق الوضع الاقتصادي العالمي الذي يؤثر فينا انهياره واضمحلاله بقدر ما يؤثر في الآخرين ـ ناميين ومتقدمين ـ يصبح اتخاذ خيار قد يبدو لأصحاب الشعارات والمزايدات سهلاً ميسوراً مثل إبقاء مصادرنا في جوف الأرض استعداداً للمستقبل حين تكون أعلى وأثمن ، ونكون نحن أقدر على امتصاص عائدها تقنياً وتدريجياً ، مثل هذا الخيار يصبح في إطار الوضع العالمي المتشابك ، تحوطه اعتبارات كثيرة ومعقدة لابد من موازنتها بميزان دقيق يأخذ في الاعتبار المصلحة الوطنية العليا ، ومسؤولية مماثلة من الدول المستهلكة أيضاً ، وألا تحول موقفنا المسؤول إلى نكأة لاستغلال الدول والشركات المتخمة .

وتتجلى صعوبة الخيارات المتاحة في أن عوائد النفط هي عوائد مستمدة من جراء تصدير مورد طبيعي ناضب وعليه فإن أي خيار يلزم أن يأخذ في الاعتبار مصلحة الأجيال اللاحقة .. وأن يتخذ في إطار زمني محدد لا يقبل التأجيل ولا يمنح فرصة للتفكير المتأني . وهذا يلقي على الجيل الحالي مسؤولية تاريخية هي عاجلة بقدر ما هي جد خطيرة .

ومن الخيارات المعقدة التي تبدو للوهلة الأولى سهلة المنال لا تكلف عنتاً بل تكفينا مؤونة التفكير والنضال ، امتصاص عوائد النفط في قروض وودائع مصرفية مضمونة الفائدة في بلاد متقدمة مستقرة البنيان والأحوال ، كافة تصرف هذه العوائد بعيداً عن إحداث شرخ في التكوين الاجتماعي إذا ما تركنا لها أن تتدفق في الداخل بلا تدبير وبلا حساب ، وفي نفس الوقت تضمن للأجيال اللاحقة فوائد مالية . لكن الأرصدة النقدية المتراكمة في الخارج تتعرض وستظل تتعرض لمخاطر سياسية ومالية وتلاعب عالمي بالأرصدة والعملات تمارسه أيد خبيرة بأصول اللعبة ، وما حكاية الارتفاع والانخفاض في أسعار الذهب والفضة ببعيدة عنا . مع الاحتمال الوارد أبداً أن ترتد هذه الأموال المودعة سلاحاً بأيدي الأعداء في صدورنا وخاصة وهم لأصحاب الأسهم من هذه البنوك بطولة وعصبية .

والخيار الصعب الآخر أن نخوض في بورصة الأسواق المالية والاستثمار الدولي مع الخائضين . ولكن الاستثمار الحقيقي نحن هناك نضيع في قاعة الأسماك المفترسة ، ولسنا بأصول السباحة عارفين . فإما أن نترك النقود في يد خبراء مستشارين أجانب ونخوض تجربة لم تكتمل لنا عدتها ، أو نتبع نهجنا التقليدي الاستثماري الذي تعودنا عليه ، فنصول في بلاد الغرب نشتري العقار والأراضي والفنادق والمباني الأثرية تخليداً لتراث غير تراثنا ، فلا يجلب لنا ذلك غير السخرية والهزء من الآخرين ، ونصبح مثلاً حياً للقروي الثالث في أسواق المدينة وجيوبه ملأى بالنقود ، فلا يجد غرابة أن يشتري الترام عندما يعرضه عليه محتال المدينة .

ويبقى الخيار الأهم وهو الذي تمليه دواعي المسؤولية الوطنية والقومية للجيل الحالي والأجيال اللاحقة ، وهو العمل على استثمار جزء كبير من هذه العوائد داخلياً في أصول منتجة تتمثل في إنشاء مشروعات صناعية تقوم بدور رائد في إيجاد هيكل اقتصادي سليم كامل يتحقق تنمية اقتصادية حقيقية باقية ، وتؤدي في الوقت ذاته إلى امتصاص منتج لعوائد النفط بعيداً عن مزالق ومخاطر التلاعب المالي الدولي ، والتقليل من الاعتماد الكلي على تصدير النفط الخام وتوفير مصادر بديلة للدخل القومي والعمالة في المستقبل .

ومع وضوح مميزات هذا الخيار كحل اقتصادي أمثل إلا أنه يمثل أكثر الخيارات تعقيداً وصعوبة في الممارسة والتطبيق ، ويستلزم الشروع في تطبيقه الكثير من الحذر والدراسة

● من الخيارات الصعبة أن نخوض في بورصة الأسواق والاستثمار الدولي
● الخيار الأهم هو العمل على استثمار جزء كبير من العوائد داخليا
● الطفرة إذا لم تحسب حسابها بميزان دقيق .. تؤدي إلى تفكك المجتمع

والتفكير والتخطيط الدقيق ، لأنه إذا كانت نتائج فشل الخيارات الأخرى تنحصر في الخسائر المادية والمالية ، فإن فشل هذا الخيار ، أو الممارسة العشوائية له دون تخطيط مسبق ، يأخذ في الاعتبار العوامل الدينية والنفسية والاخلاقية والاقتصادية والسياسية ، سيؤدي حتما الى إحداث شرخ في العلاقات الاجتماعية في المجتمع وفي تكوينه ومبناه بصورة قد تقتلعه من جذوره . فالطفرة - والتصنيع الحديث من أكبر الطفرات - إذا لم يحسب حسابها بميزان دقيق لا تؤدي الى التقدم بقدر ما تؤدي إلى تفكك المجتمع وتحلله . ولسنا ندعو بذلك الى أن يكون السير وئيدا او يتوقف دولاب الحياة ، فذلك مستحيل إذا خضناه في مضمار الحياة المعاصرة ... ولكن الدعوة إنما هي للتفكير والتدبير والتخطيط قبل الشروع في طريق التحديث والتغيير والتصنيع ، ولا يكون ذلك بالتشنج والتحيز الخطابي المدفوع الثمن بحث الشباب على مكارم الأخلاق والبعد عن رذائل المدنية المعاصرة ، ولكن بالتخطيط المبنى على الدراسة العلمية والفهم العميق لأوضاع المجتمع ومشاعره الدينية ومكوناته ومعتقداته وتقاليده الراسخة والاخلاقية وقيمه الروحية وامكاناته المادية وممارساته اليومية وطبائعه ، مع إدراك وفهم علمي واقعي موضوعي لهذا الوافد الحضاري الجديد ، عقليته التي يسير بها ومتطلباته . وهذا الإدراك المزدوج هو وحده الذي يحقق إيجاد تفاعل إيجابي يحقق استيعاب التكنولوجيا الحديثة واساليب العصر المتقدمة ، ويجنب المجتمع في الوقت ذاته مخاطر التفكك والتحلل والتخبط والفوضى الاخلاقية والاجتماعية والسياسية ..

● عوامل واقعية :

فقد شاءت إرادة الله ان يتدفق النفط في بلاد عميقة الشعور الديني راسخة التقاليد ، ذات تاريخ قديم وعريق في ميادين العلم والثقافة والتجارة وهو ليس ميتا وإنما هو حي ماثل في وجدان الأمة متشابك في تكوينها المعاصر . والمشروعات الصناعية الحديثة ، والتي تعتمد على تكنولوجيا متطورة شديدة التعقيد هي وليدة مجتمعات لها تقاليد وممارسات وأساليب تضرب بجذورها عميقا وبعيدا في أحضان حضارة مختلفة في شعورها الديني وتقاليدها وقيمها المادية والروحية وتاريخها . واختيار طريق التصنيع بصورته الحديثة لا يعني مجرد خيار إقتصادي جانبي لتحقيق عائد مادي وإنما يعني بالضرورة انتقال المجتمع بكافة علاقاته الاجتماعية والسياسية من قطاع

اقتصادي بدائي ، وإن كان غنيا بماله ومصادره ، الى قطاع اقتصادي متقدم له سماته ومشاكله ... ولا يمكن الانتقال الى هذه المرحلة إلا بعملية علمية تتكيف مع الوضع الجديد ...

فالتصنيع والتخطيط له ، مثل غيره من مظاهر التحديث والتطوير ، عملية جادة تنبني على حقائق ثابتة واحصاءات دقيقة وعوامل واقعية ، ودراسة متأنية موضوعية لهذه الإحصاءات والمعلومات ، واهميتها وارتباطها ، مع دراسة لامكانات السوق المحلية والعالمية ، وارتباط الصناعة بالصناعات الأخرى المماثلة في العالم ، واتصالها بالقطاعات الاقتصادية الأخرى ، وتكييف التكنولوجيا المستوردة لعوامل الانتاج المحلية السائدة وعادات الاستهلاك ، وتهيئة الخدمات المساعدة على الانتاج كالتعليم والتدريب المهني والفني والنقل والمواصلات والانشاء والتعمير وتوفير الطاقة وتوزيعها . والمجتمعات النامية - ونحن منها - كثيرا ما تختلط في أذهانها ما هو واقع بالفعل ، ما تقتضي أن يكون وضعا خاصا بالتصنيع ولتحديد واقع معاش وليس وليد معجزات واحتمالات غيبية ، او مفاهيم مجردة تسبح في الخيال ، أو أحلام يرجى تحقيقها او أهداف ديماجوجية عشوائية لارضاء الجماهير . وتبقى المعادلة الصعبة والخطيرة وهي كيفية التعامل مع هذه المظاهر الحضارية الوافدة مع رسوخ القدم في أرضها وواقعها وقيمها وتراثها في صلابة تكفل امتصاص صدمة التغيير والطفرة والنقلة دون اقتلاع الجذور .

● في مجالات التصنيع :

هذا الخيار الصعب هو الذي تصدى له بالتناول الجريء والدراسة الواعية المسؤولة وبعيدا عن الرسميات نفر من كبار مثقفي الجزيرة العربية في سلسلة لقاءات علمية مدروسة أعد لها ومهد لنجاحها الدكتور علي خليفة الكواري .. وهذه الدراسة تمثل أيضا وقفة متروية في خضم الاندفاع المتحمس اللاهث في مجالات التصنيع والتحديث ، التي أعقبت تدفق عائدات النفط وهي وقفة ضرورية وهامة لدراسة التجربة ونقدها وتحليلها وتمحيصها واخذ العبر منها ..

ولقد تناولت هذه الدراسة بصورة عامة كفاءة الأداء في المشروع العام في البلدان المنتجة للنفط في الجزيرة العربية ... وفي هذا الإطار نوقش عدد من القضايا الحيوية المتصلة بدور المشروعات العامة في التنمية الاقتصادية ، وامكان التوفيق بين الاعتبارات الايديولوجية والاخلاقية والسياسية لتكون هذه المشروعات قوة دافعة لا قوة معيقة لتحقيق تنمية اقتصادية حقيقية .. وكذلك قدرة المشروع

- التصنيع والتخطيط له عملية جادة تعتمد على حقائق ثابتة وعوامل واقعية
- التصنيع وليد واقع معاش .. وليس وليد معجزات واحتمالات غيبية
- تبقى المعادلة الصعبة والخطيرة .. هي كيفية التعامل مع التناقض الحضارية الوافدة؟



العالم العربي والخيارات الصعبة

العام على معالجة التعقيدات الناتجة عن الافتقار الى الرص العمالة المنتجة والبطالة المقنعة في بعض الأجهزة الحكومية ، والتنسيق بين المشروعات العامة والقطاع الخاص ، والتعاون بينها ، وتقسيم الادوار في اطار التنمية الاقتصادية .

وتناولت الدراسة ايضا عددا من القضايا الاقتصادية المؤثرة على اداء المشروع العام ونجاحه في تحقيق اهدافه التنموية : اهمها التوفيق بين الرقابة الخارجية على المشروع العام في مواجهة الاستقلال الاداري ـ واختيار المدراء التنفيذيين وتعبئتهم وتطويرهم وتحفيزهم ، والعوامل الذاتية التي تؤثر على تكلفة المشروع وعوائده وكذلك الاسلوب الامثل والأسلم لتقييم الاداء في المشروعات العامة وكلها قضايا حيوية ذات اهمية بالغة نرجو ان نتناولها بالتحليل والتفاصيل في باب « شهريات الخليج » في أعداد قادمة من (الدوحة) إن شاء الله مستعينين بعدد من المفكرين والمثقفيـــــن .

التنمية الناجحة !

على اننا يلزم ان نشير هنا الى حقيقة اساسية غفلت عنها هذه الدراسة ربما بحكم كونها دراسة اولية تمهيدية ، وهي انه من غير الممكن عمليا الحديث عن التطور الصناعي او التنمية الاقتصادية الحقيقية إلا في إطار امكانات التعاون والتكامل الاقليمي والقومي والدولي . فنجاح المشروعات الصناعية ، كبرت ام صغرت ، عامة او خاصة ، لا تتحكم فيه عوامل ذاتية داخلية فقط ، مهما اكتملت لها ظروف الاداء المثلى والحنكة الإدارية والانتاجية المثالية والقوانين المرنة ، وإنما تتحكم فيه ظروف واحتمالات التكامل الاقليمي والقومي وطبيعته ومداه . ذلك لأن متطلبات التنمية الصناعية الناجحة متعددة الجوانب لا يمكن ان تتوفر او تكتمل إلا عن طريق التعاون والتنسيق والتكامل . فهنالك حاجات تتصل بالخبرات الفنية والعمالة الوافرة وراس المال الكافي والارض الواسعة والمصادر الطبيعية والبشرية واتساع منافذ الطلب والســوق ... وكلها عوامل لا تتيسر إلا عن طريق التكامل .. وبنفس القدر فان النزوع الى الفردية والانانية والمنافسة والعجز عن تحقيق التكامل والتنسيق يؤدي بالضرورة الى التضارب والكساد وفشل كل خطط التصنيع والتنمية مهما اكتملت لها اسباب النجاح الاخرى .

لكن التكامل ليس سهلا ميسورا بين بلاد متشابهة كل التشابه كدول الخليج تملك نفس المشاكل الانتاجية وتتبع بالضرورة خططا صناعية واحدا يتصل بقطاع النفط كالتكرير والبتروكيمويات والأسمدة وصهر المعادن (كالحديد والصلب والألومنيوم) وتسييل الغاز ، وهذه الصعوبة تستلزم التغلب عليها قدرا من التفاهم والتضحية والتنازلات وترك المصلحة المشتركة وتغلب مصلحة الكل على المصلحة الفردية . وفي النهاية ان تكون النظرة اوسع واشمل وان تتجاوز المنطقة . وذلك لأن الخيارات حتى بافتراض تحقيق تنسيق وتوزيع عقلي للنشاط الانتاجي الصناعي في المنطقة لن يكتب له النجاح الكامل إلا بوجود سوق اكبر وعمالة اوسع وخبرة وتنوع في الانتاج اكبر بكثير مما تحيط به إمكانات المنطقة مجتمعة .

لابد من الآخريـــن !

وقد برهنت التجارب انه ما من امة في العصر الحديث يمكن ان تبني خطة اقتصادية ناجحة بمعزل عن الآخرين ومن هنا كان اخطر ما يواجه اسرائيل مقاطعة العالم العربي لها اقتصاديا وقفل اسواقه الواسعة في وجه منتجاتها . وتقف اكبر تجربتين في العالم برهانا ماثلا على اهمية التعاون الاقتصادي حتى بين الدول المتقدمة اصلا ، وهما السوق الاوربية المشتركة والكتلة الاقتصادية الشرقية (الكوميكون) ومن هنا كان حتما ان يتجاوز التكامل والتنسيق الجاد المنطقة ليحتضن امكانات الأمة العربية بأسرها ، وقد أتاح الله لها وفرة في الخبرة والارض والموقع والبشر والإمكانات ، إذا ما تكاملت كانت قوة يؤبه لها في الحاضر والمستقبل ، وقادرة على الصمود في وجه المنافسة العالمية الضارية .

ولكي يتحقق هذا التكامل القومي ـ المبني على المصلحة المشتركة اولا واخيرا ـ بعيدا عن الحماس العاطفي واحاديث المجاملة ، يلزم ان تسبقه خطوات تمهيدية يأتي في مقدمتها إنشاء بنك عربي للمعلومات يقوم بدراسة الوضع الحالي للصناعة في البلدان العربية بما في ذلك الصناعات

● أثبتت التجارب على أنه ما من أمة في العصر الحديث يمكن أن تحقق خطة اقتصادية ناجحة بمعزل عن الأخرى

الخفيفة والحرف التقليدية ، وحصر كافة المصادر البشرية والطبيعية ، وتحديد الاحتياجات وطبيعة الاستهلاك وكميته ومعرفة اتجاهات السوق الداخلية والخارجية ، والخدمات الضرورية المتوفرة ، ووضع خطة مدروسة على ضوء ذلك للانتاج والاستثمار والتسويق ، ونقل التكنولوجيا الحديثة في حدود الامكانات الواقعية المهيئة لها كالمواد الخام والتمويل والخبرة الفنية والعمالة والادارة الرشيدة والاهداف الموضوعية ، وفي إطار مفهوم أصيل يأخذ في الاعتبار – وبعقلية متفتحة مرنة – الظروف البيئية والاجتماعية والتقليدية للمجتمع العربي ، وان يكون هدف التكامل تنقية المجتمع من هذه البيروقراطية المتعسفة المتجمدة الخانقة لكل مبادرة والموروثة من عهود التخلف والتبعية والتي هي من اكبر معوقات التنمية الاقتصادية في المجتمعات العربية .

لكن ذلك كله يتطلب الكثير من الثقة التي زعزعتها تجارب خطيرة في الماضي ، ويذر بذور الخير وتعميق مشاعر الوحدة الوطنية وتربية ابنائنا ، في المدارس وعن طريق الاعلام ، تربية قومية تنفر من كل مظاهر الشعوبية والاقليمية والانانية والعزلة وهذا يحتاج الى وقت والوقت لا يسعف !

د. محمد ابراهيم الفلوش

د. مظفر صلاح الدين شعبان
سمير صلاح الدين شعبان

الإنسان أم السيارة؟



كثرت في الآونة الأخيرة الكتب التي تعالج المشكلات الحالية والمشكلات المستقبلية للإنسان المعاصر، وتشترك هذه الكتب في أنها تخصص قسما هاما من صفحاتها لمعالجة مشكلتين رئيسيتين من مشكلات العصر الحديث: الطاقة والغذاء.

اما عن الغذاء فالموضوع اقدم. فقد نبه اليه مالتوس في عام ١٧٩٨ وكروكس في عام ١٨٩٦ حيث تنبأ الاخير بحدوث مجاعة في العالم حوالي ١٩٣٠.

ومع ان المجاعة لم تحدث كما توقعها كروكس، إلا ان الازمة بقيت حتى يومنا هذا كالسيف المسلط على الرقاب.

في عام ١٩٧٣ انفجرت ازمة الطاقة في العالم عندما قطعت الدول العربية النفطية - في حرب تشرين (اكتوبر) التحريرية بحظر شحن النفط الى الولايات المتحدة والدول الغربية المساندة لإسرائيل. يومها ادرك العالم ان الدفء وقود القرن العشرين سينضب ان عاجلا وان آجلا. ومع ان هناك مشاريع واكتشافات جديدة تهدف الى انتاج مصادر بديلة لطاقة النفط، إلا ان النفط يبقى شيئا متميزا خصوصا بالنسبة لوسائل النقل: السيارات والشاحنات والطائرات.

واخشى سنواجه في المستقبل القريب السؤال الحرج: ماذا لو ان بالامكان حل ازمة الطاقة (ولو بشكل جزئي) على حساب القمح؟

الغذاء ... الغذاء

تزداد صرخات الانذار يوما بعد يوم وتتعالى محذرة من خطورة مشكلة تغذية سكان الارض الذين يزداد عددهم بشكل مضطرد. فهل بمكنتنا ان نقترب بهذه الصيحات [illegible]؟

من الثابت ان ثلث سكان الارض - على الاقل - يعانون من سوء التغذية، وان عشرات الالوف - معظمهم من الاطفال - يموتون جوعا في كل يوم تطلع فيه الشمس. بالرغم من ذلك يحذر الكثير من العلماء من صحة [illegible] الاقوال بان كمية المواد الغذائية التي تقدمها كرتنا الارضية غير كافية لسد رمق سكان الارض الذين تعدادهم ٣ر٤ مليار نسمة، والذي يتوقع ان يصل الى حوالي ٦ر٣ مليارا في نهاية القرن الحالي (حسب تنبؤات الامم المتحدة). يحذرون من شتى القرارات الارتجالية المتهورة الداعية الى انتاج كميات اكبر من المواد الغذائية والى تحديد النسل بشكل يمنع تزايد عدد سكان الارض.

ويركز العلماء على ان قطاع الزراعة في الدول المتقدمة صناعيا ينتج اكثر مما تستطيع هذه الدول استهلاكه فيها وتصدره الى الخارج. وتسمع في كثير من الاحيان عن عمليات اتلاف مقصودة لجبال من الزبد والحبوب، وانهار من الحليب، بالاضافة الى آلاف الاطنان من الخضار والفاكهة، تمنع اسعارها من الانخفاض والتدني في حضرة [illegible] الاول والاخير هو الربح باية طريقة كانت. ورغم ان جميع محاولات تحديد كمية الاغذية التي تتلف في الدول الصناعية سنويا قد باءت بالفشل، لكن المؤكد ان كمية الاغذية المتلفة لا تقل عن ملايين الاطنان سنويا، خصوصا وانه كان بالامكان انقاذها من هذا المصير. يعتبر العلماء ان الغذاء الفائض عن حاجة الدول المتقدمة صناعيا كاف لسد حاجة العديد من البلدان وربما حاجة قارة بأكملها. إلا ان الدول الجائعة غير قادرة على شراء فائض غذاء الدول الصناعية، حتى انها غير قادرة على دفع نفقات نقل هذه الاغذية فيما لو قدمت مجانا.

وعليه فان الاصح ان يقال ان ازمة الغذاء هي عبارة عن ازمة «نقل» و «توزيع». لان حوالي ٩٠ بالمئة من سكان الارض يملكون ٩٠ بالمئة من مواردها الغذائية، علما ان الاغذية متوفرة كافية فيما لو وزعت بشكل عادل على الجميع.

ولا يحتاج الامر الى كبير عناء كي نتبين ان آراء العلماء تبقى حبيسة الكتب والنشرات والمؤتمرات، بينما يحكم الواقع المعاش لسكان الارض قوانين اخرى توجهها سياسات الدول المتقدمة التي تاسست مصالحها المالية على اساس المعايير الربحية والاستثمارية والتي تسعى بالدرجة الاولى الى تحقيق مزيد من الربح كلما ازدادت ثراء، ازدادت نهما وطمعا.

ويؤيد هذا الاتجاه ما اعلنه رئيس منظمة الاغذية والزراعة التابعة للامم المتحدة في بداية تسلمه الدور الحالي (١٩٨٠) من خلال الارقام التالية:

● يعاني ٤٦٠ مليون نسمة من سكان العالم - معظمهم من النساء والاطفال - من سوء واضح في التغذية.

● يضاف الى هؤلاء حوالي ٨٠٠ مليون نسمة يعانون من نقص البروتينات ذات المصدر الحيواني من لحوم واسماك.

● ان عدد الجياع وسيئي التغذية يتزايد في العالم بصورة مستمرة.

● [illegible]

[illegible] الجياع. اما السياسيون في الدول الصناعية، فقد اصبح شغلهم الشاغل حل المشاكل التي تعاني منها بلادهم وفي مقدمتها ازمة الطاقة.

ازمة الطاقة

ومما لا شك فيه ان عصرنا هو عصر الطاقة. فقل ما خطر لك من شئون الحياة والعمران والصناعة والزراعة والاتصالات ووسائل الراحة والتسلية مرتبط بشكل او بآخر بالطاقة ويعتمد عليها اعتمادا كليا. وقد اصبحت الطاقة منذ منتصف القرن الحالي مقياسا لقدرة التقدم مثل الذهب، واصبحت الامم تقاس بما تستهلكه من الطاقة - ولاسيما النفط - الذي اطلق عليه بكل جدارة اسم «الذهب الاسود».

وقد بينت احصائيات الامم المتحدة ان [illegible] معدل نصيب الفرد من الطاقة المستهلكة في دولة من الدول ونصيبه من الدخل القومي علاقة مطردة، بحيث يكون المعدل الاول عاليا يكون المعدل الثاني عاليا ايضا والعكس صحيح.

والجدير بالذكر ان امم العالم لا تتساوى في الطاقة. فالولايات المتحدة الامريكية هي اكبر مستهلك للطاقة في العالم، اذ يبلغ استهلاكها السنوي حوالي ٢ (١٠)١٢ كيلوواط الساعة (اي



٢ واصفها ١٢ صفرا) وهي مستهلكة ثلث ما ينتجه العالم بأسره من الطاقة، مع ان عدد سكانها لا يتجاوز ٦٪ من عدد سكان العالم. وفي الطرف المقابل نجد الهند التي يبلغ عدد سكانها ١٧٪ من سكان العالم لا يستهلكون سوى ٢ر١٪ من الطاقة المستهلكة في العالم. هذا مع العلم ان استهلاك الفرد الامريكي يزيد عن ضعفي ما يستهلكه الفرد من الطاقة في دول غرب اوروبا الصناعية ويزيد عن ٣٠ ضعف ما يقابله في دول النامية.

لقد تنوعت مصادر الطاقة التي يستخدمها الانسان المعاصر، غير ان الاعتماد على النفط يفوق الاعتماد على غيره من مصادر الطاقة. وقد ركزت الدول المتقدمة جل اعتمادها على النفط باعتباره افضل مصادر الطاقة لتلبية متطلبات الصناعة والنقل والاستعمالات المنزلية، وذلك بسبب سهولة استخراجه ونقله وتخزينه واستخدامه وانخفاض ثمنه.

ونظرا لمزايا النفط العديدة فقد تراجعت مصادر الطاقة الاخرى لتفسح له الطريق كي يتبوأ عرش الطاقة بلا منازع، خصوصا في استعمالاته على شكل قوة محركة لوسائل النقل، ولا يوجد حاليا بديل للنفط لتسيير معظم وسائل النقل هذه.

في اواخر ١٩٧٣ افاق العالم الصناعي على الحظر العربي لتصدير النفط، يومها ادرك ان النفط سينضب ان عاجلا او آجلا. [illegible] لانه كان يغط في سبات عميق وانه لابد من وضع اسس جديدة وخطوط مبتكرة لتلافي الامر. في ذلك اليوم سمع الملا بوجود «ازمة طاقة» تهدد الحضارة المعاصرة.

ولسنا هنا في معرض الدخول بتفاصيل ازمة الطاقة وشرحها وآفاقها المستقبلية، ولكن باختصار نقول ان مشكلتنا مع الطاقة في المستقبل ذات شقين. ويتمثل شقها الاول بالشعار المطروح حاليا في كثير من بلدان العالم، وهو التوفير قدر الامكان في استهلاك الطاقة، وبالدرجة الاولى تخفيض الطلب على النفط. يضاف الى ذلك ضرورة المحافظة على البيئة من التلوث.

ثانيا ان المشكلة على المدى البعيد تتمثل بتطوير منابع جديدة للطاقة، في وقت ما في





الخيار الصعب
الإنسان أم السيارة؟



المستقبل سنكون قد استنفدنا منابع الفحم الحجري، والنفط والغاز الطبيعي الموجودة في العالم الى حد لا يمكننا بعده الاعتماد على اشكال الوقود هذه كمصادر رئيسية للطاقة. فلا حسبنا الاحتياطي المؤكد والمحتمل للنفط، وحسبنا مبلغ ما يستخرج ويستهلك منه سنويا وما سيزداد هذا الاستهلاك مستقبلا حسب معدلات الزيادة السريعة، فاننا نجد ان كل هذا المصدر يبقى لاكثر من مائة سنة على أبعد تقدير خصوصا وان النفط كمادة خام اثمن بكثير من ان يحرق كوقود لانتاج الطاقة فقط، ذلك ان النفط ومشتقاته مواد خام لاكثر من الف مادة صناعية ودوائية مهمة.

لقد تعددت الدراسات حول مستقبل الطاقة في الآونة الاخيرة وتوصلت إلى ان النتيجة التي لاجدال فيها هي ان الآمال مازالت معلقة على النفط وحده بمصادره وكمياته الاحتياطية المؤكدة والمحتملة وعلى مرونته التي لا تنفد ولا تنقص ومن المؤكد ان يبقى على عرش الطاقة حتى نهاية القرن الحاضر. وتتركز المساعي والبحوث الآن على ايجاد السبل الكفيلة بتقليل استهلاك العالم من النفط. ومن هذا المنطلق تم التوصل الى زراعة الطاقة.

زراعة الطاقة

تعتبر الشمس مصدر الطاقات الارضية كافة (عدا الطاقة النووية) فبفعل الشمس تتبخر مياه المحيطات والبحار، وتحملها الرياح - بفعل الحرارة الشمسية ايضا - لتتساقط على شكل ثلوج وامطار فوق الجبال والسهول، فتتجمع لتجري انهارا يستفيد الانسان من طاقتها بواسطة السدود. كذلك فان الاشعة تحيي الزرع والنباتات التي تزود الانسان والحيوان بطاقتها الحرارية وطاقتها الغذائية.

من ناحية اخرى، فقد غطت النباتات سطح الارض تتلقى اشعة الشمس طوال ملايين السنين، ونتيجة للتسخين البطيء والضغط والتقادم تحولت هذه النباتات الى فحم ونفط وغاز طبيعي، اي انها تحولت الى الوقود المحترق بجميع اشكاله، والذي يمثل الآن من ٩٠٪ من الطاقة التي يستهلكها الانسان المعاصر. والخلاصة، انه اذا امعنا النظر نجد انه لولا الشمس وما تمد به الارض من طاقة تتحول حسب قوانين خيرة ومختلفة لاستحالت الحياة على وجه البسيطة.

في عملية التمثيل الضوئي [illegible] تقوم اشعة الشمس بتحفيز المادة الخضراء لتحويل عنصر الكاربون (الفحم) الموجود في الجو [illegible] وهذه العملية هي التفاعل الكيمياوي الذي تم بمواجهة خواص البيئة، ومختلفا في هذه التفاعل تقوم الاشعاع الشمسي بتحطيم المواد القابلة للاحتراق.

ان الفعل السحري الذي تحرض به اشعة الشمس جميع النباتات التي تنموها الاخضر (اليخضور) في جميع الكائنات الحية الدنيا من بكتريا وطحالب ونباتات، فعندما تتفاعل اشعة الشمس مع كل من اليخضور (الكلوروفيل)، والماء وثاني اوكسيد الكربون لانتاج ما يقارب ٦٠ مليار طن سنويا من المواد العضوية التي تشكل النباتات بمختلف انواعها. وتستهلك هذه العملية سنويا ٩٠ مليار طن من ثاني اوكسيد الكربون الناتج عن حرق جميع انواع الوقود ومن تنفس جميع الكائنات الحية، مما يساعد على حفظ نسبة ثاني اوكسيد الكربون ثابتة في الغلاف الجوي الارضي عند ثلاثة اجزاء بالالف.

ولكن هل بمقدورنا التدخل في عملية التمثيل الضوئي، والاستفادة من التفاعلات الكيمياوية التي يحرضها ضوء الشمس للحصول على طاقة كيمياوية كامنة بزراعة مزيد من النباتات لاستخدامها كوقود في المستقبل، وذلك بالاستفادة بشكل اكبر من الطاقة الشمسية التي تضيع هباء على اية حال؟

ويضيف ان هذه النباتات تشمل الاشجار والاعشاب، والنباتات المائية الاخرى والطحالب التي تتكاثر بسرعة مذهلة، ولكن هذه النباتات لا تشكل حلا لازمة الطاقة لان محتواها الحراري صغير، اي ان كمية الحرارة التي تنشرها عند حرقها صغيرة جدا اذا ما قورنت بالحرارة الناتجة عن اشكال الوقود الاخرى المركزة كالنفط والغاز. والسؤال هو: الا يمكن تأكيد العمليات التي جرت على النباتات في ماضي التاريخ، وادت الى الحصول على الوقود المحترق (نفط - فحم - غاز) المستخدم الآن، والذي يتميز بمحتواه الحراري العالي؟

ان المبدأ العام هو تحويل النبات الذي يعتبر وقودا سيئا الى الشكل المثيل من الوقود تعطي عند حرقها كميات كبيرة من الحرارة. وقد نجحت بعض التجارب المختبرية في تحويل بعض النباتات او المحاصيل الزراعية (كالحبوب وقصب السكر) الى وقود سائل مثل الكحول ذي المستوى الحراري العالي، والغاز الطبيعي والغاز الميثيلي.

ويرى العلماء المهتمون بمستقبل الانسانية انه من المستحيل اللجوء الى زراعة النباتات واستخدامها كمصادر للطاقة في عالم يزداد فيه عدد الجياع ومساحة التغذية يوما بعد يوم.

بعد رفع اسعار النفط في بداية ١٩٧٤ ثارت حيرة السياسيين في الدول المتقدمة ووضعوا استراتيجيات مختلفة تتفق جميعها على ضرورة الاستغناء عن النفط. وحدث الحمى الهادفة الى استكشاف مصادر الطاقة البديلة للنفط كالطاقة الشمسية، وطاقة الرياح وطاقة الاندماج النووي. وعندما ادركت هذه الدول ان تطوير التكنولوجيا الضرورية للاستفادة من هذه المصادر يستغرق السنوات الطوال وربما لا يعطي ثماره الا في القرن الحادي والعشرين، بالاضافة الى ان مثل هذه المشاريع تحتاج الى بذل مليارات الدولارات خلال سنوات معدودة، لذا فقد عمدت الى التوسع في الاعتماد على الفحم الحجري الذي تمتلك احتياطات هائلة منه، والى زيادة محطات التوليد التي تعمل بالطاقة النووية.

لكن هذه المخططات اصيبت بصدمة قوية عندما ثبتت هذه الدول ان هذه المصادر البديلة لن تنجح في ازاحة النفط عن عرش الطاقة الذي

بتريع عليه منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، وخصوصا لايبيل للنفط في وسائل النقل، مع العلم أن القوة في الدول الصناعية أصبحت مرتبطة بالبنزين (الغازولين)، لا تستطيع الاستغناء عن سيولته التي لا يمكن تدوير محركاتها بالطاقة النووية أو الفحم.

غازوهول: الوقود الجديد

وعندما كانت الدول الصناعية ـ وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية ـ جهودها لإنتاج مواد بديلة، تحل محل المشتقات البترولية وتسمح باستعمالها في وسائل النقل الحالية دون الاضطرار الى اجراء تعديلات في تصميم محركاتها.

وقد وجد الباحثون في هذه الدول ضالتهم المنشودة في مزيج مؤلف من «الكحول العادي (الكحول الايثيلي) و «البنزين» (الغازولين)، اطلقوا عليه اسم «غازوهول». والكلمة مشتقة من جمع القسم الأول من كلمة (غازولين) والقسم الأخير من كلمة كحول. يتكون الغازوهول من ٩٠٪ من البنزين و ١٠٪ من الكحول على الأقل. ويمكن استخدامه في السيارات الحالية دون الاضطرار الى اجراء أي تعديل بمحركيها. وقد دلت بعض الدراسات أنه يمكن رفع نسبة الكحول في الغازوهول حتى ٢٥٪ واستخدامه في السيارات الحالية.

وحيث ان تكنولوجيا تحويل المزروعات الى كحول معروفة منذ مدة طويلة. ونظرا الى استخدام الغازوهول يوفر ١٠٪ على الأقل من استهلاك البنزين في هذه الدول، فقد تركزت الجهود على الاستكشاف افضل النباتات التي تعطي اكبر كمية من الكحول. وقد تم التوصل الى أفضل النتائج التكنولوجية باستخدام قصب السكر والذرة.

يقول ليستر براون مدير المعهد «إن التحول الى استخلاص الكحول من المحاصيل الزراعية كمصدر من مصادر وقود السيارات سيفسح المجال لعدد متزايد من المزارعين للاختيار بين انتاج الطعام للبشر أو الوقود للسيارات. وليس من المستغرب أن يميل المزارعون الى اختيار المحصول الذي يدر عليهم ربحا أوفر. لقد يبلغ الأمر مرحلة التنافس الصريح والمباشر ـ على المحاصيل الزراعية ـ بين قلة من البشر الذين يمتلكون السيارات وبين الغالبية من أفراد الأسرة الانسانية، التي يتطلب تزويدها بالقدر الكافي من الطعام ـ لاستمرار حياتها ـ جهودا مضنية».

اعلنت كل من الولايات المتحدة الأمريكية الغنية والبرازيل النامية، عن برامج ضخمة لتحويل المحاصيل الزراعية الى كحول. كما أن بعض الدول الأخرى المصدرة للغذاء مثل استراليا، ونيوزيلندا وجنوب افريقيا تدرس امكانية القيام بزراعة الوقود.

يؤكد براون أن تكلفة الكحول المنتج تتأثر بعدة عوامل منها: نوع النبات المستخدم، والمزارع البيئة والطقس، وحجم المشروع... الخ لكن المادة الأولية لا تشكل أكثر من نصف سعر الكحول. كما يشير براون أن استمرار ارتفاع اسعار البنزين سيرفع بدوره سعر مزيج البنزين والكحول (الغازوهول)، مما سيسمح للمنتجين باستخدام مزروعات أعلى لإنتاجه، وبهذه الطريقة، سيتحكم سعر النفط بسعر الغذاء.

ويوضح براون الصورة القاتمة لمستقبل هذا التنافس على الأراضي الزراعية في العالم، فقد بوشر بمشروع البرازيل لانتاج وقود الكحول في ١٩٧٤ بالاعتماد على قصب السكر، وهو اكثر انواع المحاصيل الزراعية كفاءة في انتاج الكحول، إذ يعطي الطن الواحد من قصب السكر نسبة تزيد عن تلك التي يؤديها طن واحد من الذرة ـ التي تعتمدها الولايات المتحدة ـ بنسبة ٢٥٪. ويقول براون: إن الحكومة البرازيلية تنوي في عام ١٩٨٥ انتاج ١٠,٧ مليون متر من الكحول تتطلب زراعة حوالي ٣ مليون هكتار بقصب السكر، وهذه المساحة تعادل ١٦ بالمائة من مساحة الأراضي الصالحة للزراعة في البرازيل.

ويقترح براون على الحكومة البرازيلية اللجوء ـ في انتاج الكحول ـ الى محاصيل اخرى يمكن زراعتها في الأراضي غير الخصبة.

لكن الهزة الكبرى في كميات الغذاء المتوفرة في السوق العالمية ستسببها الولايات المتحدة. فقد اعلن الرئيس الأمريكي جيمي كارتر في كانون الثاني (يناير) من العام الحالي (١٩٨٠) أن الولايات المتحدة تخطط لانتاج ٢٢٦٥ مليون لتر من وقود الكحول في عام ١٩٨١ [illegible] مليون [illegible] ويؤكد براون أن الهدف الموضوع لانتاج ٢٢٦٥ مليون لتر [illegible] [illegible] مليون هكتار [illegible]

وحيث أن الولايات المتحدة هي اكبر الدول المصدرة للحبوب في العالم، فإن تصغير صادراتها منها بنسبة ٢٠٪ يعني تقليل المعروض في أسواق الحبوب في العالم بشكل ملموس، مما سيزيد من عدد الجياع في العالم واحتكار مستوردي الحبوب على دفع ثمن أعلى لإشباع بطونهم.

باختصار ان ملايين الجائعين في العالم تتأثر بشكل واضح على هذه الأراضي المخصصة لزراعة الطاقة. ويقول براون: «الأرض المستخدمة للزراعة لم تتوسع منذ عام ١٩٥٠ إلا بنسبة ١٪ الى ٣٪ من تزايد عدد سكان العالم، فهل يحتمل الوضع العالمي ـ رغم ذلك انتزاع جزء من الأراضي الزراعية المستثمرة لاستخدامها في انتاج الطاقة؟

العالم الثالث وزراعة الطاقة

ستترك زراعة الطاقة آثارا مفجعة على الوطن العربي والاسلامي وعلى العالم الثالث بشكل عام، فعندما تمتص زراعة الطاقة ٢٠٪ من فائض الحبوب الأمريكية المخصصة للتصدير الى أواسط الثمانينات، ستضطر جميع الدول العربية ـ عدا المغرب ـ حسب التقديرات الحالية الى استيراد الحبوب من الخارج بنسب تتراوح بين ١٠٠٪ بالنسبة للكويت ونسبة ٣٤٪ بالنسبة لتونس والسينغال، ٩٠٪ بالنسبة للأردن و ٩٢٪ لكل من لبنان ودولة الامارات العربية المتحدة، ٨٣٪ لليبيا، ٧٢٪ للعربية السعودية، ٦٣٪ لليمن الجنوبية، ٦٠٪ لليمن الشمالية، ٥٩٪ لكل من الجزائر وسورية و ٣٢٪ لكل من مصر والسودان والعراق. وقد بلغ العجز العربي الحالي ٢٥ مليون طن من الحبوب سنويا ويتوقع ان يرتفع في عام ١٩٨٥ ليبلغ ٣٩ مليون طن سنويا.

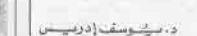
ومن الجدير بالذكر ان دول العالم الثالث غير قادرة على تحمل العبء الكبير الذي ستسببه زيادة تكاليف مستوردات الحبوب على موازين التجارة والمدفوعات لهذه الدول. وعند تحويل نسبة كبيرة من الحبوب المخصصة للتصدير الى انتاج وقود الكحول، عندها سيزداد الخطر على «الأمن الغذائي» لهذه الدول، وستزداد حاجتها للدول المصدرة للأغذية. وفي هذه الحالة قد تلجأ الدول المتقدمة صناعيا الى استغلال حاجة الدول النامية للغذاء في فرض سيطرتها عليها، مستخدمة ضدها السلاح الاستراتيجي الجديد الذي لا يقاوم: الغذاء.

فهل يعني ذلك أن العالم الثالث بما فيه الوطن العربي والاسلامي مكره على تقبل هذه الوصفية على أنها عقيمة؟ الجواب ببساطة (لا) والسبيل الى تخطي هذه النكبة التي وضعنا مخاطرها ودرستها مؤتمرات وجهات عربية كثيرة، ومنها المؤتمر الأخير للاتحاد العام لغرف التجارة والزراعة والصناعة في البلاد العربية، الذي عقد في البحرين بين ٦ و ٨ نيسان (ابريل) الماضي (١٩٨٠)، والذي اعتبر موضوع الأمن الغذائي العربي واحدا من ابرز النقاط على جدول اعماله.

في الحقيقة لا تعوزنا معرفة سبل النجاة، ولكن الذي نحتاجه هو إرادة صادقة قوية تحول هذه الآراء والمقترحات ـ بعد تعميمها ـ الى واقع عملي يتيح مواجهة هذه الأمن في مختلف المجالات.







أين كنا ولماذا أصبحنا؟

نحن قوم فعلا أحوالنا ، وبالذات الأدبية منها ، تميت من الضحك . منذ بضعة أيام جاءني شاب ناقد يعمل معنا في جريدة الأهرام ، وثقافته الأدبية على مستوى العالم والأدب العربي نفسه من النوع الذكي الممتاز ، وفوجئت بالناقد الشاب يقول لي إنه يعمل (موضوعا) حول اللغة الأدبية وكيف يجب أن تكون : العامية أم الفصحى ؟ ، وقبلها في ندوة تليفزيونية وأحاديث أخرى حية وصحفية الأهرام ... أو في الحقيقة .. لم اعد أعجب بنفس السؤال ، حتى أحس وكأن صاعقة الشمت وايقظتني من حيث أحيا وأعيش (الثلث الأخير من القرن العشرين) الى حيث لا تزال الموقف في أجزاء كثيرة من حركاتنا الأدبية العربية . بنفس الإنسان الذي لابد يتصعقه أي عالم سيقرأ بحثا على مستوى المجلات العلمية المعاصرة المتخصصة بالدوية : هل صحيح ان الأرض تدور حول الشمس وانها ايضا تدور حول محورها أم انها هي المسطحة الثابتة التي تتحرك حولها الشمس من شرقها الى غربها وكذلك النجوم . بمعنى آخر القضايا الأدبية التي تدرس لطلبة الآداب عندنا وغيرهم من طلبة الجامعات ، والتي تطرح أحيانا للنقاش العلني على صفحات الجرائد والمجلات ، هذه القضايا انتهت من زمن طويل من مجال النقاش في العالم كله وأصبحت اللغات تناقش لا من وجهة نظر كونها عربية أو فصحى ، استخدمها الأقدمون أم لم يستخدموها ولكن بمقدار ما خدمت اللغة ، كوسيلة ايصال عبقرية النص المكتوب سواء أكان المسرحي أو القصصي ، هل كانت عبئا على ابطاله أم استطاعت إعطاء البعد الناقص عن الوصف أو الحدث في البطل وانطاقه بطريقة احالته من نموذج متخفي ميت الى كائن حي تنبض بالصدق الفني وبالحياة . العالم ، ومنذ عدة قرون انتهى من حكايات قداسة اللغة اللاتينية وابتكر لنفسه حتى لغات اخرى تماما كالفرنسية والانجليزية والايطالية إذا العالم كان قد وصل في تطوره الى الحد الذي استلزم وجوده لغات مستقلة تعبر عن لهجات اهل ايطاليا ، ولغة اخرى مستقلة تعبر عن احتياجات جزر بعيدة كالجزر الفرنسية .

ورغم انه في بلادنا حدث العكس بحيث طوعت الشعوب العربية نفسها للغة العربية القرشية باعتبارها اللغة التي نزل بها القرآن الكريم ، ولكنها ، لأنها شعوب ، وحية بالضرورة ، طورت هذه العربية الواحدة واكسبتها (بدلا من لغة فرنسية مستقلة أو ايطالية مستقلة) روحا شامية مستقلة وروحا جزائرية مستقلة وروحا مصرية مستقلة ، بل حتى في مصر هناك العربية ذات الروح القاهرية وهناك العربية ذات الروح الصعيدية أو الدمياطية .. الخ ..

بمعنى آخر .. شعوبنا أبدا لم تجد مشكلة أو لغزا محيرا كلغز أبي الهول في اسطورة طيبة وإنما اتبعت طريق التطور الطبيعي الذي يتبعه أي كائن حي . ما توقفت قريتنا أبدا لتسأل نفسها .. كما لا يزال هذا السؤال دائرا في الحركة الأدبية منذ أكثر من خمس وسبعين عاما .. بأي لغة تنطق كتبا ، وبأي لغة تتفاهم فيما بينها وفيما بينها وبقية القرى ، ثم تتوقف أبدا قريتنا لتتساءل لأنها أبدا لم تواجه أي مشكلة تعبير ، وكذلك أي فنان أصيل سواء كان كاتبا أو حتى موسيقيا لم يتوقف أبدا ليتساءل بأي الموسيقى الفني ، هل بالموسيقى والمقامات التركية التي تمثلها الأمة العربية ، أم بالألحان والمقامات والدقات الفولكلورية ؟!

لا ولم يتوقف فنانون التشكيليون عند (نوع) اللون الذي يرسمون به لوحاتهم . مناقشة الجمل قبل شراء البقرة ومناقشة كيف وبأي لغة الكتب قبل أن أعرف ما هي حتى الكتابة أصلا وما الفرق بين التعبير الفني والتعبير المجرد عن الفن ، مناقشة مسائل كهذه لا يمكن أن تحدث إلا في حالات الموات الأدبي و الفراغ الأدبي الذي يريد به كتاب الدولة في كل عهودهم من أيام سيف المعز وذهبه الى يومنا هذا (تحقيم) الكاتب أو الناقد عن أن يناقش قضايا الفن الحقيقية ويقيم الفنانين ليس على أساس فصحاهم وعاميتهم إنما على أساس ما قدموه لهذا الشعب من خدمة أو خيانة ، والشرط الأول لمحاسبتهم على ماطرقوه من مواضيع ، الحقيقة الشرط الأول والوحيد هو أن يكونوا فعلا متمتعين بكامل القدرة على مزاولة الكتابة ذلك العمل الذي يتطلب مواهب وقدرات ومقاييس خاصة من الصعب جدا توافرها في أكثر من واحد على مائة ممن يملأون صفحات المجلات الأدبية والأركان الأدبية والمقالات والهبهبات والسخافات والتخريفات وكأن كلا منهم قد اعتبر المنبر يشرع لزملائه ومن يأتون بعده كيف تكون الكتابة وكيف تكون مواضيعها وماهي اللغة الواجب الكتابة بها وإلا اعتبر الكاتب خارجا عن القاموس العام ، ملحدا والعياذ بالله ، أزرق أو متفسخا أو من أية ملة كان .

إني أغفر لحركة الأدب العربي أن تمشي على هيئة (سوق) عكاظ ، ذلك انه شيء كان يحدث في نفس الوقت الذي كان تعريف علم الكيمياء فيه هو : علم البحث عن الطريقة التي

تحويل الرصاص الى ذهب . كل حركة علمية او فنية تنشأ على نزعة بشرية تملؤها الخزعبلات والافكار المشوشة واللاعلم واللافن بفترة . ولكن الشعوب لا تبقى على حال واحدة إنها تتطور ، وغيرها من المجتمعات تتطور ، وتتم ترجمة ارسطو الى العربية ليبتدأ لأول مرة سوق عكاظ (كشف) لسمة الفلسفة يبدأ يزدهر حتى لتبدأ اوربا نفسها بعد حين تستورد من هذا الكشف الذي اصبح في حجم (سيلفريدج) لندن ، وتترجمه وتدرس إبن رشد وابن الهيثم وابن سينا ، وجابر بن حيان .

لتثقف اوربا المسيحية إلى هذه العلوم الاسلامية العربية التي انتجها الاسلام في اوج إزدهارها أيام الدولة العباسية ، وتمضي بها ، تعبر بها متاهاتها المسيحية (التي كان معظمها من العصور القديمة) وبالعلم العربي الجديد تبدأ تفكر لتكون النتيجة ان يعبر جابر بن حيان قوانين الميكانيكا في عقل نيوتن وابن رشد والحلاج تندور (كانت) بمعنى أن الحضارة الاسلامية تستلم بثوب مسيحي لتصل الى عصر النهضة ، بينما العرب والمسلمون انفسهم قد ارتدوا ـ كما هو حادث الآن ـ الى الماضي الغابر كاليهودي الذي افلس يفتش له عن فلسفة وعلم يرتديانه غربة عن الحاضر ..

ولولا انتقال العلم استدركنا انفسنا بعد احتكاكنا المباشر بالنهضة والثورة الفرنسية وبدأنا نعي بأهمية ان نعود الى بضاعتنا هذه المرة وقد اصبحت الكيمياء ليست علم المحاولات الساذجة لتحويل الرصاص الى ذهب ولكن علم دراسة خواص المواد كيميائيا تمهيدا لاستعمال هذه الخواص في ايجاد علاقات ومفاعلات جديدة تنتج لنا في النهاية عامود العصر .. الالومنيوم والكاوتشوك والبلاستيك والنايلون والميثان .. ومفجر الذرة ... ، ومعامل الأدوية والكيماويات .

وكذلك ادى علم جابر بن حيان والحسن الهيثم الى اكتشاف خواص الصوت والضوء وبلبوره علم الطبيعة وارتقائه الى ان وصل الفلك والذرة والرياضيات العليا والقنابل النووية والكومبيوترات ... الخ .. في العلم اعترفنا لهم بالقيادة وبدأنا فعلا نتعلم ، بل ونفتح .

وفي الأدب ايضا كشفت لنا حركة الترجمة عن اشكال فنية لم نكن نعرفها مثل القصة الحكائية والرواية المسجلة على اوراق والمسرح الموضوع له النص مسبقا .. الى البوت والقصيدة الشعرية الحديثة .

وانتقد وقد لولاه مندور وطه حسين الى حد ما ، العقاد والمازني اقتربا كثيرا من تقييمنا او الأسس التي عليها ان نقنن بها قضية الفن .

ولكن هذه لم تكن كل القصة . ولكن نصف القصة فقط .

فباعتبار ان اللغة العربية كان الأزهر الشريف يتولاها ويرعاها ويحدد لها القدة من ملك ويصعبها الى درجة تستحيل فيه لغة من حق اى انسان ان يعرفها وقواعدها التي بالضرورة لابد ان تكون بسيطة وسهلة على انفسنا وعلى غيرنا ممن يودون دراستها . نشأ الأزهر على فكرة ربط الواقع والمستقبل بالتراث . بحيث اوقف مجال الخلق والابتكار والكلمة المستعملة وإنما (قفل باب الاجتهاد) .

وهكذا حدث لنا انفصام الشخصية الأدبية الرهيب ،

بينما اللغة تعيش العصر وقرنت التراث وترنو الى المستقبل وعلى هذا الاساس تنتج .

الاغلبية كان عملها الاوحد (فرملة) هذا الاتجاه ، خوفا وتخوفا مما قد يقودوننا إليه والذى باعتبار ان القدامى لم ينصسوا عليه فلا يمكن ان نتصرف حياله وهو بالتأكيد عمل من صنع الشيطان سواء اكان في مجال الأزياء أم التفكير ام حتى اللغة .

ولكن السؤال هو : الى متى يستمر هذا الوضع ؟

لا اعتقد انه سيستمر طويلا ، فاذا استمرت الحناجر الفوغائية بهذا الارتفاع ، وإذا استمر هذا الإرهاب الفكري المرعب ، فحتما سوف يتوقف بنا القطار او سنقيم به بعض الوقت ، ثم لاننا لابد ان نتحرك ، نهجره ونعود نركب الحمير والجمال ونكف عن طبع دواوين الشعر ونعتمد على الرواة ويصبح اشهر اغراض الشعر العربي هو مدح ذلك وبلاغته ونصائحه ومبالغته في وصف كرمه

لا اعرف لماذا انفعل دائما بسيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقد استيقظ على مشهد كمشهد امتنا العربية في واقعنا (العظيم) الراهن .

انه إنه كان لن يكلفني رضوان الله عليه مشكلة العربية ... ولا ... أي الازياء نرتدي وأي الطعام نأكل ، ولكن ... سيقف فوق أعلى ربوة من رمس امة محمد ويرنو الى العالم من حولنا فيجد المشهد مخيفا ، ويجد الجميع ... معظم قوتهم من مرضنا ، سيجد ... والابداع الهائل بيننا وبينهم ... امة العرب ، لا في جيوش تفتح ... وبلاد الروم والشمال الافريقي ، ولكن سيجمعها جنودا ... على تلك الحضارة ليعتصرها ـ كما فعلت البيان ـ الى النخاع ، ويهضمها ، وبقوة ما في الاسلام من عدل ، وما تفتقده معظم تقدم الارض برفع راية العدل على سطح هذه الارض ، وإني لمتأكد انهم جميعا اليه متجهون ، (مسلمين) وغير مسلمين

ذلك ان اعظم ما بشر به عمر كان هو العدالة ، وهو سلاح الاسلام الذي منذ ان طوى ملك الاسلام ، العدالة مع انفسنا ومع غيرنا .

ولكننا لن نجيد القتال بهذا السلاح . بل في الحقيقة لن نكتشف حقيقته الحقة إلا إذا استوعبنا كل ما على ظهر الأرض من علم وفكر .

ولكن هذه قضية من المحال ان تناقشها الاروقة التي وهبت نفسها لدراسة هل تدخل بيت الراحة بقدمك اليمنى ام اليسرى وهو حديث سمعته في تلفزيوننا المفضال اسمه (حديث الروح) وكان عنوانه قضاء الحاجة ، وحيث أن الموضوع هو الحكمة والسعادة التي يحظى بها الانسان في قضاء حاجات المسلمين ، فلذا بها الحديث الروحي هو عبارة عن (تقضية) تكيف ـ لا مؤاخذه ـ وهلذا بالضبط نفعل لدى قضاء الحاجة في بيت الراحة .

د. يوسف إدريس

د. عماد الدين خليل

تكافؤ الأدلة عملة .. ذات وجهين



في حياتنا تبدو الكثير من المواقف والحلول والتجارب والممارسات ومحاولات التخطيط ، بل الافكار والنظريات والقوانين ، والتشريعات كذلك ، وهي تحمل في ثناياها السلب والايجاب .. الخطأ والصواب .. وأن بمقدور أي إنسان يملك قدرا من الذكاء ان يعمل عقله فيها لكي يرى وجهها المصيب حينا ، فيقول انها لا تخرج عن نطاق الحقيقة ، ووجهها المخطيء حينا آخر لكي يحلم بأنها تدور في نطاق الباطل .. فيتقبلها في الحالة الاولى ويرفضها في الثانية ، فيما يسميه بعض الفلاسفة بمبدأ (تكافؤ الأدلة) .. تعادل أدلة السلب والايجاب ، أو تقابلها في أي من المواقف أو الافكار التي تطرحها الحياة البشرية والعقل الانساني ..

وإنه ـ حقا ـ لأمر محير دفع عددا من المفكرين والفلاسفة الى نوع من اللاأدرية وصلت ببعضهم الى نقطة مظلمة قربتهم من العبثية والعدمية والإحساس البائط باللاجدوى ـ مادام انه لا حقيقة مطلقة هناك ، ومادام انه مامن موقف يمكن إثبات بطلانه المطلق كذلك ..

ونحن في حياتنا اليومية ومناقشاتنا ، نستطيع ان نضع ايدينا على بعض ملامح هذه الثنائية المقلقة في الحكم على المواقف والافكار والاشياء .. فبدون دافع واضح ، مبرر ومنطقي ، تندفع لطرح والتزام مجموعة من التبريرات التي تظهر موقفا ما بمظهر الحقيقة المقنعة ، ويندفع آخرون ، إزاء الموقف نفسه ، وبالصيغة نفسها ، لكي يطرحوا



نقائضهم ويصلوا بالموقف الى حافة الباطل ..

وقد تنقلب اللعبة ، لغير مناسبة واضح كذلك ، فنطرح ادلة البطلان .. بينما يجهد الآخرون انفسهم لطرح ادلة الاثبات ! ! ..

واحيانا ، يخيل الى كل واحد منا في اوقات الغفلة والنسيان والانغمار اليومي ، او لحظات نرجسية والاعجاب بالذات ، إلى ان سلوكه يمثل تطابقا منسجما باهرا مع المنطق والمعقول .. إلا انه سرعان ما يتبين له ان الامر ليس كذلك ، فان تفكيرا يسيرا في طبيعة السلوك يدله على ان بامكانه ، من خلال الموقف الواحد ان يختار إتجاها آخر او اتجاهين ، وربما ثلاث اتجاهات .. يمكن

● إن التناقض يكمن أحياناً في الإنسان نفسه وليس في العالم الخارجي

● تلك هي مأساة المعطيات الوضعية باعتبارها نتاج عقل قد يخطئ وقد يصيب
● لأن الموقف الديني صادر عن الله العليم، فهو يحمل الصواب المطلق
● البعد الحقيقي للموقف، هو بعد إيجابي في كل الأحوال، أمراً ونهياً

بالقعود على أي منها والاستمرار عليه، أن يبدو منطقياً .. معتدلاً !!

عملة واحدة ذات وجهين، نلعب بها أحياناً نرميها في الهواء، فتغدو فريقين يقول أحدهما أنها ستستقر على وجهها (المصور) ويقول ثانيهما أنها ستستقر على وجهها (المكتوب) .. ويكون للصدفة وحدها الحكم الأخير في (الحالة) التي ستكون عليها العملة بعد استقرارها على الأرض ..

نفس اللعبة تمارس أحياناً كثيرة إزاء الأفكار والمواقف .. وبدون ما سبب واضح ينتهي الإنسان الى هذه الفكرة أو تلك، ويعلن قبوله لهذا الموقف أو ذاك ثم ما يلبث أن ينقلب عليهما ويتجه الطرف النقيض الآخر ..

تلك هي مأساة المعطيات الوضعية بما إنها نتاج عقل أو وجدان بشري قد يخطىء وقد يصيب .. قد يعانق الحقيقة وقد ينفصل عنها .. إن التناقض يكمن أحياناً في الإنسان نفسه وليس في العالم الخارجي فقط كما تريد أن تصور لنا النظرية الديالكتيكية .. والتوحد الذي يحدث بين النقائض حيناً بعد حين ليس سوى بسبب من الجهد البشري نفسه ..

والحل يكمن في خطوة واحدة .. ولكنها خطوة خطيرة .. واسعة .. بعيدة الحدود .. إنها تجاوز التشبث بالاحكام والمعطيات البشرية لانها ليست نهائية بحال من الأحوال، ولأنها تعاني في كثير من الأحيان من مأساة (تكافؤ الأدلة) .. تجاوزه الى الالتزام بمصدر للمعرفة .. يقين الموحى به من الله سبحانه ..

إن الله سبحانه، هو أدرى بخلقه، يعلم نسبية القدرة البشرية على المعرفة، وإمكاناتها في الوصول الى الحقيقة ومن ثم يعينها بمنحها قدراً من (الضوابط) والمعارف الشاملة، والمطلقات، والمؤشرات النهائية، لكي تتحرك على هديها عبر صيرورة زمنها الجاري وحياتها المتحققة .. هناك حيث لا تذبذبات ولا تناقضات ولا وجهان للعملة الواحدة، ولا التزام انتقائي بهذا الجانب من الموقف أو ذاك .. ولا تحوير للممارسات التطبيقية الى لعبة عشوائية تقع فيها العملة على احدى صورتيها ..

إن الموقف الديني، بما أنه صادر عن الله العليم، يحمل الصواب المطلق (نعم) حيث يجب أن تكون .. و(لا) حيث يجب أن تكون .. ليس ثمة (لا) و (نعم) معاً في الموقف الديني .. وما يبدو في هذا الموقف أحياناً من ضغوط تبدو موجهة ضد الإنسان في الظاهر .. من ممارسات قد تكشف عن بعد سلبي خادع يتضح في المدى البعيد أنها قيمة إيجابية ضرورية في التكوين النهائي لصورة الخارطة الشاملة للموقف كله ..

وكثيراً ماينبهنا القرآن الى ذلك .. الى ألا نتسرع في الحكم على المواقف والأشياء لمجرد أن نرى فيها بعض الفجوات التي قد تكون أشبه بالمسالك التي لابد منها لخروج الهواء الفاسد من أجل التحقق بالصحة والعافية .. ويدعونا الى أن نمد رؤيتنا الى أبعد المواقع والآفاق .. أن ننتظر إذا اقتضى الأمر .. لكي يتبين لنا البعد الحقيقي للموقف، وهو بعد إيجابي في كل الأحوال، أمراً ونهياً

(لكي لا تحزنوا على مافاتكم ولا ماأصابكم) .

(لكي لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم)

(وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم)

(فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً) .

ومهما يكن من أمر فإن الانسان سيظل في حاجة الى هذا المصدر الديني الولي الذي يتميز بالشمولية والامتداد .. وإلا طحنته الثنائيات، وضيعته تناقضات الموقف الواحد .. منذ اللحظة الأولى التي علم الله سبحانه فيها آدم الأسماء كلها، وهبط به الى الأرض .. الفرد في روعه وابنائه من بعده .. أن عليهم أن ينتظروا تعاليم السماء، لأن ما تعلمه آدم في البدء ليس نهائياً، ولابد من (دين) يقوده وابناءه من بعده على الطريق المستقيم (.. وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع الى حين . فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم . قلنا اهبطوا منها جميعاً فاما يأتينكم مني هدى فمن يتبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون . والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) ..

وليس ثمة حل وسط ..

إما الصراط المستقيم الواحد وإما التشتت والتبعثر والضياع عبر ألف طريق وطريق ..

وليس ثمة أكثر دلالة ووضوحاً من كلمات الله (وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) .

صلاح عبد الصبور

مقتطفات الخمسين

فكأنها وكأنهم أحلام

حين خرجت مجبور الخاطر من عيادة الدكتور ابراهيم ناجي شاعرا، وبعد أن امتص بسماحته الودود بين شعره ومترجماته من شكسبير وبودلير، طرت الى أصدقائي من زملاء الجامعة أتشهى الى سعدت بلقاء شاعر كبير زموته، وأنه قد تكرم عليّ فدعاني الى أن أزوره كلما تيسر لي الوقت، وأنه استمع الى إحدى قصائدي فأعجبوا. ثم رويت لهم كالمأخوذ بعضا من تعليقاته العابرة ونكاته التي لم أسمع لها حتى الآن مثيلا في رقتها وسماحتها رغم ما فيها من لذع وسخرية.

كان الأصدقاء في ذلك الزمان البعيد قلة بقيت صداقتها مع الزمن، تكبر ولا تشيخ. وكنا في الجامعة نتحلق حول شيخنا وأستاذنا المرحوم أمين الخولي، حتى إذا انقضت دروسنا نجتمع في إحدى مقاهي حي عابدين، لأن أحد أصدقائنا كان يحب زميلة لنا تسكن أمام المقهى. وها هو ذا الزمان قد مر، وأصبح أصغر أبناء الصديق والزميلة على وشك أن يتخرج من الجامعة.

كانت جلستنا موزعة بين قراءة كل منا لأصحابه ما ألقى الله عليه به من القول شعرا أو قصة أو نقدا، وبين طلب الشاي، ثم طلب الطعام من عربة يد كانت تقف إزاء المقهى، وتقدم الطعامين صنفا من الطعام لا أدري له اسما هو مزيج من الحمص والبصل ورائحة اللحم. حتى إذا أغلق المقهى أبوابه تحولنا الى حي الحسين، فجلسنا في مقهاه القديم، مقهى الفيشاوي، وكان صاحبه الحاج فهمي ما زال حيا، يتصدر واجهة المقهى بوجهه الأبيض الفاتر وجسمه السمين، وكان المقهى كأنه معرض شامل فيه من المرايا القديمة المكسورة، والأثاث البالي الرث، والوجوه التي كأنها نسخة من كاريكاتير الرسام دوميه، فإذا أهل رمضان زينه بعض النسوة اللاتي بعض من لوحات تولوز لوتريك، ثم هدأ على الجوانب بعض الفيوانات المختلفة والأعمدة الخشبية التي تذكرك بالعبث الفني العظيم الذي يصنعه سلفادور دالي.

ولا تسألني متى كنا نستذكر دروسنا، وقد كنا طلاب علم، إلا أننا كنا قد طلبنا من العلم الفرع الذي نحبه، فكنا ندرس اللغة أو الفلسفة، وهنا تهون الأمور فيما عدا دراسة اللغات المساعدة. وقد كانت عادتي أن ألم بالمنهج في بضع ليال قبل الامتحان، ولكن مع ذلك كان خاطرا في درس الأدب العالمي أو الأحوى، فقد كان لله عسيرا كل العسر في درس اللاتينية أو الفارسية أو التركية، وهي اللغات المساعدة. وأذكر عندئذ أن أستاذ اللغة الفارسية في السنة الأخيرة كان [illegible]

[illegible] التفاخر الغريب بين الكتب الغربية وخشيتي في التملق. فرحت له كاذبا - وليسامحني الله - إنني أعمل موظفا في النهار بحيث لا أستطيع حضور دروسه، وأنني أتم ليالي البيضاء في الحفظ والتحصيل، وأقضي ساعات نهاري كاتبا في مصنع. وواقع الأمر أن ساعات نهاري كانت معظمها نسكبها في مكتبة الجامعة، أو جلوسا على درجاتها التي حولناها الى رواق للمناقشة الأفلاطونية أو السخرية السقراطية.

بين ذلك كله كنت أزور ناجي أسبوعا بعد أسبوع، وأذكر في سبتمبر ١٩٥٢، وكنت قد تخرجت من الجامعة وعملت مدرسا في أحدى المدارس الاعدادية، أني زرته يوما في عيادته، فرأيته كسير القلب. فقد وشى به أحد الوشاة الحكام الجدد كما وشى بتوفيق الحكيم الذي كان مديرا عاما لدار الكتب في ذلك الوقت أنه غير منتج. كان ناجي عندئذ مديرا لمستشفى السكة الحديد في الدرجة المالية المسماة بالأولى، فأبت عدالة الحكام الجدد إلا أن تنزل به درجتين ماليتين بحجة أنه نال هاتين الدرجتين

محمد فريد أبو حديد



استثناء ومجاملة لصلته الحميمة بالمرحوم الدسوقي اباظة باشا (والد صديقنا الأستاذ ثروت اباظة)، وكان من محبي ناجي، وهو كاتب مقدمة ديوانه الأول (وراء الغمام).

وكانت نفس اليد التي بطشت بناجي هي التي بطشت بتوفيق الحكيم، فقررت إحالته على التقاعد بحجة أنه غير منتج. ولكن القدر قيض لتوفيق الحكيم حظا مضمونا، إلا أن جمال عبد الناصر كان قد قرأ له في صباه أحد كتبه فأعجب به، بينما لم يقرأ أحد من الحكام اليوم لناجي ما يرضيه عنه، وهكذا انكسر قلب ناجي وأظنه قدم استقالته من عمله الحكومي في ذلك الوقت مكتفيا بعيادته.

كنت عندئذ مستمعا محبا لشكواه، وكان لدي ما أشكوه له. فلم أكن مدرسا ناجحا بحال من الأحوال. وكان مفتشو اللغة العربية، ومعظمهم من قدامى رجال التعليم، حين يزورونني في الفصل يضيقون بما يشاهدونه من إهمالي وقلة بضاعتي من القواعد، حتى أن أحدهم كتب في تقريره عني إنني لا أصلح للتدريس. فقد كنا - السادة المفتشون وأنا - ننتمي الى مدرستين مختلفتين، هم من أبناء دار العلوم القديمة وأنا من أبناء كلية الآداب. وكان من المدرستين في اللغة والأدب تصور يختلف عن تصور أختها، وكان مما يزيد على الأمر ضغثا مختلفي المجموعة مدرسي اللغة

● أبو شادي أو أحمد من أحكام الصنعة الشاعر ، ومشكلة أبو شادي [illegible]
● قصائد [illegible] في الشعر العربي الحديث ، لم يصنعها الزمان

أحمد أمين



العربية في نادي المعلمين ، إلا أننا مجموعة تتراوح بين العشرة والخمسة عشر معلماً تتراوح أعمارنا بين مشارف الستين وبدايات العشرين . وكان حديث المرح يتنقل بين الاثنين من القول في العلماء والنقوديات وهم الأطفال وتكد الزوجات حتى يضيق ذرع الزوج ويثقل حمله . حتى إذا جاءت فسحة الساعة العاشرة أرسلنا في طلب صحون الفول وقراطيس الطعمية وثلاث الخبز . فما تكاد تمر دقائق حتى يختل الكل ويبقى قاع الصحون ، وتلقى القراطيس القليلة في السلال ، ثم يدور الشاي بعد ذلك دورة أو دورتين ، وكل ذلك سويا العجب فيما لا يزيد عن خمس عشرة دقيقة .

وكان سمرنا الليلي في ذلك الزمان ، وقد أصبحنا جميعاً معلمين في المدارس - في نادي المعلمين بميدان الأوبرا ، وهناك تعرفنا ، وهنا آن الأوان فحان أن أقدم إليك مجموعتنا التي أشرت إليها في أول الحديث باسم إبراهيم جرت به عليها أحوال الزمان . كانت هذه المجموعة التي عرفت فيما بعد بالجمعية الأدبية المصرية مكونة من فاروق خورشيد الروائي ودارس التراث الشعبي العربي ، عز الدين إسماعيل الشاعر الناقد ووكيل كلية آداب عين شمس فيما بعد ، وعبد الغفار مكاوي القصاص الفيلسوف المترجم ، عبد الرحمن فهمي الكاتب القصاص السيناريست ، وكان في

ذلك الوقت موسيقياً أيضاً ، وأحمد كمال زكي الشاعر الناقد ، وهاأنت ذا ترى أن ثلاثة منا أصبحوا دكاترة وصاروا أكاديميين ، وثلاثة اختاروا أن يكونوا كتاباً لا يحملون إلا شهادة لا إله إلا الله وشهادة الليسانس .

وتعرفنا في نادي المعلمين بالمثال كريم وكان معلماً رفيع القدر ، وأديباً عالي الشأن ، وهو المرحوم محمد فريد أبو حديد ، وجعلنا أبو فريد ينضمنا تحت جناحه الوارف ، ولعله هو الذي أسلح ما بيني وبين وزارة التربية والتعليم التي كان هو [illegible] مستشاريها [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible]

[illegible] أحمد أمين الذي يوم أنه يرغب إغلاق المجلة لما تسببه وتصيبه لجنة التأليف والنشر من خسارة محققة ، وهنا اقترح عليه فريد أبو حديد أن يعهد بتحريرها لجيل من الشباب ، فسأله أحمد أمين عن هذا الجيل ، فرشحنا له ، وهكذا أصبحنا بين أغسطس ١٩٥٢ ، فبراير ١٩٥٣ مسئولين ، ونحن في أوائل عشريناتنا عن مجلة الثقافة ، نجمع مادتها ونرتبها ونعد رسومها ونكتبها على ونرسل حروفها أحياناً ، ونبيع بعض أعدادها أحياناً أخرى . والذكر أنني كتبت هذه الفترة قصتين قصيرتين قد تستهوي قراءتهما الباحث في تاريخي الأدبي إن كان لي تاريخ ، كما نشرت فيها أول قصيدة لي في الشكل الشعري الجديد ، وهي قصيدة (أبي) .

ولكن ما هو أهم من ذلك كله هو الذي أتاحت لهذا الأمر صديقي الكبير إبراهيم ناجي ، فأشهد له ، وحيائي بأن أعطاني سورة قصيدتين بخطه ، مطلع أحداهما فيما أذكر

صوتك الحسن لمبير الوجود
والشعر من هاماته كلله

وليتني احتفظت بأصول القصيدتين بخطه ، فقد أضاعهما المطابع ، ولم أعن باسترداهما ، إلا كنت قرأ لا أدري كيف أحتفظ بأصل التذكارات ، وكيف للشباب أن يعرف أنه سيفتش ذات يوم عن ذكريات عمره الضائع ، بكل ما في قلبه العجوز من وجد وانكسار .

ومن نافلة القول أن أذكر أن الذين عاصروا هذه الفترة من أقواننا يذكرون أن هذه الشهور من عمر المجلة كانت من أزهى أيامها ، ولعل من الانصاف أن أذكر أننا سننا فيها الفن التشكيلي لأول مرة ، وكان من رائدنا في تقديم هذا الفن سواء رسم اللوحات التوضيحية أو التعليق على المعارض الفنية جماعة من ألمع فناني مصر أذن منهم المرحوم عبد الهادي الجزار والصديقان حامد ندا وجاذبية سري . ولكن ذلك كله لم يرض أساتذتنا أحمد أمين والحاضر في مصر ، والحياة الأدبية لا تحتاج تستقبل مجلة أدبية بما هي أهل له من تقدير . وهكذا كاتفنا المرحوم فريد أبو حديد وتوم أحمد أمين ، وطردنا من مقر المجلة بمارة كرداسة بطليين ، وعدنا إلى جمعية المعلمين (ومحرقة للنجح) .

ومرت أيام ، وفي إحدى الأمسيات كانت في نادي المعلمين حين حدثني صديق كان يعمل في إحدى الصحف أن ناجي قد مات ، وكاد الخبر أن يصعقني ، فقد كنت قد رأيته قبلها بيوم واقفاً ينتظر الترام أمام مبنى الإسعاف المجاور لمبنى التليفونات في شارع رمسيس الذي كان يسمى قبلها بشارع الملكة نازلي . وحين طال بنا الانتظار تسلينا بالتعليق على وجوه الملاح والقبائح من عاملات التليفون الخارجات من مقر عملهن ، حتى جاء الترام ، فودعته ومضيت على أمل لقاء .

ومضى ناجي ... أعذب قيثارة في الشعر العربي الحديث ، مضغوط الحق في كل مجال إلا أن ينصفه الزمان ، وليس القدر على استحال خطاه في حديث قلبه

د. حسن أبشر الطيب

المدير بين الوهم والحقيقة ؟

القيادة الادارية .. كيف تكون ؟

لقد اتفقت المدارس التقليدية في علم الادارة بما فيها نظرية البيروقراطية لماكس فيبر ونظرية الادارة العلمية لفردريك تيلور ونظرية المبادىء الادارية للوثر جيولك سهما كبيرا في تأصيل ما عرف بالمظاهرة الرسمية للتنظيم . كان الهم الاول عندهم هو تركيز التخصص ، تحديد الادوار ، التدرج الهرمي في السلطات قياس العمل وتحديد معايير لمعدلات الاداء . لهذا كان من الطبيعي ان تخلص هذه النظريات الى القول بأن المهمة الاساسية للقيادة الادارية في المنشأة هي التثبت من كفاءة كل العمليات الداخلية بحكم انها المحور الاول والاخير الذي يحقق الكفاءة الانتاجية في المؤسسات .

ان هذه المبادىء الادارية التي سادت في الثلاثينات والاربعينات من القرن العشرين قد افادت في تحديد بعض الاطر العلمية واعانت في تقنين بعض الاساليب التي حكمت الصلة في المناشط الادارية بين نسبة التكلفة الى المنفعة . لكنها ظلت قاصرة عن وضع تصور متكامل للفعالية الادارية إذ انها باتت حبيسة منظور مغلق معاييره الاول والاخيرة بالجوانب التفصيلية والفنية داخل اطار التنظيم .

الحقيقة الفعلية

ان تصور العملية الادارية في منظور منغلق يقود الى مطلبية تتنافى وجوهر الادارة الفعالة إذ انه يغفل تفاعل التنظيم مع البيئة الخارجية بكل عناصرها السياسية ودوافعها الاقتصادية وقيمها الاجتماعية والثقافية .

ان تصور المنشأة كمحور منعزلة عن بيئتها وهم يجافي واقع الحال . فطبيعة الاشياء تشير الى ان كل تنظيم اداري يحتاج بالضرورة الى مدخلات ترد من البيئة في شكل موارد بشرية احيانا وفي شكل امكانات مادية احيانا اخرى . وللتنظيم في ذات الوقت مخرجات تفيد منها البيئة في شكل معلومات او خدمات او منتجات . لهذا فان الحقيقة الذهبية في علم الادارة الحديثة تقول بان التنظيم الاداري لكي يقوم بواجبه وينمو النمو المطلوب لابد له ان يخلق علاقة توازن ديناميكي مع بيئته المتغيرة . جوهر القضية يتمثل في حقيقة ان الكيان الاداري الفعال لابد له ان يحقق درجة معينة من التوازن مع بيئته بالقدر الذي يمكنه ، بصورة متصلة ، من استيراد المدخلات الاساسية التي تعين في استمرارية العمليات التي يقوم بها والوفاء بالاهداف الكلية المحددة للمنشأة .

ان خلق واتساق علاقة التوازن الديناميكي بين التنظيم وبيئته المتغيرة يمثل الجوهر الاصيل لواجب القيادة فهي المناطة بمهمة العمل المتصل لابقاء على المنشأة في حالة فعالية متصلة . من هذا التصور الكلي لواجب القيادة تنبع المهام الثلاث الاساسية التي ينبغي لها ان تنهض بها وهي : العمل على استقرار واستمرارية التنظيم ، السعي للتعديل والتغيير حرصا على تأقلم التنظيم مع المتغيرات الايجابية في البيئة ، ابتداع النظم والسبل التي تحقق للتنظيم النمو والتطور بالقدر الذي يمكنه من استكشاف متطلبات المتغيرات المتجددة قبل حدوثها .

استقرار واستمرارية التنظيم

بما ان التنظيم يتكون من انظمة فرعية متعددة تتفاعل مع بعضها البعض وترتبط مع البيئة بعلاقات متشابكة فان القيادة الفعالة لابد ان تكون مستوعبة لهذه العناصر لضمان تحقيق الترابط الذي يوجه كافة المناشط وصولا للاهداف الكلية .

فالقيادة في غايتها هي المقدرة على التأثير الايجابي والفن في تحقيق التنسيق المتصل بين الكيانات الداخلية لبلوغ النتائج المطلوبة . ان عدم قيام القيادة بهذه المهمة على الوجه المطلوب يقود بطبيعة الحال الى غياب النظرة الكلية ، الامر الذي يفسح المجال للصراع بين الجزئيات والازدواجية



في التخطيط والتعدد في الاهداف وذلك حال ينتهي بالتنظيم الى التفكك وغياب الهدف الموحد مما يجعل من اليسير تقويض الدعائم المكونة له أو المحققة لاستمراريته .

التأقلم مع المتغيرات البيئية

نسبة لأن التنظيم لا يمكن ان ينشأ كجزيرة منعزلة عن بيئته فانه بواقع الحال صاحب علاقات متصلة ومتفاعلة مع عناصرها المختلفة . وبما ان هذه العناصر البيئية لا تبقى على حال واحد بل تتغير وتتعدل وتتجدد من وقت لآخر فان مواكبة التنظيم لكل هذه التعديلات ضرورة لازمة لخلق التوازن الديناميكي معها الذي يمكنه من التكيف والتأقلم مع الجوانب الايجابية منها . من هنا تنبع مهمة القيادة في استقبال التغذية الاسترجاعية من البيئة وتحليلها والاستفادة منها في معرفة ماهية المتغيرات الجديدة والضرورات التي تستوجبها سواء اكان ذلك تعديلا في تكوين التنظيم او علاقاته أو أهدافه .

صلات دائمة

لكي يتسنى للقيادة الافادة الكاملة من التغذية الاسترجاعية بشكل متصل ومنتظم فانه لا غنى لها من خلق صلات دائمة مع كيانات اساسية في بيئتها هي :

● اولا : مراكز السلطة : وتضم كل الكيانات المحددة والمنظمة للسلطات التشريعية ، ان الاتصالات المتصلة بهذه الكيانات ضرورية جدا في المراحل التأسيسية التي تحدد الوضعية القانونية للمنشأة ، وتظل اهميتها باقية حتى بعد تجاوز مرحلة الانشاء اذ انها قد تؤثر عن طريق القوانين العامة التي قد تضعها لاحقا في كيان المنشأة أو في جانب من جوانبها الاصيلة . ان استمرارية الاتصال ومتابعته مع هذه الكيانات التشريعية يعين في التعرف على ما يجد من قوانين قد تؤثر بصورة مباشرة أو غير مباشرة على أهداف المنشأة او كيفية الاداء فيها . كما وانه يتيح لقيادة المنشأة ان تغذي هذه الكيانات برأيها وتصوراتها العملية التي تعين في صياغة التشريعات الجديدة ذات التأثير المباشر في وضعيتها أو طرق الاداء فيها .

● ثانيا : الكيانات الوظيفية التي تمثل عملا مكملا او مماثلا أو هي المستهلك لمنتجات المنشأة أو المستفيد من خدماتها . ان الاخفاق في تحقيق اية صلة من هذه الصلات الثلاث يقود الى تقويض ركن اساسي من جوانب العمل الامر الذي تنعكس سلبياته على أداء المنشأة بشكل بين .

● ثالثا : الكيانات الممثلة لقيم المجتمع ، وهي صلات تنبع جدواها من جانبين : فهي في المكان الاول تحفظ للمنشأة سلامة الاتجاه بعدم الدخول في مجالات ـ مهما كانت جدواها الفنية ـ اذا كانت تتعارض مع القيم الروحية او العرف الاجتماعي والثقافي السائد في البيئة . وهي ايضا تعين المنشأة من جانب آخر في توسيع دائرة تفردها باستقطاب جهود الكيانات التي تتبنى وتتبنى قيما وأهدافا مماثلة لنهجها وأهدافها . ان ارتباط المنشأة الوثيق بالقيم الفعلية لبيئتها يجعل وجودها جوهريا لا تكاد ازالتها لاسباب فنية بحتة امرا صعبا ان لم يكن في بعض الحالات مستحيلا .

● رابعا : الرأي العام : فهو المناخ الكلي الذي لا يمكن للمنشأة ان تعيش خارجه وفيه تتبلور آراء الافراد والجماعات المميزة ازاء القضايا والاحداث السياسية والاقتصادية والاجتماعية وفيه ينعكس تقييم المنظمات الفاعلة والعاملة في المجتمع . لهذا كله فان العناية بقنوات الاتصال لتحقيق علاقات التفاهم المتبادل والحفاظ على تنميتها بين المنشأة والرأي العام يعين في : بث المعرفة والترويج للسلع أو الخدمات التي تقدمها المنشأة ـ عن طريق المعلومات الكاملة والصحيحة ـ كما هي ايضا تعكس للقيادة رأي الجمهور فيما تقدم والانتقادات البناءة التي يمكن الافادة منها لاحقا في تجويد الخدمة المقدمة . كذلك تعين المنشأة في كسب التعاون والتأييد لمواقفها لا سيما عند مواجهة الظروف الحرجة بما تشمل احيانا من ندرة في المواد المتاحة او في الحملات الدعائية المضادة غير المؤسسة على الحقائق . اضافة الى ذلك فان قنوات الاتصال المبنية على الرؤية الواضحة تتيح للمنشأة وجودا مميزا وكيانا ذاتيا خاصا يجعل من الصعب على بقية المنظمات التدخل فيه أو القيام بعمل ينتقل منه .

الترابط العضوي والوظيفي

ان تنمية الاتصال بين المنشأة وبين الكيانات الاربعة التي بيناها سلفا يحقق للمنشأة الترابط العضوي والوظيفي مع بيئتها ويعينها على

التكيف والتأقلم والمواكبة في تفاعلها الايجابي مع المتغيرات الاساسية •

جوهر القضية يتمثل في حقيقة ان اية منشأة لكي تتمكن من تحقيق اهدافها لابد لها من ان تطبع تلك الاهداف بالواقعية وتستمدها بالشرعية وتزودها بالوضوح الكامل وتدعمها بالامكانات والموارد المتاحة • ان أيا من هذه المزايا الضرورية لا يمكن تحقيقه الا بالصلات والتفاعل مع المكونات الاساسية للبيئة •

استكشاف المتطلبات المستقبلية

ان التنظيم الفعال عندما يزداد نموا تزداد عناصره المتخصصة تطورا بالقدر الذي يمكنه من تجاوز مرحلة التعامل بردود الفعل الى مرحلة السبق في استكشاف المتطلبات المتجددة على ضوء المؤشرات المقبلة للاحتمالات المرتقبة مستقبلا • لهذا فان المهمة الاساسية الثالثة للقيادة في اية منشأة تتصل باكتساب المناخ الملائم لابتداع النظم والاساليب التي تمكن التنظيم من استكشاف المتطلبات المتوقعة مستقبلا والعمل على تحقيقها عند الحاجة اليها • الجامعة مثلا كمنشأة ، فيما يقول الدكتور ملتون ، تكون فائدة لرسالتها وجدواها اذا لم تتجاوز بينتها ربع قرن من الزمان ٠٠ ويعني بذلك ان مناهج الجامعة واساليبها لابد ان تكون معدة للايفاء باحتياجات المستقبل الا ان خريجيها هم قادة المستقبل في الادارة والصناعة والزراعة وغيرها من متطلبات البيئة • ما يصدق في هذا المثال على الجامعة يصدق على غيرها من المؤسسات مهما اختلفت نوعية الخدمة أو المنتجات • أمامنا شواهد كثيرة في مجال الصناعة بشكل خاص ... في ... التي استطاعت البقاء والنمو في ساحة العمل هي تلك التي تفوقت تقنيا واستطاعت بقدرتها العلمية النافذة ان تبتدع اشكالا واشكالا ما استطاعه غيرها •

ان مرحلة الابداع وهي مرحلة تمثل النضوج المتكامل للمنشأة تحتاج من القيادة الى الجهد الذاتي في تكوين خلية البحث العلمي تعينها في رصد التجارب الماثلة وتحليلها وتصنيفها وتكون للمنشأة بمثابتها في مواقف الذاكرة • ثم لابد لها فوق هذا كله ان تعين القيادة في استقراء المؤشرات الحالية لوضع البدائل الممكنة سعيا لاشباع الاحتياجات المتوقعة مستقبلا •

يمكننا ان نخلص من هذا التحليل لمهام القيادة وواجباتها الى القول بأن هذه المهام في جملتها تثبت حقيقة جوهرية وهي ان طبيعة وظائف القيادة تتصل بالقرارات الحرجة التي تؤثر في الكيان الكلي للمنشأة وتبعد بها كثيرا عن القرارات الروتينية التي تتصل بالجزئيات الفنية داخل التنظيم فالقيادة في المكان الاول هي المحددة ـ بالتعاون مع التكوينات الداخلية للتنظيم ـ للأهداف الكلية مراعية في ذلك الواقع العملي من حيث الكفاءة والامكانات ، والظروف البيئية وما تفرضه من قيود أو عوائق • ثم ان القيادة في المكان الثاني هي المحددة لدور كل من الكيانات الجزئية الداخلية في تنفيذ الاهداف بالقدر الذي يحول هذه الكيانات من مرحلة الحياد الى مرحلة الانتماء والتفاعل العضوي والوظيفي مع بعضها البعض • ولابد للقيادة تحسبا لما قد ينتج داخل المنشأة من صراع بين الكيانات الداخلية ، الامر الذي قد يؤثر تأثيرا مباشرا في تحقيق الاهداف ، ان تعطي عناية خاصة لجهاز الاتصال الداخلي الذي يعمق التنسيق ويدعم التعاون ويضع البدائل العلمية لحل اوجه الصراع الداخلي • والقيادة هي ، قبل هذا كله ، المناطة بالابقاء على المنشأة في حالة فاعلية متصلة وذلك يعني بالضرورة تأقلما ايجابيا مع الظروف البيئية ، وجهدا ابداعيا موجها لاستكشاف الاحتياجات المستقبلية ، وسعيا متصلا لتحقيقها عند الحاجة اليها •

د• حسن ابشر الطيب







نعم .. في مسألة مناخ

من الحقائق العلمية التي لا مرية فيها ، ان الماس ، والجرافيت والسناج (الهباب) ، ما هي إلا صور ، لعنصر الفحم او الكربون الذي تتكون ذرته من نواة قوامها ستة (بروتونات) موجبة ، مع مثلها (او اقل او اكثر) من (النيوترونات) اللا مشحونة ، تدور حولها في افلاك مقدرة ، ستة (الكترونات) او كهيربات سالبة ، في نظام عجيب ، تحكمه (ميكانيكا الكم) ، أودعه الله في مخلوقاته تلك ، المتناهية في الصغر ، والتي لا تدركها الابصار ولكن تدركها البصائر لدى اولي الالباب من العلماء ... هذه الصور ، من عنصر الفحم إذا احرقت ايا منها ، في جو من غاز الاوكسجين ، فانك تحصل على غاز (ثاني اوكسيد الفحم) الذي تستطيع ان تذيبه في الماء ، مع السكر والليمون ، لكي تحصل على زجاجة من (الغازوزة) ، بيد انه لا شك في ان ثمن زجاجة من هذه ، او (الكوكاكولا) ، المذاب فيها غاز (ثاني اوكسيد الفحم) الناتج عن احتراق كمية من الماس ، يساوي ثمن انتاجه مصنع للمياه الغازية ... لمدة ... حيث يذاب الغاز الفحمي الناتج عن ... الحجر الجيري ، الذي تتكون منه ... قبلتنا الاولى ، المسجد الاقصى ... الجريح ، او الذي بنى عليه البطل صلاح الدين الايوبي (رضي الله عنه وارضاه) قلعة القاهرة الخالدة ، على جبل المقطم ، شرقي النيل ، وهو نفس الحجر الذي يغطي ارجاء شبه جزيرة قطر ، وتستقر فوقه عاصمتها ، الدوحة ، حيث تصدر هذه المجلة الفتية .. ولقد ثبت للعلماء ، ان الاختلاف البين في صور عنصر الفحم بحيث نرى السناج اسود حالكا ، يرمز للقذارة والاتساخ ، ونرى الماس صلبا وضاءا متلالئا ، يتحكم به (بنو قينقاع) اليوم ، في جانب هام من الاقتصاد العالمي ابتداء من مناجمه في جنوب افريقيا العنصرية ، ومرورا بمصانع تشكيله وترويقه في (نتانيا) بفلسطين المحتلة ((منذ سنة ١٩٤٨)) ، وامستردام في هولندا ، وانتورب في بلجيكا ، وانتهاء بسوق المجوهرات العالمية ، في نيويورك ، معقل قريظة الاكبر ، حيث لا يتحدث الناس هناك إلا بلغة الاشكينازيم (وهي خليط من العبرية والالمانية والخزرية يسمى اليديش) ، راجع الى الاختلاف في (المناخ) الذي تتكون فيه هذه الصورة او تلك ، من صور عنصر (الفحم) ، وانه لو قدر (للهباب) ان يتكون تحت نفس (المناخ) الذي تكون تحته (الماس) في عروق (الكمبرليت) ذات السحنة الصخرية (فوق القاعدية) ، التي كان اول اكتشافها في منطقة كمبرلي بجنوب القارة السوداء ، فان ذلك السناج كان يمكن ان يصير (ماسا) يخدش كل ما عداه من المعادن والفلزات والسبائك ويتلألأ تلألؤا براقا ، يكاد ان يضيء لو لم تمسسه

نار) او نور ، وتتمناه اجياد والاذان ومعاصم ، واناامل الغيد الحسان (متبرجات بزينة او محتشمات) ، والعجائز الشمطاوات المتصابيات ، سواء بسواء ... والمناخ ، في عرف الشعراء ، دون اعتراض من العلماء ، يمكن (للتكوين السناجي والهباب) ان تشبهه ، بمصنع (طرشي مخلل) او مدبغة جلود او مستنقع مجاري ، او سوق للاسماك (البحرية او النهرية) ، او مخزن للبصل والثوم ، بينما المناخ لتكوين (الماس) يشبه رائحة الهواء ، في ليلة مقمرة ، من اشهر الربيع ، بعد شتاء مطير ، بأي من بقاع الصحارى العربية بين المحيط والخليج (لم تتلوث بعد بمعطيات العصر) ... ويزيد الشعراء الامر ايضاحا ، مؤيدين العلماء في مسألة (تأثير المناخ) فيؤكدون ، انه لو توفر لانسان ، ذي مال وسلطان ، ان يجمع كل نوافج ... التي يصرعها الصيادون ، دون رحمة ، في جبال الهملايا ، وحواليها في الهند والتبت والصين ونيبال وبوتان ، وكل ما ينتجه الشيراوستي وامثاله ، وجميع ما يلتقطه البحارة على سطح بحر العرب ومجاهل المحيطين الهندي والهادي من كتل (العنبر) التي يلفظها الحوت ، لعله لم ... ، وكل ما في عدد (مساطير الزباد) في الصومال واثيوبيا ، وكل زيوت غابات الصندل ، والعود ، والاذخر ، والزعفران ، والنرجس ، والياسمين الفيومي ، والسر والخزامى ، والورد ، وما إليها من ستبل الطيب والرياحين ، ثم شاء حظه العاثر ان يحاول تمييز عبقها واريجها في منطقة (الجبل الاصفر) بشرق القاهرة ، او مثيلاتها في اية عاصمة عربية ، فان مناخ (المجاري) سوف يطغى على كل تلك الاطياب ، تماما ، كما يطغى (مناخ) دكان (مبيض نحاس) بدخان الكور والجرة الكبريت والنوشادر على (مناخ) بائع للشواء (لحما او دجاجا) على قيد خطوات ، وتماما كما لا يستطيع اي سمع مرهف ان يميز انغام ربابة ، او عود ، او قيثارة ، او كمان ، او (سمسمية) في محطة للسكة الحديد ، او في (ورشة) سمكرة ، للسيارات التي يطلقها سوء ادب السكارى او (الحشاشين) من السائقين .

والمناخ في اعتقاد العلماء والشعراء على السواء ، لصياغة المجتمعات البشرية مرهون بنوايا واعمال (النظم الحاكمة) على مستوى العالم اجمع ، فهي التي تستطيع ان تجعل من مجتمعاتها ، مخازن للثوم والبصل ، لا تبين فيها خلاصة المسك الاذفر ، مهما كثرت ، او تجعلها مصانع لتخريج القيم والمثاليات والفضائل والمكارم ، التي تتصدى للجاهليات المعاصرة ، وتغيير المناخ ، ليس شعارات تطرح ، وعبارات تدغدغ الجماهير ، إنما هي إيمان بالله يصدقه العمل ، البين الواضح ، خلوا من النفاق والانانيات والشهوات والضلالات والاكاذيب ، حتى نصنع بدل السناج ماسا مضيئا .



عايدة الشريف

من مذكرات شاهدة ربع قرن

هل آن الأوان لفتح ملف زيارة سارتر إلى القاهرة؟!

حدث وأنا أرافق سارتر والمثقفين.. في بلدي



نقرأ خلف الموجة .. وتركيب تربة الشاطئ .. بما تحدثه الموجة .. من تأثير. فإن كان الشرخ غائرا عميقا ، أدركنا مدى شدتها وقوتها . أما إذا لم تخلف شيئا فإن ذلك قد يعني ضعفها وهونها ، وقد يعني أيضا عدم استعداد التربة للتلقي.

فما تأثير زيارة سارتر إلى مصر .. وماهو الأثر الذي تركته ؟

إن كتب لويس عوض «دراسات أوربية» تأمل في مقالته «الثقافة الوجودية بلا دموع» . « كيركجارد » يقول الدكتور لويس:

جاء ضيفنا العظيم جان بول سارتر وصاحبته الكبيرة سيمون دى بوفوار ، وزميلهما المعروف كلود لانزما رئيس تحرير مجلة العصور الحديثة (وهو مدير التحرير .. وسارتر هو الرئيس) ، المهم يستطرد د. لويس : لن أقول لك إن سارتر ولد ١٩٠٥ أو إنه حاصل .... وإنما سأبدأ كلامي عن سارتر بتقديمه كفيلسوف أولا وكاتب ثانية ومنتهيا لأن نسمع الحصيلة التي وصلته من سارتر فنجده يقول : لقد اقترن اسم سارتر منذ ربع قرن أو يزيد بالفلسفة الوجودية ... وللوجودية قصة فكيف بدأت هذه القصة؟ . ثم تستمع إلى هذه القصة فلا تخرج بكلام إلا عن كيركجارد .

اقرأ جريدة الأهرام بعد وفاة سارتر ... ت . الحكيم يتحدث عن مفكر العصر .. الأوربي سارتر ، ويسأله الصحفي الذي أجرى الحوار هل حدثك سارتر عن مسرحياتك ؟ فيجيب الحكيم بنعم قرأ مسرحياتي المنشورة بالفرنسية ، وقال لي رأيا طريفا .. قال إنه لاحظ أن النساء في مسرحياتي أذكى من الرجال ، وهو مالم تلاحظه المرأة.. وعلى الأخص في بلادي .. فقد شاعت عندهن فكرة « عدو المرأة » . وإذا كان ذلك صحيحا فلا تعارض هناك .لأن ... الخ .

هذه هي حصيلة الانطباعات من قبل ومن بعد الزيارة :

إن سارتر لا يؤمن إلا بما يوحى به إليه عقله وفلسفته للحياة . لقد زار مصر .. وقابل من قابل فيها وزار قطاع



- استقبلناه بمظاهرة، وكان كلامنا معه أشبه بالصدى في واد مهجور!
- الصهيونية كانت كعادتها الأذكى منا على الزيارة، فأحسنت استغلالها
- لفك العلاقة بين سارتر وسيمون ولانزمان [illegible]
- [illegible]
- مواقف لم يكن سارتر نفسه [illegible]؟!

عزقوتحدث مع سكانها واللاجئين إليها .. لقد سمع ورأى ولكنه لم يتأثر قيد أنملة بما سمع ورأى .. وكان استقبالنا له أشبه بمظاهرة وكان كلامنا معه أشبه بالصدى في واد مهجور .. إلا أن الصهيونية كانت الأذكى منا والأقرب [illegible] في أهدافها. فقد دست كلود لانزمان بفكره الصهيوني المغلف بطبقة رقيقة مزيفة من الفكر التقدمي للتدخل [illegible] سيمون في وقت كان فيه سارتر يتأرجح بين الوجودية والشيوعية فاستطاعت سيمون بتأثير من لانزمان أن تسوق سارتر إلى أن يخرج عن قاعدته ويسير [illegible] كالمأموم وهو الفيلسوف الذي وضع النظرية والاستقلال الفكري قواعد أثرت على جيل وستؤثر على أجيال، فانتهى بما قدم إليه فترة .. قبل أن يعود إلى قواعده سالما. ولقد رأينا كيف كان لانزمان يقف في الظل وراء سارتر في كل زياراته فيسمعه صوت [illegible] واضحا مجلجلا وهو يهمس به إليه، وإلقاء العلم الفلسطيني بعيدا عنه في غزة وهو يرى بؤس اللاجئين إليها بأم عينه، ليس إلا دليلا صارخا على ما ذهبت إليه.

وهكذا حالنا مع أنفسنا ومع غيرنا من قوى العالم الخارجي المحيط بنا، على المستويين الفردي والجماعي نستقبل كل ما نعرضه على أنفسنا فعلى غيرنا بالزمر والتطبيل والمظاهرات والعواطف، ودون أن نقيم للعقل والمنطق والتاريخ وزنا ..

ألم يقل سارتر للأستاذ علي السمان، وهو محق في قوله هذا: لا تجزئني فتأخذ مني ما يعجبك وتطرح ما لا يروق لك، هذا هو المنطق الجدلي الذي يجب أن نواجه به أنفسنا ونواجه الغير به. لقد استطاعت الشيوعية به أن تجتذب سارتر إليها عدة مرات .. وكان كلما ينتفض عنها فترة تجذبه مرة أخرى، حتى انتفض عنها إلى غير رجعة، وعندها تركته بعد أن يئست منه في آخر محاولة. وهذا ما فعلته الصهيونية به. واستطاعت بذلك أن [illegible] في مثل علاقتنا مع مفكرين غربيين مثل سارتر نخاطبهم ونتعامل معهم بمنطقهم [illegible].

لقد كان توفيق الحكيم، بكل خبراته كمفكر لا يعرف عن العلاقة الغامضة بين الثلاثي سارتر وسيمون ولانزمان إلا بعد أن غادروا مصر .. وكتب العارفون عنهم ما كتبوا، مما دعا الحكيم تحت ضغط الحقائق لأن يعطي تفسيرا سطحيا عن علاقة سارتر بسيمون دي بفوار، وذلك في حديثه إلى جريدة الأهرام – بعد وفاة سارتر – حيث قال:

- كانت علاقة زوجية تقوم على التراضي والإيجاب والقبول دون تدخل من أي إجراءات عملا بمبدأ الحرية عند سارتر .. حرية الاختيار عند الإنسان هي الأساس، وليس مجرد الورقة أو الإجراء .. الخ.

وبعد: فقد شغلت زيارة سارتر إلى القاهرة عام ١٩٦٧ كما تعلمون. وعلى أثر وفاته طلب مني السيد رئيس تحرير الدوحة أن أكتب تقويما لهذه الزيارة، وأن أسجل انطباعاتي عنها، لا لأهمية الرجل أو الزيارة في حد ذاتها. فذلك حدث مضى وانقضى ومات الرجل بعد أن غير فكره ومواقفه أكثر من مرة. ولكن تدبرا لمواقفنا وتقييما لحساباتنا .. وربما لنشرا أخطاءنا بعد ذلك مع الناس الآخرين وفي ظروف مواتية أخرى.

أتيح لي أن أرافق سارتر وأراقبه في زيارته إلى القاهرة .. كمراسلة لمجلة الآداب البيروتية .. بعد أن الدكتور سهيل إدريس رئيس تحريرها أوكلني لتوجيه الدعوة لسارتر ورفقائه لزيارته في بيروت .. ولقد شجعني أن يفضل ذلك أن أكون قريبة منهم وأن أتتبع كثيرا من لقاءاتهم بالمستمعين ومن أوهم المنفرد مع المفكرين وأن أستمع إلى بعض آراء سارتر في أولئك وهؤلاء.

والحق أن السيدين عبد الملك خليل والمرحوم وحيد النقاش قد ساعداني كثيرا سواء في توجيه بعض الأسئلة، أو ترجمة بعض ما يسقط عن أذني من كلماتهم حتى التابع الصديد .. فلقد كان عبد الملك رفيقا كل الوقت للرفقة السارترية وكان يسرد لي دائما ما فاتني من الزيارة بسبب تعلقي * كومي .. يمشي باستمرار على أن

حدث وأنا أرافق سارتر




توفيق الحكيم


لويس عوض


جول الاريس

التشجيع في التحدث مع الضيوف بأية لغة، حتى لا يظنوا أنى مجرد مراقبة لتحركاتهم وملاحظاتهم لصالح جهة ما .. لا سيما وأنهم كانوا يعتبرون كلمة (مرسى) التي تنطق مني عفويا على باب التكلم الفرنسية بطلاقة، لعدم معرفتهم أن المصريين يستعملونها كالعربية سواء بسواء.

وقد كتبت تغطية لهذه الزيارة لمجلة الآداب.. ولكنها لم تنشر في حينها لأن هذا الحين تصادف مع نهاية زيارة سارتر لاسرائيل، وتصريحه بتأييد وجودها، مع حق عودة اللاجئين الى ديارهم (وكالعادة عندما يمسنا ضر نغضب وننصرف..) فأحكم التعتيم على أخبار سارتر من وقتها

ولم تتابعه الصحافة بعد ذلك بالشكل السابق حتى غابت عنا التحولات التي حدثت في أفكاره بعد ذلك، وإمتناعه عن توقيع البيانات التي تؤيد دولة اسرائيل واذكر أنني عند كتابة ذلك المقال، عانيت كثيرا من القفز فوق موضوعات وآراء كانت تصدم القارىء حتى في أساتذته الكبار الذين يكن لهم ولآرائهم تقديرا كبيرا.. لو تجاسر من كان في مثل سني وقلة خبرتي وتجربتي عندئذ على التصريح بها.. ولكن مرور ثلاثة عشر عاما على هذه الأحداث عملت كثيرا على استحلال هذه المهابة التي كنت أحسها في نفسي تجاه كثير من هؤلاء المفكرين وعملت أيضا على زوال الحرج لدي.

والحق أن هذه الزيارة قلبت كثيرا من أفكاري عن مثقفينا وعن سارتر رأسا على عقب، كنت أظن قبلها أن لقاءاتهما كزيارة سارتر ستجعل الحكيم ينفض عن نفسه هذا

الانغلاق الذاتي والميول الانصرافية التي تشكل أدبه .. والتي ألمح إليها كثيرا من الأدباء العرب.. وبدا بحجبة في التعرف على فكر الزائر وتطبيقاتها على حياته.. كنت أظن أن لويس عوض صاحب الثقافة الموسوعية الغزيرة سيتحلى بالموقف من المكانة الأكاديمية المتسرعة وشهوة إطلاق الأحكام السريعة، ولكن كله قد تبخر بنهاية الزيارة مما أكد لي أن العلاقة الثلاثية بين سارتر وسيمون والأزهار تعكس مواقف الثلاثة عاشوها كتجربة حياة. ولكن هذه الزيارة أكدت أن هذه المواقف تنسحب على أدق آرائهم وتحكم مواقفهم السياسية والاجتماعية.

فمن أين أبدأ.. وهل أكون منطقية مع هذا الانقلاب أن أبدأ من النهاية؟ ولكن إذا كانت النهاية محصلة لبدايات فكيف يرشد القارىء مفردات الموضوع بعد أن تعاكس سرده؟ لنترك الموضوع يأخذ مجراه حسبما اتفق.

مارس ٦٧

زار سارتر القاهرة في مارس ١٩٦٧.. واستمرت هذه الزيارة ستة عشر يوما، ولم تكن هذه الزيارة إلا آخر الدعوات التي وجهت اليه من القاهرة ومطل في تلبيتها بسبب تشككه في جدوى التجربة المصرية والقائمين على تطبيقاتها من فئة من الشعب وليست كل الفئات المتوجب أن تشارك فيها، وقد استمرت دعوات القاهرة متلاحقة لأنهم وجدوا أن هذا الموقف المبدئي منه، لم يمنعه يوما من الوقوف مدافعا عن مصر في وجه العدوان البريطاني الفرنسي الاسرائيلي على مصر سنة ١٩٥٦.. حيث وقف مهاجما

حكومته بقوله: إن فرنسا ذهبت لتقتل وتقتل شعبا، هذا الشعب الذي قررت أن تقتله ليس الشعب المصري وإنما الشعب الفرنسي نفسه.. فليس من حق أي رئيس لحكومة فرنسا أن يجرد الشعب الفرنسي كله من شرفه في حب السلام، ثم تأييده لمصر في كثير من مبادراتها ومواقفها في الستينات.

هذا كله بجانب متابعة مصر لتأييده لكل المظلومين والجوعى في العالم أجمع ومساندته لكل الحركات التحررية وعلى رأسها ثورة الجزائر.

وهناك سبب آخر كان وراء تسويف سارتر في قبول الدعوات التي وجهت اليه إثر كل موقف رجح فيه كفة مصر، ألا وهو معرفته أنه مع تلبية أية دعوة لمصر سيكون مطالبا بابداء رأيه في النزاع العربي الاسرائيلي وهذا بالطبع كان واردا عند المصريين عندما وجهوا الدعوة الأخيرة الملباة بشكل زيارة صحفية من جريدة الأهرام ومن مجلة الطليعة بالذات التي كان يرأس تحريرها الأستاذ لطفي الخولي.. ويأسم توفيق الحكيم كأكبر مفكر سنا وقدرا كما رأت الأهرام. فبالرغم من أن العرب قد قرأوا من سنة ٤٦ الى وقت زيارته لمصر دراسة سارتر (المسألة الوجودية) وتأكدوا أنه لم يوفق فيها، لأنه تصور أن طرفي القضية هما اليهود والنازية، أو الذي يضطهد والذي يقع عليه الاضطهاد أو المعادي للسامية واليهود.. ومع أن تصور المسألة اليهودية على أنها علاقة ثنائية تصور صحيح فهو تصور مبتور ناقص.. لأن القضية لا تقتصر على المجال السيكولوجي

لم تكن محاورة الرجل تتم عن شيخوخة عدوانية .. وإنما نتيجة معاناة عن محسوبية أحدثت توضيحه



فقط ، أو المستوى الثقافي فحسب بين فرد وآخر .. وإنما لها جذور تاريخية وأسباب إقتصادية وإجتماعية كان لابد أن يلتفت اليها سارتر .. وربما كانت الدعوة لاكمال هذا النقص البين .. الذي يتيح له بعد ذلك إكمال هذه المسألة

فقد صرح الاستاذ لطفي الخولي المشرف الفعلي على الزيارة .. انه قد وضع زيارة سارتر وسيمون ولانزمان الى الجمهورية العربية المتحدة التي تتم لأول مرة في إطار محدد ذي هدفين:

● معايشة التجربة المصرية والتعرف على الكفاح الذي يخوضه هذا الشعب بقيادة الرئيس جمال عبد الناصر

● وأن سارتر ورفاقه قد طلبوا بأنفسهم أن يتعرفوا على المعلومات الدقيقة عن القضية الفلسطينية فطلبوا زيارة منطقة غزة (كانت غزة تابعة للقطر المصري فقد تمت الزيارة قبل النكسة بشهرين) والتعرف على مشاكل اللاجئين ومعرفة الحقيقة من كل جوانبها

ولهذا فليس خافيا على أحد أنهم سيتوقفون في إسرائيل بعد تلك التي هي في مفهومنا ، فلسطين المحتلة ، لأنهم بكل اخلاص وأمانة حينما تسألهم عن القضية الفلسطينية يقولون (إننا نريد البحث عن المعلومات والمطابقة على الطبيعة قبل أن نقول رأيا) وربما يكون إستباقا مني أن أقول أن كلامهم كان يجانبه الحق .. المهم هذا عن الاطار الذي وضعه لطفي الخولي للزيارة .. أما الاطار الذي وضعه سارتر للزيارة نفسها ، فهو ذو شقين أيضا ، يتعلق الأول بحمل دعوى حيال مصر عندما وجهت الدعوة .. فاشترط لها أن يصطحب معه اليهودي كلود لانزمان .. ويتعلق الثاني بحيادية أمام ضميره .. الذي حسبه متعادلا .. يعرف الخصم والآخر .. فقال .. سوف أزور إسرائيل فور انتهاء زيارتي لمصر

وإذا تركنا زيارته لإسرائيل لأننا لم نزرها .. فهل لنا أن نتساءل عمن هو كلود لانزمان هذا الذي ... ؟ ... على الزيارة حتى ... حياتها ؟ وكيف ... الشخص ... هذه الزيارة كل الذي ... سيمون ... بهذه الشخصية وتأثيرها عليها وعلى سارتر ايديولوجيا وفنيا حتى يعاملوه كشخص مخلص .. مهمته تطبيق التعادل .. وليس كمدعو أصلي فيدراوا بذلك كالبيرة الذي قلب المرجع من الزيارة رأسا على عقب خصوصا أن ذلك كان منشورا منذ ٦٣ ومترجما بعدها عن دار الآداب التي كانت تملأ منشوراتها رفوف المكتبات والأرصفة المصرية لمن لا يعرف الفرنسية أو الانجليزية .

سيمون ولانزمان

لقد كتبت سيمون دي بوفوار عن علاقتها بسارتر وكل الذين أحبتهم من (الجرين) الأمريكي اللاتيني .. الى (لانزمان) اليهودي الشيوعي .. وذلك بعد أن انصرف عنها سارتر الى حبيبته الأمريكية (م) بجانب انشغاله في أن يبني ايديولوجية تقوم الانسان وضعه فيما هي تقترح عليه أن ينصرف الى حل تطبيقي .. فتقول إن مطمحا كالذي يشغل به سارتر نفسه كان غريبا على .. لأنه مشروع يخصه بشكل حميمي جدا .. حتى أن واحدا لا يستطيع أن يشاركه فيه .. ولو كنت أنا هذا الواحد .. وكنت أعزي نفسي بأن الأمر ليس كما كان من قبل ، وأن هناك في العالم من هم أتعس مني .. ولكن ، مامن شيء كان يمنحني العزاء .. بل على العكس كان هذا الحزن المقيت يجتذب الى كثيرا من الضيق والشكوى .

وكان هذا اليأس والكآبة يتسللان الى نفسي الى درجة جعلتني أتمنى نهاية العالم .. لكن ذلك كله عندما ظهر لانزمان في أفق حياتها الحبيبة وأسكنته شقتها .. وتقول عن فرد ذلك .. لقد حررني حضور لانزمان الى جانبي .. نفسي أولا على ألوان شيقي .. ثم انعش الاهتمام الذي كنت أحمله للأشياء ، وذلك أن فضولي كان قد فتر كثيرا .. رغم انه كانت بي رغبة في أن أراقب وأعمق وأتمم تجاربي القديمة .. ولقد كانت هذه التجارب بالنسبة للانزمان ، جديدة ، وكان يضيئها بنور غير متوقع .. وقد رد لي بفضله ألف شيء ، ألوان من البهجة والدهشة ، والانفعال والضحك وطوبية العالم .

أما عن هوية وايديولوجية لانزمان فتقول عنه سيمون : إن لانزمان قد حول اتجاه مجلة (العصور الحديثة) حين أصبح مديرا لها الى السياسة (وهو الاتجاه الذي كان قد رفضه الفيلسوف ميرلوبونتي المدير السابق لها) وتقول سيمون أيضا : إن لانزمان كانت له اليد الطولى في تحويل فكر سارتر الى اليسار المتطرف .

أما ما يهمنا من هذا الشخص في هذه الزيارة نفسها فهو هذا الكلام على لسان سيمون دي بوفوار عندما تأكد لانزمان من مقدار الحب الذي تكنه له وعدم قدرتها عن الاستغناء عنه : (بدأ يقدم نفسه لي بشكل

حدث وأنا أرافق سارتر والمثقفين.. في بلدي





صريح فكان يقول أولا: إنني يهودي (اسرائيلي) وكنت أعرف وزن هذه الكلمة، ولكن لم يكن واحد من أصدقائي اليهود قد اهتدى معنا بشكل كامل (أقر كانوا) يسمعون من يسمعهم كيهودي على الأقل أو ماركسيين.. أما الآن فكان يطالب بهذا الوضع. ولكن هذا الوضع يقود مثاله وقد كان في الأصل يهودي الأوروبي [illegible] من هذه الأصل الذي [illegible] (رجاله) [illegible] التي [illegible] كلام لانزمان [illegible] المدلولات [illegible] (الشيطانية) [illegible] لها بالمرة في المستقبل.

هذا هو المنحى الفكري والسياسي لكلود لانزمان الذي أثر بشكل مباشر على علاقته بسيمون دي بوفوار وسارتر.. أما تأثيره عليهما خلال رحلتهما إلى القاهرة والتي كان المفترض أن يكون عكسيا فهو ما سننتبه خلال منعطفات هذه الزيارة بعد أن نستعرض تفاصيلها التي تميزت بمبالغات لن نعرف مداها في نفس الرجل وعلى صعيد الواقع إلا إذا عقدنا مقارنتين: مضاهاتها أولا بكل الزيارات التي قام بها سارتر نفسه إلى أمريكا والاتحاد السوفيتي والصين وكوبا وغيرهما حيث عومل فيها كمفكر وجودي محدد القدرة على اتخاذ رأي في كل قضية معاصرة.. ثم مقارنتها ثانيا بالدعوات التي لباها قبله كثير من زعماء ومفكري العالم أمثال كخروشوف، وشوان لاي ونيكسون وغيرهم.. أو كتاب برنارد وجاربه، وبرتراندشو، وسومرست موم، وتوينبي.. حيث عاملناهم كعلماء وفلاسفة ومفكرين في حيزهم الطبيعي.. عندئذ سنعرف مدى المبالغة التي صاحبت هذه الزيارة.. لقد استقبلته مصر ليس كمفكر وإنما كمنظمة دولية أو عدة منظمات ذات أحكام ملزمة لاتقبل النقض.. رفعناه إلى أعلا الآفاق.. وعلقنا عليه أعظم الآمال.. وللأسف أعطى هذا الترحيب المبالغ فيه تأثيرا عكسيا ليس على غرض الدعوة فقط وإنما على الرجل نفسه حيث كان وجهه ينقبض حينا ويتفرج بالسخرية أحيانا أخرى لدرجة أنه حينما كان السيد علي السمان مدير وكالة أنباء الشرق الأوسط في باريس والذي صحبه إلى القاهرة في هذه الزيارة يقرأ له منشتات الصحف الحمراء التي تنعته بالبطل والرائد والحر والإنسان، يصيح السمع وحتى يترجم له قصيدة محمد إبراهيم أبو سنة، أو موضوعات العدد الممتاز الذي أصدرته مجلة (الفكر المعاصر) عن أصالته ومواقفه.. ومقدمة الأستاذ مجاهد عبد المنعم مجاهد التي كتبها تحت عنوان (سارتر ضمير العصر)، كان سارتر يتساءل بعدها أنا ضمير العصر كله.. أنا لست حتى ضمير نفسي.. ثم يطلب ضاحكا من لانزمان أن يتمسك عنه ببعض هذه الألقاب.

من القاهرة للأقصر

ولكن نقدر أن سخريات هذا الرجل لم تكن تنم عن طبيعة عدوانية، وإنما عن مبالغة غير مستوية أخفت تواضع الرجل.. لنتتبع رحلته وكلماته من بدايتها.. لقد أرسلت له طائرة خاصة لتقله من باريس إلى القاهرة.. وقبل نزوله منها شكر الطاقم على حسن ضيافتهم.. ثم نزل إلى المطار ليعقد مؤتمرا صحفيا يسأله أكثر ما يسأله عن فلسفة الوجودية ليعلم الناس أسس الوجودية وهو ما جاء لهذا وإنما جاء بهدف





التعرف على الانسان العربي وتجاربه وتنطلق القافلة الكبيرة الى فندق شبرد ميدو إستقبالا أكثر بهجة .. ومندوبة من الجوازات والجنسية قد حضرت خصيصا لاستلام جوازات السفر وعمل الاقامة والمقدرة .. وبعد منتصف الليل يقرر سارتر وهو يمسك بذراع الاستاذ توفيق الحكيم أن ينطلق الى الخارج .. وأمام النيل الذي بهر سارتر بمراكبه البدائية والحديثة الرائحة الغادية يفيض الحكيم في الحديث عن باريس ومحاسنها ونهر السين والرأي ..

وفي الصباح تنطلق القافلة الى مدينة الفنون بالهرم .. ومن على مسرح معهد الفنون المسرحية يشاهدون ليس عملا مسرحيا مصريا أو عربيا وإنما تكريما للضيف الفرنسي فصلا من مسرحية جزيرة العبيد للمسرحي الفرنسي ماريفو وتحية له يقدمون مشهدا آخر من مسرحية سارتر الشهيرة (جلسة سرية) .. ويصفق لهم سارتر وهو يقول (لقد ابهجتموني .. وإنني أتمنى لكم كل توفيق ونجاح) ثم يجوس معهد وسط المكتبات وقد زينها الممثلون بأعماله الفرنسية والمترجمة أكثر من مرة .. فمسرحية جلسة سرية التي شاهدها قد ترجمت مرة تحت عنوان (رفعت الجلسة) وثانية (الجحيم هم الآخرون) وثالثة (من ثقب الباب) ويلفت لانزمان نظره الى ذلك بقوله لقد أخذوا كل هذه الترجمات بدون علمك .. فينقبض وجه سارتر ..

ثم تنطلق القافلة الى منطقة الحرانية حيث يتجمع في هذا الحي كثير من الفنانين .. وكل منهم قد جعل له مرسما .. حتى يصل الى مشغل الفنان ويصا واصف .. وقفت أرملة الفنان الراحل حبيب جورجي حماة ويصا واصف تشرح للزوار الطريقة التلقائية في إبداع هذا النوع من الكليم الذي غزت شهرته أوربا كلها والذي دبجته أيادي فلاحات عاديات .. يتهلل وجه سارتر ويشغل لانزمان ليوقف هذا الكليم .. [illegible] بأعمال اليهود [illegible] بعدها يستقلون العربات الى سقارة .. حيث يتسلمون [illegible] الأثري الفرنسي [illegible] الذي [illegible] [illegible] [illegible] الغداء [illegible] البلح وشارع [illegible]

وفي اليوم التالي يستقلون الطائرة الى الأقصر وينطلق سارتر وسط الشوارع والآثار .. ويتوقف عند المسلة .. غير المكتملة والمهملة .. ويسرح خياله وكأنه يقارن بالمسلة المصرية في ميدان الكونكورد في وسط باريس .. ولا يهدأ الوفد حتى مع المساء فينطلقوا الى معبد الكرنك وقد فرشه ضوء القمر .. فيتقافزون هنا وهناك .. ويبدى سارتر إعجابه بجمال (نفرتاري) زوجة (رمسيس) ويقول انها تستحق أن يبني لها رمسيس مثل هذا المعبد .. (معبد ابو سنبل) .. وتطير الطائرة في اليوم التالي مقلة إياهم الى السد العالي .. ويطل سارتر ليرى بعينيه معجزة القرن في افريقيا .. ويبدى تقديره البالغ للشرح الوافي الذي قدمه لهم الاستاذ احمد طلعت للسد العالي .. منذ أن كان فكرة وحلما يداعب المصريين الى لحظة تمامه .. وقدرته على مقاومة الكوارث الطبيعية وغير الطبيعية وفي أسوان يتوه الغين علم الاتحاد الاشتراكي .. بزيارات الوفدين الفرنسيين السابقين لأسوان في العام الماضي .. يعلن ترحيبه البالغ بسارتر وسيمون وتشتعل القاعة كلها حماسا وتصفيقا .. فيتكلم سارتر مع هذه الحشود بحماسة وود .. وتتكلم سيمون عن حقوق المرأة .. وعندما يوشك الاجتماع الحافل أن ينقضي .. تتلقى سارتر رسالة من عمال السد العالي بدعوته لمناقشة مفتوحة .. ويسر في أذنه لانزمان أن الذي وجه الدعوة هو الاتحاد الاشتراكي موضحا أن أعضاءه فئة تحتضنهم الدولة ومن ثم لايعبرون عن الآراء الحقيقية لمن وجهت الدعوة باسمهم .. فيميل سارتر الى تلقي القولي ويطلب تأجيل هذا اللقاء الى دعوة خاصة .. وبعدها يستقل سارتر والاستاذ محمود أمين العالم يختا يشق طريقه بهم في نزهة نهرية بين الصخور والجنادل .. ويرفع سارتر يديه ويشير الى روعة وعبقرية هؤلاء المصريين القدماء الذين لم يتركوا حتى الصخور والجنادل إلا ووضعوا عليها مقياسا للنيل .. وعلامة تهدي المسافر عبر الطريق .

وبعدها يشاهد فيلما عن الحرب في فيتنام .. وينتهز محمود العالم هذه الفرصة ليشير الى الجهود التي يجب أن تبذل من أجل السلام .. وبأن الوجودية ليست إغراقا في الذاتية .. ويتجاذبان أطراف الحديث حول الصراع الصيني السوفيتي .. وكيف أن الماركسية والاشتراكية قد ولدتا عددا من المتناقضات التي ينبغي على المثقفين تناولها بجدية وحماسة

سارتر في الجامعة

ثم يعود سارتر والجميع الى القاهرة .. ويبدي رغبته في اللقاء بطلبة الجامعة ويعلن عن محاضرة له في المدرج واحد بكلية

الآداب .. ولمعرفة المسئولين أن سارتر لا يحب أن يرى الحرس داخل ردهات الجامعة .. فقد أعفى الحرس من مهمة تنظيم هذه المحاضرة .. وكان لهذا الاعفاء اثر في الغاء المحاضرة أصلاً .. ذلك أن اغلب طلبة الجامعة ومن جميع الكليات بأقسامها المختلفة تركوا محاضراتهم وتجمعوا في المدرج واحد بكلية الآداب .. وعندما حاولت مع الدكتور سهيل إدريس إختراق هذا الجمع .. شبهنا الصحفيين ومعهم الاستاذ على شلش انه لم يعد في المدرج مكان حتى لقدم سارتر نفسه .. الذي حضر مذهولاً .. وهو ينظر اليهم ويتساءل هل كل هؤلاء قراء مؤلفاتي ؟ لا أظن .. إنني لست في نظرهم أكثر من موضة

وانتقلا لوقت سارتر .. عرج به المشرفون الى مكتبة جامعة القاهرة .. واستقبله مدير الجامعة والمرحوم الدكتور عثمان السباك [illegible] لكلية الآداب الذي اخذ يتحدث [illegible] الوجودية والاسلام [illegible] الوجودية مع الاسلام في كثير [illegible] القاهرة [illegible] العودة [illegible] الدكتور سهيل إدريس تكلمه عن ترجمة

(نقد العقل الجدلي) الى العربية .. وسارتر يهز رأسه وترتعش رقبته المتهدلة بالموافقة .. ويصل الى العربة التي ستقله الى الفندق مرهقاً .. فيطبق بالمشط على أصابع الدكتور سهيل ويفرك منها بما

وأمام فشل سارتر في القدرة على الالتقاء بالطلبة في الجامعة .. نظم له المشرفون لقاءاً آخر في قاعة الاحتفالات الكبرى بجامعة القاهرة .. فكانت هذه جولته الثقافية الكبرى .. تكلمت سيمون أولا عن حقوق المرأة وكانت قد أطلعت من قبل بالقيادات النسائية .. ثم تكلم سارتر فكاشف نفسه وطالبها بمزيد من الدقة والسياسة .. ثم وضع المهام على عاتق المثقفين من أجل إكتشاف أوضاع إنسانية جديدة .. وفكر لا يعرف الانغلاق أو التعصب

مع اللاجئين

ويحين وقت زيارة الوفد الى اللاجئين .. فيذهب الوفد .. ويجري طفل بيده لفة مستطيلة الى سارتر ويسلمها له .. فيفضها تلقائيا ويلتقط المصور الصورة ويجري لأترجمان إليه ليسر في اذنه .. ان ما بيده ليس إلا علم المقاومة الفلسطينية .. فيثور سارتر ويفور .. ويجري وراء المصور الصحفي الذي التقط الصورة .. خوفا من استغلالها لموقف سارتر من المقاومة .. ويصر على اخراج الفيلم وتعريضه للضوء .. ويتم له ما يريد .. ثم يدخل الى المعسكرات والمخيمات .. ويزور منازل اللاجئين المتواضعة ويتعرف بأم عينه على بؤسهم .. فيقف مشدوهاً بالعيون الحزينة التي تنظر عبر الاسلاك الشائكة الى يوم قريب في العودة الى منازلها وبياراتها بعد غيبة لمالى عشر سنة من الضياع والحسرة .. ومالى سارتر فأخذ يوجه الاسئلة ويستمع لاجابتها .. ولم تكن الاسئلة تتناول قضايا المعرفة أو حق المرأة .. أو الوجود والعدم ، أو نقد العقل الديالكتيكي .. او أي من هذه المشاكل المجردة المغرقة في غرابتها عن هذه الأرض البائسة مكسورة الجناح .. كانت اسئلة تتميز بالمباشرة والمواجهة والحقيقة .. ربما كان صمت سارتر ازاءها أقوى من كل تعبير كان في مساء بعض ذلك الحزن العميق الذي سبق أن عاناه هو في بلده اثناء الاحتلال النازي .. ووسط التضيع الانساني الذي شد اعماق الحاضرين تجهم وجه

سارتر لا يبحث أن الشرق الحزين ناطق رغبات العاصمة .. وهكذا أعمق الحزن من مهمته!

سارتر وهو يستمع للسيدة عفاف الادريسي المدرسة بوكالة غوث اللاجئين وزوجة وأخت الشهيدين عن خان يونس ويغلق الموكب عائدا الى غزة .. ويسأل سارتر أحد اللاجئين الى غزة .. هل الفلسطينيون وحدهم الذين سيحررون بلادهم أم أنهم سيطلبون مساعدة الدول العربية الأخرى. ويأتي الجواب على لسان عز الدين الشوا المزارع بغزة : ان الفلسطينيين أنفسهم هم الذين سيقومون بتحرير وطنهم.

ويسأل سارتر عن النظام الذي يراه واجب الاتباع عند النصر على الاسرائيليين .. وكيف سيعاملون هذه العناصر وهل سيرمونهم في البحر ؟ وكان المتحدث من الحماس بحيث فات عليه المنطق قال سوف ننتصر أولا ثم نحقق ما نراه .. عندئذ رأيتني سارتر .. إنه لابد لكل ثورة من فلسفة .. فمن الأفكار تنبع أكبر القوى وأعناها .. في هذه اللحظة تنبه أمثل الدولي لهذه الفجوة التي أحدثها الحماس .. فأوعز لاحتاهر بالتحدث الى سارتر .. فتقدمت الآنسة عصام الحسيني .. لتجيب على مخاوفه على مصير اليهود اللاجئين الى فلسطين سواء من الدول العربية كالعراق واليمن ومصر .. أو من أية كمنطقة في العالم فقالت بتحديد مخاطبتنا .. فالفئة الأولى لن يفرض عليها العودة الى تلك البلاد العربية .. لأن فلسطين العربية ستكون لهم وطنا سواء بسواء .. أما الفئة الثانية فعليهم أن يعودوا الى بلادهم الأصلية لأنهم وقبل كل شيء أوربيون متهودون .. وليسوا يهودا عاشوا في أوربا .. وبينما هذه الكلمات الناصعة تدخل إذن سارتر من جهة فيهدأ كانت كلمات لانزمان وملاحظاته عما رآه من نقع لجأ التفوق للآنسة عصام تدخل أذنه الثانية .. فيعود الى التحليل .. كل ذلك لم يمنع سارتر من التفاعل .. بل لقد استبد به الحماس برغم محاولة التمويه التي كان يقوم بها لانزمان ويعلن بأنه لن يذهب لاسرائيل الا بعد أن يتعهدوا له بأنه سيقابل كل العرب الذين يود رؤيتهم .. وبخاصة الموجودين في السجون.

في المسرح

ويعود الى القاهرة ليواصل بقية الرحلة .. فيطلب أن يرى المعبد اليهودي فيلبى طلبه ويذهب الى حي مارى جرجس بمصر القديمة .. ويتجول مع الأحبار ويزور الكنائس القبطية ويشاهد الآثار ويقارنها بما شاهده من قبل.

ويدعوه المسرح القومي بعد ذلك الى حفل شاي .. ثم يقدم له فصلا من مسرحيته (الذباب) تقوم فيها سميحة أيوب بدور اليكترا .. وفاروق الدمرداش بدلا من (طارق عبد اللطيف) بدور أورست .. ويقف فاروق الدمرداش في آخر الفصل فيلقي الى سارتر بكلمة تحية بالفرنسية فيشكره .. ثم يعتلي سارتر خشبة المسرح ليهنىء المخرج سعد أردش والممثلين بابداعهم .. وبعد حفل الشاي يعود الى خشبة المسرح ليتوه في مناقشات كبار النقاد المسرحيين التي لم يعرف لها بداية أو تسلسلا أو نهاية .. صعد سارتر ودي بوفوار والطفي الخولي وتوفيق الحكيم ولي وسطهم لويس عوض ليحكي نبذة عن تاريخ المسرح العربي وتمر [illegible]

سعد الدين وهبة

نعمان عاشور

سميحة أيوب

سعد أردش

تكمن مراحلها .. ويتحير سارتر .. هل الجمهور أبل ملاحظة من المحاضر .. ويستمر لويس .. يسلسل المراحل المسرحية من الكلاسيكية الى الرومانسية .. الى أن ينهيها بحركة سماها (الواقعية الملحمية) ويشد الاسم انتباه سارتر .. فيتوقف ليسأل عن خصائص وأسس هذه المرحلة .. ومن هو زعيمها .. ويقول لويس عوض .. انه سعد الدين وهبة ويبحث الجمهور عن سعد وهبة .. ويتوجه الاخير الى الميكروفون حائرا فانه لا يعرف كيف وضعه لويس عوض على قمة هذا المذهب الذي لا يعرفه .. ويقول محرجا أن الدكتور لويس عوض ربما قصد نعمان عاشور .. ويسرع ويذهب نعمان حائرا الى الميكروفون ليعلن أسفه وانكاره لمعرفة هذا المذهب ويطالب لويس عوض بأن يوضح ما عناه بالضبط .. وقد أعطت هذه المواقف المضحكة بلا شك صورة تقدر أثرها على الرجل .. وكل ذلك بفضل ولع لويس باطلاق الأسماء والمعاني كما حدث أكثر من مرة سواء في بحثه حول رسالة الغفران حيث راجعه الأستاذ محمود شاكر في كتابه (أباطيل و أسمار) أو تفسيره لكلمة معلق إمراة في مقاله عن العملة التونسية على أنها تعني حرية المرأة .. مع أنها تعني لا فرق بين عبده وعرضه بيضاء أو شقراء كما راجعه في ذلك الأستاذ عبد الجليل حسن.

وربما غيرت زيارة الرفقة السارترية الى كمشيش بجامعة الاسكندرية والتجول في مدق المسلمين بعض ما تركته تلك الليلة من انطباع .. فقد سعد عندما رأى الفلاحين يتدفقون نحوه في كمشيش يهتفون مطالبين بخدمة ويضع الطاقية على رأسه ووجد الطلبة أكثر هدوءا وتعقلا .. والأساتذة أكثر رصانة والطبيعة والصدق أكثر سخاء!! .. لذلك كان أكثر انطلاقا عندما عاد الى القاهرة لمقابلة المسؤولين.

عن الحكيم : لا !

وأبدع فشلي في الحصول على صورة من هذه اللقاءات الرسمية عرجت على المكتب المواجه للعمل في الدور الثاني من مبنى الأهرام القديم .. وهو مكتب توفيق الحكيم .. وكان سارتر قد زاره في هذا المكتب من أيام .. وأهداه الحكيم كل مؤلفاته بالفرنسية .. وفي اليوم التالي لهذه الزيارة .. كانت ألف وسط مجموعة من الصحفيين أمام

من مذكرات شاهدة ربع قرن



مصعد فندق شبرد .. ثم فتح المصعد وخرج سارتر وسيمون ولانزمان . فتقدمنا نحوهم ولكن سارتر مال علينا (وهو يحذرنا) : إياكم أن تسألوني رأيي في أدب توفيق الحكيم إن هذا لا يصح فهو رجل أكبر مني سنا وهو مضيفي الذي وجهت لي الدعوة باسمه ومن ثم فلا يصح أن أقول فيه رأيا .. كانت الكلمات تنطق من فم الرجل ، وهو يرتعش ورقبته المتهدلة تهتز .. وتعقبها كلمات سيمون الخاطفة كالطلقات .. لتمنعنا من توجيه الأسئلة .. وقال لانزمان بحدة إن الأسئلة كثيرة فلماذا تحصرون أنفسكم في هذا الموضوع بالذات ؟

وإذا كان سارتر نفسه أول من قال : (قد يكون الصمت موقفا ..) فالذي قد استشففت من صمته هذا موقفه تجاه توفيق الحكيم وأدبه .. والذي لم يكن سارتر هو أول من الفت اليه سنة ٦٧ .. وإنما سبقه اليه سنة ٣٤ أديبنا الصادق يحيى حقي ، والدكتور مندور من بعده ، والدكتور محمد يوسف نجم أخيرا .. فقد كتب أولهم في (مجلة الحديث) بطلب مقالته الشهيرة (توفيق الحكيم بين الخشية والرجاء) بعد أن قرأ (عودة الروح) ، (أهل الكهف) لكنه أن يجد الحكيم قد رفع شعار عهد الفراعنة حتى يثير الأحلام الجميلة لدى الشباب ..

من خلال عودة الروح [illegible] ثم [illegible] الأسئلة [illegible] الأمر في نفسه أن يكون [illegible] من عودة الروح مزدحمة فرنسيا وانطلاقة الشباب بعدم قراءة توفيق الحكيم .. وقد كتب بعده الدكتور مندور .. بأن توفيق الحكيم ينتهي من حيث ابتدأ .. وكتب الدكتور نجم أن أدب توفيق الحكيم أدب تلفيقي مستشهدا على ذلك بأصوله الفكرية المستقاة من الأدب الذي كان مطروحا أيام كان الحكيم في بعثته الى فرنسا .

وإذا كان هذا الرأي الضمني .. هو ما أبداه سارتر .. وهو رجل لم يكن من السهل خداعه أو التمويه عليه أو قسره على التصريح بفكرة لا يؤمن به ، مهما كانت دواعي المجاملة .. إلا أنه يكمن في أعماله قلب عطوف يرعى من حوله باهتمام وحدب كبيرين . فعندما دعاه توفيق الحكيم هو وسيمون ولانزمان الى حفل عشاء خاص .. إنقضوا عليه بأسئلة جادة حينا ومازحة وعابثة حينا آخر .. يسألونه فيها عن عدم حضور زوجته حتى يتعرفوا عليها .. ويتظاهر الحكيم بأنه لم يسمع جيدا السؤال لانصراف ذهنه الى الألحان العالمية .. فتميل عليه سيمون وتطوقه بذراعيها وهي ترفع صوتها لأعلى ما يتصور .. ولا يجد الحكيم إلا إبداء الأعذار .. ثم تنبري لسارتر الذي يلتقط الحديث ليكلم الحكيم عن دور المرأة في مسرحياته .. وكيف أنها صلاقة يتضاءل بجوانبها الرجل .. ثم يتشجع درجة أكثر فيأخذ على الحكيم بأنه لابد وأن يكون من الناحية النفسية (نرجسيا مازوكيا) ويضحك الحكيم .. وتلتفت حوله ليمنع المصور حتى لا يلتقط صورا له .. لأن سيمون كانت ماتزال تطوقه بذراعيها .

كانت حملة بكل هذه التفاصيل وأنا أجلس الى توفيق الحكيم .. وكان يوم لقائه وقد تعود كثير من المثقفين أن يلتقوا به في هذا اليوم .. فكان في ضيافته عبد الله الطوخي والأستاذ الناقد فؤاد دوارة .. الذي كان يردد كلمة الشيخ محمد أبو زهرة التي يشجب احتفاء المصريين برفقة سارتر بقوله : عجيب الشعب مسلم يصفق لرجل وعشيقته . فانبرى الحكيم مدافعا عن هذه الرفقة من جهل الجاهلين .. فأثار فؤاد دوارة الطرف لما يقوله الشيخ أبو زهرة وإن كان يريد المناقشة من وجهة أخرى لا يسمح بها ضيق صدر الحكيم .. يلفت نظري عنوان في جريدة الأهرام .. لقد كتب جمال الملاح بأن د. طه حسين لم يعرف بزيارة سارتر إلا من الجرائد .. وقرأت هذا العنوان بتلقائية ويصوت عال سمعه توفيق

الحكيم فإذا به يصرخ في وجهي وكأنه البركان إنفجر أتوه ليرميني حمما ملتهبة : وهل يقلب هذا الفتى الحياة رأسا على عقب ؟ .. ثم من هو طه حسين هذا .. من أي وجهة تنظرون له أيها الشباب .. ما هو فكره في تفكيركم ألقد آن الأوان أن تتركوه من فوق منكم السابقة ثم استطل وعلى أي حال لو كان طه حسين وزوجته الفرنسية يعرفان الواجب حقا بالنسبة لهذا المفكر ، لأرسلت زوجته الفرنسية باقة من الزهور تحية لابنة بلدها سيمون .. وفاضت في نفسي كلمات ضاق بها صدري ولم ينطلق لها لساني .. فإذا قرأت الخبر بحياد .. لم أدافع عن طه حسين ولم أهاجمه .. وفي وسط هذا الهدير السلفي دخل الدكتور حسين فوزي ، مسبحة منتبهة وهو يراقب المشهد الصارخ :: بعيدا عن مكتبه .. وجاء وجده يقول : على رسلك يا توفيق على الشباب .. أنتم تخجلون من الرد عليك لصغر سنهم .. وإذا كانت في تخيل فلأساريك أنا .. أليس طه حسين هذا من قلت أنت عنه يوم قدم لك مسرحية أهل الكهف إنه وفر عليك عشرات السنين في الدعاية والإعلان عن أدبك .. وأنه سبب شهرتك ؟ ألم تكن أنت نفسك تذهب إليه سيرا ، الإسكندرية تستقبله بعد عودته من كل مصيف لتحمل له الحقائب وتشيعه من الباخرة إلى رصيف الميناء ؟

أخمدت هذه الكلمات ثورة الحكيم فالتفت بوجهه إلى الدكتور حسين فوزي وهو يقول : (والله إنت كده ياحسين .. تقلب وراثيها عاليها) ثم نظر يوجه لي الكلام .. (والحقيقة إذا عرضت على سارتر أن يلتقي بطه حسين وقلت له طرفا من ظروفه البيولوجية والثقافة وزوجته الفرنسية .. فرد في خجل وصراحة في آن واحد .. أنا لا أحب أن أرهق أحدا .. وإنني أفضل رؤية الأدباء الشبان على رؤية من هم في سني أو أكبر مني .. لأن الشباب هم المستقبل الصاعد الذي يتدفق بالحياة والقادر على صنع المستقبل ..)

واعتبرت أنا هذه الجملة الأخيرة مصالحة لي .. فكثر مروري على مكتب الحكيم في كل مرة أذهب لاجتذاب صور .. وفي مرة تذكرت التعبير الذي كان قد شاع لوصف الرفقة .. من أن الطريق إلى سارتر يمر عبر سيمون .. والطريق إلى سيمون يمر عبر لانزمان .. بل إنني سلكت هذا الطريق التوجيه الدعوة لهم إلى أيتان .. حيث قابلت



فيليب .. الذي ... إلى ... زيارته ... ليهم ... في الوقت المناسب ... قد ... من ... على ... الزيارة مطالبة بطاقة .. ثم قال وكأنه يفتش ... عن نفسه على كل قيود كانت حياتها وهي مرة في تنقلها .. إستفهمت منه هل هي إيقاظ الجميلة صاحبة الشمس التي كتب عنها سيمون وقالت إنها قامت بدور (استيل) في الجحيم هم الآخرين ؟ فأكد لي أنها هي وقلت استغل النهارة بهذه المعرفة فالقيت بطرف علي إلى معرفتي بعلاقته بسيمون .. فقال : إن تلك كان من زمن وقد انتهى .. ثم وعدني بأنه سوف يعرض أمر زيارة بيروت على سارتر .. وفي المؤتمر الصحفي لختام الزيارة .. ولم يحضره لانزمان أمرضه .. قالت لي السيدة ليليان أرقش زوجة الأستاذ لطفي الخولي أن لانزمان يطلبني .. وعندما سمعت .. وجدت سيمون قد سبقتني .. بل أمسكتني بكلتا يديها المدهون أظافرها بلون فاقع من الطلاء .. وسحبتني من الدخول .. حتى تدخل هي وترى ما إذا كان قد استعد لهذا اللقاء أو لا .. وأدخلتني حجرتها وكانت قد امتلأت من الحقائب .. فوجدت المؤلفات المصرية المهداة لهم مصففة على أرضية المخدع .. من مؤلفات أمين والروبي

وسائد عبد المنعم .. ذلك أنها عربية وهم لا يقرأونها .. وعندما دخلت على لانزمان .. هناك يحضر سيمون عليه واهتمامها به مما يدل على أن العلاقة مستمرة وقالت عنه إنها منعتني من الدخول ، مع إنني لا أشكل لها أي سؤال من أي جهة .. فضحك وحول الحديث إلى اعتذار سارتر عن زيارة بيروت .. لأنه ملزم بأن يذهب فور إنتهاء الزيارة إلى فرنسا كناقد محايد .. ومن هناك إلى إسرائيل ومن بعدها إلى فرنسا ليذهب إلى محكمة برتراند راسل .. وإن هذا الرد منه يعتبر ردا على رسالة سهيل التي بعث بها إلى سارتر والتي ألمح له فيها إنه الشخص الذي كلفه في ترجمة (نقد العقل الذاتي) .. وذكره أيضا بأنه الشخص الذي أغلق على أصابعه باب العربة .. وعندما نقلت هذه المحادثة إلى الدكتور سهيل في حضور الأستاذ الشاعر صلاح عبد الصبور .. تهلل وجهه وتحمس بتسجيل هذه المقابلات فورا .. بينما لامني صلاح وقال إنني زججت نفسي في معترك صعب

متأكدة إذا عن طريق ما كتبت ورأيته بنفسي وتأكدت من بعض القرائن .. بأن العلاقة الثلاثية قائمة بين الرفقة .. ولكن ما أن انتهيت بذكرها أمام الحكيم .. حتى ارتفع صوت الحكيم مرة أخرى ويهدر في وجهي : (كيف تتطاولين أنت على هؤلاء الفلاسفة العظام .. العلاقة سلبا .. الصحفة مثيرة .. هل هم أناس عاديون حتى تخوضين وأنت في هذه السن في سيرتهم هكذا وبهذه الطريقة المشينة غير الصادقة أو الأمينة .. كان صوت الحكيم في القاتل على غير عادته .. عادة الحكيم أنه عندما يتكلم في السياسة خصوصا في السياسة .. أن ينظر إلى يمرئه ويمناه بتوجس .. ولا يتكلم إلا إذا تأكد من عدم وجود متسول .. بل كثيرا ما يقول لي : إياك أن تكتبي هذا الكلام وإلا حرمت عليك دخول مكتبي .. وعندما دعاني نجيب محفوظ هذا العام لأن أدخل معه لتوفيق رفضت .. غير أنه رجاني .. لأن توفيق يداعبه أحيانا كثيرة بأنه قد استحوذ على كل الضيوف .. ولكن الظاهر أنني أحرج الحكيم دائما عن عمد في شخصه .. ربما أجهل طبيعة شخصيته وتفكيره ..

مع مدير الحكيم هذه المرة التي جربنا الأستاذ أحمد بهجت .. وقف على عتبة الباب .. ووضع كوعه يستند على المقبض

من مذكرات شاهدة ربع قرن



الأقصر .. المعبد الفرعوني والمسلة قبل الكرنك



سيمون دي بوفوار

ليتابع الحديث ، فيوجه له الحكيم الكلام (تعال يا سيد احمد واستمع لما تقوله هذه الفتاة : هل تصدق ان علاقة ما يمكن ان تنشأ بين السيدة المسنة سيمون دي بوفوار ورفيقهم الشاب الصغير كلود لانزمان ، تصور هذا الافتراء ؟ الا ... واسمع انها تقول انه شيوعي ويهودي ايضا تصور يا احمد ؟ واين سيقف سارتر من هذه العلاقة .. عندئذ جاء رد احمد بهجت والله البينة على من ادعى واليمين على من انكر . إنتظر عايدة وستمدك عايدة بوثائقها عما هو زعم في رأيك الآن . هذا الجدل ولكنه مازال يتعجب . يا اخي إنهم عندما قدموا الى الاهرام واستقبلتهم انا عند المدخل .. كانوا يصرون على ان ادخل انا اولا . وتكرر ذلك في الصعود الى السلم بل الى الدخول الى مكتبي . واستطرد من ذلك الى الحديث عن اهتمام الجمهور الفرنسي .. فذكر انه في زيارته الأخيرة لفرنسا وكان ذلك من سبع سنوات . (ركبت المترو ولم اجد مكانا خاليا . فوقفت . ولكن شابا من الجلوس اخذ يتصفحني مليا .. ثم هب واقفا ليدعوني للجلوس في مكانه . وهنا انفجر احمد بهجت ضاحكا وهو يقول (دائما يا استاذ الحكيم تفسر رقة السلوك الفرنسي بانه دليل شهرتك .. ان لائحة

المترو ايضا تحتم على الشبان ان يقوموا للشيوخ او اخذ ... هذه حقائق ...

[illegible]

وفي اليوم التالي ذهبت قاصدة الى الاستاذ الحكيم .. محملة بما استطعت من المذكرات التي سجلتها سيمون وقد جلست طول الليل السابق اضع خطا تحت المقاطع التي تؤيد كل ما ابديته للحكيم بالامس . وجلس الحكيم يقرأ . وتقول سيمون في هذه المذكرات . وفي هذه العطلة كان لانزمان قد قام برحلة الى اسرائيل . وعاد الى باريس بعد اسبوعين من وصولي وشملنا شعور بالفرح الغامر .. وبدأنا نبني مستقبلنا : وكل منا يروي ماضيه للآخر . وبالرغم من ان لانزمان كان يصغرني بسبعة عشر عاما ؛ فان هذا الفرق لم يكن يرعبنا . وقد كنت بحاجة الى زمن لالزم قلبي بهذه العلاقة لانه لم يكن واردا ان استبدل بتفاهمي مع سارتر تفاهما آخر .. كان (الغريب) ينتمي الى قارة اخرى . و(لانزمان) الى جيل آخر لقد قبلني جملة وتفصيلا ، بماضي وحاضري ومع ذلك فان اتفاقنا لم يتم في لحظة واحدة . كانت الاجازات التي كنت اقضيها كل عام بعيدا عن فرنسا مع سارتر تطرح علينا

مشكلة : إنني لم اكن اريد ان اتخلى عنها ولكن فراقا يدوم شهرين سيكون شاقا علينا كلينا - انا ولانزمان ... واتفقنا ان يجيء لانزمان كل صيف ليقضي عشر ايام مع سارتر ومعي .. وانتظمت حياتنا . وكنا في الصباح نعمل جنبا الى جنب . وكان قد عاد من اسرائيل بملاحظات كان يريد ان يفيد منها لكتابة ريبورتاج . ولقد حررني حضور لانزمان الى جانبي من عمري وظللت اقابل سارتر كالسابق ولكننا اتخذنا عادات جديدة ... لكنني كنت قلقة . كنت قد خشيت الا يقبل لانزمان علاقتي مع سارتر ولقد كان الآن يحتل في حياتي مكانا كنت اتساءل معه عما إذا كان تفاهمي مع سارتر لن يتأثر بذلك . ولم اكن انا وسارتر نعيش نفس التلازم السابق . فهو لم يسبق له ان استغرق في السياسة وفي كتاباته وفي عمله كما هو مستغرق الآن . أما انا فكنت اريد من شبابي الفائت . كنت استسلم لحظات ... لانه انا سنظل دائما صديقين حميمين ، ولكن الترى يمكنني ان ينتهي تيقنه المصيريين المفترضين حتى الآن ؟ ولكنني استعدت الاطمئنان فيما بعد .. ان التوازن الذي حققته . بفضل لانزمان ، وسارتر والمتراتبي الخاص كان مجديا بأن يستقر وقد استقر)

عندما اشار سارتر [illegible] المقاومة الفلسطينية

احداث ، وتفاصيل ... دفل الحكيم وهو يقرؤها ، واستعد للكلام .. ولكني اثرت له ان يقلب الصفحات ليتأكد من تأثير هذه العلاقة على الجوانب السياسية والايديولوجية لسيمون دي بوفوار فقد كتبت (هبطت في شان ترديير بصحبة لانزمان ، وفيما كنا نسير كنا نتحدث عن روايتي التي كانت قد اعرته مسودتها .. وكان له حس نقدي دقيق ومرهف .. وقد افضلني نصائح طيبة وافادني بانتقاداته ، وقد بدأت انزعج منها ، ثم ادركت النقص الذي كان يشيرها وكنت اشعل هما كبيرا بسبب هذا الكتاب وكنت قد قلبته رأسا على عقب ، وحين اعاد سارتر قراءته سنة ٥٢ لم يكن راضيا عنه بعد ... اما لانزمان فقد اقتنعى اكثر منه بالمضي والمثابرة .. كان يقرأ النص للمرة الاولى .. وكان اشد تأثرا بحسناته منه بسيئاته .. وهكذا عدت الى الرواية .. ولكني غالبا ما كنت اكظم غيظي .. كان العنوان يقلقني .. وكنت قد عدلت عن تسميتها ـ الاحياء ـ واخترت عن طوع ـ المشتبهون ـ . إن الموضوع الجوهري في الرواية كان التشاؤم وضع الكاتب وكان سارتر يقترح له (السحرة) فقد كنا نشبه انفسنا باولئك السحرة والمشعوذين والشعراء الذين كانت المجتمعات الافريقية تحترمهم وتخافهم وتحتقرهم في وقت واحد .. ولكن لانزمان اقترح ان يكون الاسم ببساطة ـ المثقفون ـ) .

الحكيم يتعجب !

قرأ الاستاذ الحكيم كثيرا من الصفحات وبان عليه التعجب والاقتناع فأنصت الأذن لاستمع الى رأيه الاخير فقال : (اما انا فلا سنة على الأقل حتى تكتب او تحيا اصلا مثل هذه التجارب) فلم اشأ ان اراجعه او اذكره بثورته على أمسي .. إنصرفنا بعدها الى احاديث شتى .

كانت هزيمتنا في فشل هذه الرحلة التي بقت لها الطبول واستنفرت لها العقول والتي انتهت بتأييد سارتر لاسرائيل ... مع حق اللاجئين في العودة الى ديارهم .. سابقة بشهرين فقط للنكسة الشهيرة وبعدها واحد إذ علمني جيش العلم عبر التاريخ قبل ان يتهوم فكره ذلك لنا خدعنا على المستوى الفكري لان سارتر كان قد جاء يشبه فكرة مسبقة غذاها لانزمان بملاحظاته لاشاراته الى كل دروب الزيارة ومنعطفاتها .. ولم يكن المشرفون على الرحلة قد قرأوا عنها ليتلقوا الدرسا .. كخديعتنا في النكسة لاننا لم نكن قد قرأنا كما قال موشي ديان ما كتبه عن العدوان الثلاثي على مصر سنة ٥٦ .

لم يكن من السذاجة ان ينقل حضور لانزمان كضمان لحياد الرحلة .. ولا نشترط عليه ان يصطحب شخصا مواليا للعرب الى اسرائيل وما الذي افادتنا به كلمات سارتر المهدئة عندما سافر له بعد تأييده دولة اسرائيل كل من لطفي الخولي ومحمود امين العالم ليستفسروا عن سبب هذا البيان فقال لهم (ربما خدعت كالاخرين) او عندما إنقطع على السمان عن زيارته او السؤال عنه تيقولتها ـ بعد ان كانت الصداقة قد نشبت بينهما ـ إتصل به سارتر ـ كما اقر لي على ـ وقال له ناطر لن [illegible] تحافر [illegible] كنسان [illegible] تعلم [illegible] الاتصال [illegible] [illegible] الذي [illegible] [illegible] لا يعصف [illegible] وكيف [illegible] من يقول بتناقض موقف لانزمان الى عالميهما يكتشف على القور كيف اتخذته يد خفية عليهما .. إذ كيف يوقف شخص حياته هكذا دون ان يكون قد حسب حساب خطوه وقوره بصورة ما ؟ وعلى كل فليس غريبا ان يقع فيلسوف كان ملء السمع والبصر كسارتر فريسة الصهيونية العالمية .. او اليد الخفية .. فلكل عالم هفوة .. فقد سبق لهذه القوى ان قلبت دولا وتفسخت عنها كل مذاهبها .. ثم الم يسبق ان قالت سيمون على لسان سارتر : (قد يخطأ الانسان مادامت الظروف لا تسمح غالبا باى تجاوز الى غير المطروح)

ولكن سارتر الذي كان يحتقر حيل الحياة لم يكن يستطيع ان يتلذذ طويلا بأن يحظر جموده وسلبيته بمتشاجات كلامية .. لقد ادرك انه ، إذ يعيش في الوقت لا في المطلق ، مدعو إلى ان يتراجع عن ان (يكون)المترجم على ان (يعمل) ، وقد عمل فعلا بعد ذلك على تغيير هذا الموقف المصري تجاه العرب .. ولا نستطيع ان نقول بعد الاوان ، فكل الاثبات قبل مادامت القضية الفلسطينية .. فقد امتنع منذ زمن طويل عن توقيع البيانات التي تؤيد دولة اسرائيل بينما إستمرت سيمون موقفها تحت تأثير كلود لانزمان .

● ● ● ●

حساب الخسائر والمكاسب !

إن ذلك كله لم يمنعنا من وضع حساب ، خسائر ومكاسب .. حققتها الزيارة لقد انبهر سارتر بالآثار المصرية والمشاريع العمرانية في السد العالي .. وانتهى وهو الذي ظل طويلا متشككا في جدوى التجربة المصرية بأن يقف بين الفلاحين في كمشيش ليهتف لشعب مصر ويدعو لتقدمه .. مما يدل على ان سارتر قد جاء الى القاهرة بعقلية المفكر السياسي المتفائل في تقدم العالم الثالث وفي مقدمته الجمهورية العربية المتحدة بينما كان عدد من المثقفين ـ على وجه التحديد ـ يسعون الى سارتر الوجودي القدمي المتشائم .

اضف الى ذلك عدم معرفتنا الدقيقة لتركيبته النفسية التي كتب عنها الكثير بأنه عندما ينفعل بشيء او اثر او حدث فانه يهب له نفسه تماما .. فما كان من المستطاع مع هذه السمة ان يستمع الى مناقشات حول نقد العقل الجدلي او سؤال عن انقسام اليسار وهو يستمع الى شرح حول السد العالي وقنوات التحويل .. وما كان في الامكان ان يثنيه تعب وجهد وإرهاق عن متابعة الحركة المسرحية التي انتهت بالتعبير الحركي العشوائي .. وما كان له وهو المهذب ان يراجع الدكتور حسين فوزي او يصم كلمات التمجيد الكلاسيكي للشعب الفرنسي .. الذي طالما حمل له سارتر كثيرا من البغض لا سيما ايام حرب الجزائر وهتافاتهم (الجزائر فرنسية) وكان دائما يصفهم بالفاشست .. لان الانسان كل انسان في فرنسا كان شريكا في الجريمة .. لانهم يفيدون جميعا من استغلال المستعمرات .

إن سارتر يمقت مالحب المصريين وجموعهم وحشودهم كانت تحدوه دائما رغبة ملحة في ان يلتقى بهم مواجهة وبلا وسيط بدليل انه كان يضيق بشرح المترجمين اوقات زيارته للآثار .. لانه كان يحب التأمل وحده ويتلقى الاحالة على مايريد ان يعرف فقط .

كان يجب ان نترك الرفقة لتلقائية الاحساس المباشر والمعرفة المباغتة .. وكان ذلك سيكون أجدى

علية الشريف

وجه مدينة من فلسطين

بقلم: خالد الأعظم

طبرية قيثارة الجليل





منظر عام لمدينة طبرية الحديثة وتبدو بحيرتها الخلابة

طبرية .. اسمها خالد في دنيا الجمال والجاذبية ، لا يستطيع احد إدراك عمق جمالها إلا حين يراها بعينيه ويتحسسها بيديه ، ورئتيه ووجده ووجدانه . واسم « طبرية » منقوش في ذاكرة الأبناء نقشتين : أولاهما : طبرية البحيرة وثانيهما طبرية المدينة ..

أما البحيرة فتسمى أيضا ببحر الجليل .. وهي في شكلها الذي أوجدها الله عليه تشبه القيثارة .. ويبلغ طول سواحلها حوالي ٥٣ كم وأبعد عمق لها يصل الى ٤٥ مترا . اما طولها فيبلغ ٢٢ كم وعرضها ١٢ كم تقريبا . اما متوسط انخفاض البحيرة عن الأبيض المتوسط فيبلغ ٢١١ امتار .

تاريخ البحيرة قديم جدا ، ولعل اول ذكر لها هو الذي ورد في انجيل « يوحنا » ويقال ان السيد المسيح عليه السلام قد دخلها مع بعض حوارييه ذات صباح ، فهبت رياح شديدة احدثت الهياج في مياه البحيرة الهائلة ، فانتهرها عليه السلام ، فصار هدوء عظيم ، كما ورد في الإنجيل . ويقال ايضا بأنه اختار اربعة صيادين من اتباعه العاملين بالبحيرة فارسلهم لنشر رسالة المحبة والسلام .

لقد كانت البحيرة .. وما برحت .. قبلة المشاهدين ، ومتعة لاخيلة الأدباء

- طبرية قبلة المشاهدين ومنبع الإلهام للشاعر والشعر
- الخلفاء الأمويون أقاموا قصورهم على شواطئها الخلابة
- المتنبي المتأثر بروعة المكان على شاطئها الأخاذ خلده بقصيدة رائعة، وكذلك الأمير شكيب أرسلان
- إحدى المدن المقدسة الأربع عند اليهود





الصيد في بحيرة طبرية

البحيرة : إلهام الشعراء

وفي طبرية أمضى أبو الطيب المتنبي ثلاثة أعوام في ضيافة صديقه بن الحسن الطبرستاني . وقد أوحى جمال البحيرة الأخاذ للمتنبي بقصيدة جاء فيها :

كأنها في نهارها قمر
حف به من جنانها ظلم
تغنت الطير في جوانبها
وجادت الأرض حولها الديم

وفي إحدى قصائده تغنى أمير البيان العربي شكيب أرسلان ببحيرة طبرية في قصيدة رائعة قال فيها :

بحيرة كل شأنها عجب
وهي من الحسن كلها غرر
مرآة نور من السطوح لها
إطار نور لم تحكه الأطر
كأنها في صقالها فلك
وفلكها فيها أنجم زهر

ولابن طبرية وقاضيها الشاعر طاهر الطبري قصيدة ورد فيها :

الماس إن سألوه عنه قل لهم
هذي البحيرة سطحها الماس
واللؤلؤ الوضاح في صفحاتها
متناثر هو كله إيناس
والشمس إن عكست أشعتها بها
هتك الحجاب وانحسرت الجلاس

ومياه البحيرة ذات نفع عظيم للسكان فمنها يشربون ، ويروون أراضيهم ومزروعاتهم ، ومنها يرتزقون حيث يصطادون السمك الذي تتوفر منه أصناف كثيرة تزيد عن العشرين منها : المشط والقشري والكرسين والسردين .

مدينة طبرية

هي إحدى المدن الأربع المقدسة عند اليهود ، اضافة الى القدس والخليل وصفد .

يقال : إن مؤسسها هو الملك «هيرودس» وسماها باسم الإمبراطور الروماني حوالي سنة ٢٠ للميلاد .

ويحدثنا التاريخ بأنه عندما احرق القائد الروماني «تيطس» مدينة القدس عام ٧٠ م حرم على اليهود الإقامة فيها ، لكنه سمح لهم بالسكن في طبرية حيث أصبحت منذ ذلك الوقت مركزًا للديانة اليهودية . ويعتقد بأن «التلمود» – وهو الكتاب المقدس الثاني عند اليهود – قد جمع وكتب في طبرية عام ٤٠٠ ميلادية .

موقع المدينة

في سنة ١٣ هـ فتح العرب مدينة طبرية بقيادة البطل شرحبيل بن حسنة ثم أصبحت فيما بعد عاصمة « لجند الأردن » ووصفها المؤرخون بأنها «قصبة الأردن ومدينته الكبرى» . وقد احتلت هذه المكانة السابقة بالنظر لوقوعها على طريق القوافل التجارية ما بين دمشق و مصر مارة بالكسوة وغزة وسيناء ثم مصر . وتقع المدينة على منتصف الشاطىء الغربي لبحيرة طبرية ، وهي تبعد حوالي ٢٠ كم عن مصب نهر الأردن ، وتقوم على سهل منبسط يمتد الى الهضاب الغربية والشمالية وقد حباها الله جمالا وروعة ، فقد تجمعت فيها كل مفاتن الطبيعة والشعراء ومرهفي الإحساس . وقد كان الخلفاء الأمويون أكثر من أخذوا ببهاء مناظرها ، وروعة مشاهدها فأقاموا على شطآنها قصورا شتوية فخمة لهم .

ويحدثنا التاريخ بأن موكب القائد المظفر موسى بن نصير قد مر بسواحل البحيرة وهو في طريقه الى الشام قادما من الأندلس بناء على تعليمات الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك .



طبرية





وسباحجها ، وتمتاز هذه المنطقة بدفء في فصل الشتاء ويخلف الهواطيلة ايام السنة ، وبصيف حار لكنه مقبول وله جماله وسحره ، كما يقول الاستاذ محمد سلامة النحال .

وتعتبر مدينة طبرية من اهم المشاتي الفلسطينية وقد كان يؤمها الكثيرون من الأرياء فلسطين طلبا للدفء وللاستشفاء ، ولكن يبدو انها كانت مهملة لفترة طويلة من الزمن ، فقد وصفها المقدسي في القرن الرابع الهجري ، بانها : « ضيقة ، كربة في الصيف ، مؤذية ، بها ثماني حمامات بلا وقود ، ويقال ان اهل طبرية شهرين يرقصون ، وشهرين يلقمون ، وشهرين يذققون ، وشهرين عراة ، وشهرين يزمرون ، وشهرين يرقصون من كثرة البراغيث !! » .

وفي القرن الحادي عشر زارها الرحالة الفارسي ناصر خسرو ، ومما قاله عنها : « .. ولطبرية سور عظيم حصين يبدأ من شاطيء البحر ، ويمتد حول المدينة ، وفي بحر طبرية سمك كثير ، ومسجد الجمعة في وسط المدينة ، وفي الجانب الغربي مسجد اسمه «الياسمين» وهو مسجد جميل في وسطه ساحة كبيرة بها محاريب ، وتحت هذه الساحة قبور سبعين نبيا قتلهم بنو اسرائيل !! » .

وفي عام ١٨٩٢ نزلها الرحالة بيركهارت ، ومن ضمن انطباعاته عنها قوله : لا يوجد في طبرية خان للمسافرين فذهبت الى خوري الكاثوليك وابديت له رغبتي في الحصول على مفاتيح الكنيسة لاوي إليها ، وقد اعطاني إياها فعلا إلا انني وجدت المكان يعج بالهوام فانتقلت الى فناء الكنيسة المكشوف

طبرية في العهد العثماني

بعد استيلائهم على طبرية عام ١٥١٧م اصدر الاتراك قرارا بتعيين الشيخ ظاهر العمر حاكما عليها ، فاخذ ظاهر يوسعها ويزينها ويحصنها .. فبنى قلعتها الكبرى في مدخل المدينة ، وبنى الجامع الزيداني في الحي الشمالي ، ومكان يوطد اقدامه في حكم طبرية حتى خاض عدة معارك مع خصومه في الجليل الاعلى ، غير انه استطاع في النهاية ان ينتصر عليهم واصبح الشمال الفلسطيني تحت امرته ، فقرر نقل مقره الى عكا ، وواصل الشيخ ظاهر انتصاراته على باقي خصومه فاستولى على البلاد الصفدية ، والديار النابلسية ، وعقد تحالفا مع علي بك الكبير في مصر .

يهود طبرية

حتى القرن الماضي كان يهود طبرية يعيشون في حي خاص بهم يفصلهم عن بقية البلدة سور عال له بوابة ضخمة تغلق بعد غروب الشمس ، ولا تفتح مصاريعها إلا عند شروق الشمس في اليوم التالي ، وكانت «غالبيتهم تعود باصلها الى بولندا واسبانيا وشمالي افريقيا» .

ويحدثنا الرحالة الذين زاروا طبريه قبل ثمانين عاما تقريبا بان اليهود كانوا يتمتعون بحرية دينية مطلقة وقد كانوا يتزوجون في سن مبكرة جدا ، ولا يستغرب ان ترى امهات عمر الواحدة منهن احد عشر عاما او اباء عمر الواحد منهم ثلاثة عشر عاما ، وحاخام طبريه يتبع الحاخام الاكبر في صفد الذي يصدر الاحكام النهائية بالنسبة لجميع المشاكل المختلفة في الشريعة والدين» .

ولعمري هل هناك تفسير لذلك الزواج المبكر جدا سوى زيادة النسل اليهودي تنفيذا لخطة اغتيال الحق العربي وتهويد فلسطين !

وقد جاء في دليل بدكر ١٩١٢ : «يسكن طبرية ثمانية الاف وستمائة نفس منهم حوالي سبعة الاف يهودي لهم سبعة معابد ، واكثرهم من مهاجري بولونيا ويتكلمون الالمانية ويعيشون على الصدقات التي تصلهم من اوربا ، وهم يلبسون برانيط «قبعات» كبيرة وسوداء وجببا عليها فراء حتى في اشد ايام الصيف حرارة ، وفيها ١٤٠٠ مسلم ، و ٢٠٠ مسيحي» .

والاماكن المهمة التي يتبرك بها اليهود بالمدينة حتى اليوم هي :

١ ـ قبر «ميمو نيدس» وهو عالم لاهوت يهودي ، توفى عام ١٢٠٤ م .

٢ ـ قبر «ماير» وهو اهم مكان مقدس عندهم لاعتقادهم انه كان يقوم بالعجائب !

مشهد من بحر الجليل



اغنام ترعى على شاطئ البحيرة



منظر من الجليل



٣ ـ نصب «اكيفا» وهو الذي كتب «المشنة» قبل أن يعتقله الرومان . وكذلك قبور بعض مشاهير علماء التلمود.

الحمامات

ينابيع حارة تنبجس من الأرض ، التجأ إليها الإنسان منذ قديم الزمان ـ ومازال ـ فيستحم في مياهها المعدنية للتخلص من أمراض الروماتيزم والأمراض الجلدية والاضطرابات العصبية والنقرس وغيرها. وقد عرفها الكنعانيون العرب وأسسوا عليها مدينة «حمات» التي تعني الينابيع الحارة .

ومن المعروف أن درجة حرارة هذه الينابيع تصل الى ٦٢ درجة مئوية مما يستوجب تبريدها .

وتاريخ حمامات طبرية قديم . وقد جمعت تحت قباب ثلاث قام ابراهيم باشا بتشييد آخرها عام ١٢٥١ هـ . والحمام عبارة عن حوض كبير بجواره حمامات صغيرة يجري الماء الساخن من خلالها حيث يستخدمه الأفراد للاستحمام . وطوال مدة بقائها كانت هذه الحمامات على امتداد تاريخها وقفا إسلاميا صرفا ، ولكن بمجرد أن ابتلانا الله بالاستعمار البريطاني اللعين أخذ جلادوه يكتمون أنفاس شعبنا ويضيقون عليه رزقه فادعت حكومة الانتداب ملكيتها لهذا الوقف وقام خلاف طويل كانت خاتمته حصول هيئة الأوقاف الإسلامية على ثلث الحصة فقط ! وإمعانا في قهر المواطنين العرب منحت الحكومة امتياز استغلال هذه الحمامات لشركة يهودية بإيجار رمزي !

قرى القضاء

كان قضاء طبرية ـ قبيل عام ١٩٤٨ ـ يضم ٣٦ قرية عربية ، اضافة الى ٢٤ مستعمرة يهودية منها تسع مستعمرات أقيمت في العصر العثماني ، والباقي في العصر البريطاني ، أما في الوقت الراهن فقد زالت عن الوجود جميع القرى العربية في القضاء باستثناء ثلاث منها فقط !

وقد كانت مدينة طبرية هي مركز القضاء ولها أهميتها التجارية والدينية والزراعية فهي المدينة الرئيسية في منطقة الغور الشمالي ، وتمتاز أراضيها بزراعة الحبوب والخضروات إضافة الى وفرة الأسماك . وهذه المزايا إضافة الى وجود الحمامات المعدنية والمناظر الخلابة والأجواء الصحية جعلت أهالي طبرية يستشعرون السعادة والعافية ، وهناك مثل يضرب في هذا المقام يقول : «من يعش في طبرية يسعد بالمعيشة الهنية» .

وعلى شاطئ البحيرة مباشرة وفي داخل المدينة توجد كثير من الآثار المسيحية المقدسة مثل كنيسة دير الروم ، ودير المسكوب ، ودير اللاتين المعروف بدير «تراسنطة» «وتراسنطة» تعني الأرض المقدسة» وفي ساحة هذا الدير يقع تمثال القديس بطرس . والحقيقة أن معظم منطقة الجليل مقدسة لدى المسيحيين لأن السيد المسيح عليه السلام تنقل بينها وقام برسالته فيها كالمجدل ، والطابغة ، وكفر ناحوم .

ومن أهم قرى القضاء :

● الطابغة : وهي أساسا كلمة يونانية تعني الآبار السبع غير أنها حرفت فيما بعد ، وقد مسحها أعداء أمتنا من الوجود وحولوها الى مركز سياحي وديني. ويعتبر خان المنية من أهم المواقع الأثرية على جنبات الطابغة .

● المجدل : وهي كلمة سامية الأصل بمعنى البرج ، وهي غير مدينة المجدل



طبرية

حمامات طبرية مياهها الشفاء لكثير من الأمراض

●

أول مدينة فلسطينية دخلها الإنجليز واليهود

●

القسطل يتمسكون بحقه في طبرية الحق القديم

الفلسطينية التي تقع جنوبي فلسطين وتنتسب اليها القديسة « مريم المجدلية » ذات الثروة والصيت الحسن ، وقد امنت بالسيد المسيح فكانت إحدى تلميذاته فتبعته وقامت بخدمته حتى اخر المطاف .

وقد أزالها الاعداء تماما واقاموا على انقاضها مستعمرة مجدال .

● سمخ : تبعد عشرة كم عن طبرية وترتبط بها عن طريق البحيرة التي تسير عليها مراكب تجارية تتنقل بين المدينة وسمخ . وقد كان لها شأن كبير إبان الحرب العالمية الاولى حيث كانت مسرحا لقوات تركية وبريطانية واسترالية والمانية .

وفي الحرب العربية الصهيونية الأولى عام ١٩٤٨ خاض الجيش العربي السوري معركة ناجحة ضد التحصينات اليهودية واستطاع احتلال سمخ لمدة خمسة أيام . ثم اضطر للانسحاب منها لاعتبارات شتى !

وبعد نكسة حزيران كانت سمخ هدفا لصواريخ الثورة الفلسطينية .

● الحمة : تقع على نهر اليرموك وتبعد مسافة ٢٢ كم جنوبي طبرية و ٦٥ كم جنوبي مدينة القنيطرة السورية .

ويرتبط اسم الحمة بحماماتها المعدنية الفريدة التي تعد من اهم الينابيع في المنطقة حتى تلك الينابيع بطبرية ذاتها . ... الكبريت في ينابيع الحمة مرتفعة جدا بينما نسبة ... مرة أخرى لمياه الحمة تتمثل في وجود بعض المعادن ... فيها .

ومن جانب اخر فقد حقق الفدائيون الفلسطينيون عام ١٩٦٩ في الحمة مرحلة متقدمة في صراعهم العنيف مع الكيان الصهيوني وهي مرحلة ، الاحتلال المؤقت ، حيث استطاعوا احتلال الحمة ورفع العلم الفلسطيني عليها لعدة ساعات .

● ناصر الدين : قرية فلسطينية متواضعة ، ولكنها برزت في دائرة الضوء ليلة ١٤ نيسان عام ١٩٤٨ بسبب المجزرة الرهيبة التي ارتكبها الصهاينة حيث ابادوها وابعدوا سكانها من الوجود ولم ينج منهم إلا من رحم ربي .

● الشجرة : ذكرها ياقوت الحموي في « معجم البلدان » بقوله : « اسم قرية بفلسطين بها قبر صديق بن صالح النبي عليه السلام ، وقبر دحية الكلبي » .

وقد اقترن اسم « الشجرة » يوم ١٣ تموز عام ١٩٤٨ باسم الشاعر الفلسطيني الشهيد عبد الرحيم محمود حيث نفذ ارادته والقى بروحه في مهاوي الردى في معركة « الشجرة »

وهو القائل لهذين البيتين اللذين يحفظهما كل فلسطيني تقريبا :

سأحمل روحي على راحتي
والقي بها في مهاوي الردى
فاما حياة تسر الصديق
واما ممات يغيظ العدى

● حطين : تبعد مسافة ٩ كم الى الغرب من طبرية ، وبجوارها تقع «خربة النبي شعيب» ، حيث يوجد مقامه عليه السلام ، ومقامه هذا تقدسه الطائفة الدرزية ، ويزوره افرادها في شهر نيسان (ابريل) من كل عام .

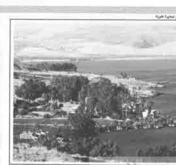
وفي سهل حطين وقعت معركتنا الخالدة مع الصليبيين في ٣ ـ ٤ تموز عام ١١٨٧م حيث احرز عليهم قائدنا البطل صلاح الدين الايوبي نصرا مبينا . وقد سقط من الفرنج في هذه المعركة اكثر من عشرة الاف قتيل واسرت الاف اخرى حتى قيل بان من شاهد الاسرى ظن أن ليس هناك قتلى ، ومن شاهد القتلى ظن أن ليس هناك أسرى ، وذلك دليل الكثرة الهائلة في الفئتين .

وقد روى ثقاة المؤرخين بان قيادة جيش المسلمين قد وضعت جنديا مسلما واحدا ليقوم على حراسة مئتي جندي صليبي !!

وقد كان ذلك الانتصار بمثابة بشائر



منظر جانبي لبحيرة طبرية



منظر آخر لبحيرة طبرية

المسلمين في القضاء على أكبر حركة استعمارية هددت المنطقة العربية في العصور الوسطى ، وقد تم لصلاح الدين الايوبي بعد معركة حطين تحرير عكا ونابلس وحيفا وبيروت وصور وصيدا والناصرة والقدس وعسقلان والرملة . وقد خلد العماد الأصفهاني تلك المعركة بقصيدة جاء فيها :

يايوم حطين والابطال عابسة
وبالعجاجة وجه الشمس قد عبسا
رأيت فيه عظيم الكفر محتقرا
معفرا خده والأنف قد تعسا

هذا وقد طرد الصليبيون الجدد سكان حطين من قريتهم بعد ان مسحوها من الوجود وكأنهم يهدفون الى مسح تاريخنا وامجادنا ، ومابرح اهل حطين ـ وكل امة الإسلام ـ في انتظار حطين جديدة ، وصلاح الدين جديدا ، لمقارعة الصليبية الجديدة !!

● ●

كان سكان طبرية يعيشون حياة مفعمة بالتآلف والاخاء فيما بينهم ، لا فرق بين مسلم ومسيحي ويهودي ، برغم كثرة عدد اليهود وتوسط عدد المسيحيين ، وقلة عدد المسلمين ، ولكن عندما اضمرت بريطانيا وعدها الغادر باقامة وطن قومي لليهود في فلسطين تغيرت النفوس ، وشحنت القلوب بالوجد والشراسة ، وكانت ليلة النصف من شهر نيسان ليلة لا تنسى في طبرية ، فقد قامت اليهود بمواطنين العرب من مسلمين ومسيحيين بهجوم كاسح نتج عنه احتلالهم وسيطرتهم الكاملة على الأحياء والمساكن العربية . وقد حدث ذلك كله برغم وجود الجيش البريطاني في فلسطين ، بل ان قيادة هذا الجيش ذاتها ـ وبناء على خطة مسبقة مع اليهود ـ ارسلت نحو ٣٠ شاحنة تم حشر جميع العرب فيها وارسلوهم الى الناصرة ووضعوهم في الاديرة والجوامع ، وكان اليهود مصطفين على الطريق يضحكون ويؤشرون باصابعهم اشارات قذرة ، ثم اندفع اليهود الى بيوت العرب ونهبوا كل ما فيها من اثاث ومؤن ثم احتلوا البيوت وسكنوها كما يقول السيد طلعت النمش احد ابناء طبرية ممن شهدوا تلك المشهد المأساوي !

الضياع .. الضياع

واخيرا قام البريطانيون بتسليم طبرية الى العصابات اليهودية في ١٩ نيسان عام ١٩٤٨ ، فكانت بذلك اول مدينة فلسطينية يسلمها البريطانيون الى اليهود ايام حكمهم الظالم كما يروي استاذنا القدير مصطفى مراد الدباغ .

حاضر طبرية

لقد طمس اعداؤنا وجه طبرية العربي الصبوح ، ولم يعد المتنبي ولا احفاده يصفون او يتغزلون بجمالها الفاتن ، فلقد اضحت طبرية مصدرا لخيالات الشعراء الصهاينة ، وقبلة لتشبيبهم وتزاورهم . إن عدد سكانها اليوم يزيد عن ثلاثين الف نسمة ! وهي تعتبر من المراكز السياحية المهمة في الجليل ، بعد ان انشأ اليهود عدة ضواح جديدة فيها ، وحدائق عامة وفنادق فخمة تزيد عن الثلاثين ، ومثل حديثة ، ومسابح كبيرة ، وعددا من الاستراحات ومشافات الشبيبة ، وفيها ايضا محطة للزوارق البحرية ، ومحطة لمراقبة الاشعاعات النووية ، وتقوم المراكب الصغيرة بنقل الركاب في البحيرة لزيارة المستعمرات المنتشرة حولها ، وتناول وجبات السمك الطازجة التي تقدمها مطاعم المدينة لعشرات الألوف من الزوار الذين يقضون عطلة نهاية الاسبوع فيها .

إن طبرية وكل المدائن والقرى الفلسطينية الاسيرة .. واكثر من مليون اسير عربي يستصرخون ضمير العالم لانقاذهم من وطأة الاحتلال الصهيوني البغيض .

نبيل خالد الاغا

جمال الغيطاني

عندما يصل الإسلام إلى وسط أوروبا

بودابست: كانت المدينة حتى ١٨٧٢ تتألف من مدينتين منفصلتين: بودا على ضفة الدانوب اليمنى، وبست على الضفة اليسرى



.. يخترق الدانوب مدينة «بودابست» يقسمها الى جزئين كانا حتى القرن الماضي منفصلين: «بودا» على الضفة الشرقية، و«بشت» على الضفة الغربية. وتقع «بودا» في منطقة جبلية، تتناثر البيوت والشوارع على المرتفعات الجبلية التي كستها خضرة الأشجار بطابع فريد، يذكرنا الى حد كبير بمنطقة ابو رمانة المتدرجة في الارتفاع على سفح جبل قاسيون بدمشق.

في قلب «بودا» ميدان «الموسكوفتي» حيث تنتهي وتبدأ خطوط المواصلات والترام، ومنه ايضا يبدأ طريق مرصوف يرتفع على مهل، وبعد قطع مسافة يبدأ تغيير واضح في المعالم.

تختفي المباني متعددة الطوابق، تصبح من طابقين أو طابق واحد، يتغير شكل البوابات لتصبح شبه مستديرة، مغلقة برتاج خشبي ثقيل تذكرنا على الفور بمداخل البيوت العربية القديمة، أما النوافذ فمستطيلة، بارزة عن الواجهة، الزخارف ذات طابع شرقي، تلمح فيه العين بسهولة تأثيرات عربية، الطريق يصبح مرصوفا بالحجارة المضلعة، يبدو واضحا أن المسافة لا تنقضي فقط في المكان، إنما ترحل عبر الزمان، الى زمان بعيد يرجع الى القرن السادس عشر الميلادي

عندما غزا العثمانيون مملكة المجر، واستمر حكمهم مائة وخمسين، وكان من الطبيعي الا تمضي هذه السنوات الطويلة بدون أن تترك أثرها، أثر مرئي يتمثل في العديد من المنشآت التاريخية، كالمساجد، والمآذن، وأضرحة بعض الأولياء، وأثر خفي، ترسب في العادات وبعض أسلوب الحياة اليومية، وكلمات اندمجت في اللغة المجرية حتى الآن بعضها عربي أصيل.

يمضي بنا الطريق الى منطقة القلعة، قمة الصيادين المطلة على نهر الدانوب الجميل، هنا نجد كنيسة «الشتفان» التاريخية المشهورة، ومبنى فندق

- بدأ الحكم العثماني للمجر في عام ١٥٤١ عندما تم الاستيلاء على مقاطعة بودا
- تواف الجنود في البداية مع عائلاتهم.. ثم أقاموا في بيوت شيدوها في المدن
- عندما بدأت ملامح المدن المجرية تتغير في اتجاه الطراز العثماني أو الشرقي

مسجد حسن ياكوفلي في مدينة بيتش



الهيلتون الذي أقموه على الطراز القديم حوله تتفرع أزقة ضيقة، جميلة، تبدو البيوت خلالها راسخة، موغلة في الزمن، منطوية على الكثير من الأسرار. وفي الجانب المطل على «بودا» تفاجأ بمقبرة رخامية قديمة، شاهدها عليه بعض الآيات القرآنية باللغة العربية، وعبارة «رحمة الله عليه»، إنها مقبرة قاسم باشا أول حاكم عثماني لمنطقة بودا بعد بدء الغزو العثماني عام ١٥٤١م. في هذه السنة بدأ الحكم العثماني للمجر إثر حملة عسكرية قادها السلطان سليمان القانوني في إبريل من هذا العام. كانت المجر تمثل منطقة هامة، إلا أن السيطرة عليها تعني السيطرة على وسط أوروبا بأكمله، وشبه جزيرة البلقان، وتهديد النمسا التي كانت تحكمها أسرة الهابسبورج. وحول المجر دار صراع عنيف بين العثمانيين والنمسا، تخللته عدة حروب. كان ملك المجر سجيسمون قد توجس خيفة منذ غزو العثمانيين لمنطقة الصرب، وبلغاريا، ولجأ إلى بابا روما، واستجاب البابا له بعد أن جعل المجر قاعدة الدفاع الأول المهدد في أوروبا، ودعاها إلى تحالف مسيحي جديد ضد الغزاة المسلمين، وكانت هذه الحرب بمثابة حروب صليبية هبطت مع البابوات يخوضون غمارها لمدة تزيد عن قرنين. لقد بدأت هذه الحروب في سنة ١٣٩٦م، وكان النصر حليف العثمانيين، وكانت آخر الحروب عام ١٦٨٤ وفيها تحالفت النمسا وبولونيا والبندقية ورهبان مالطة والبابا وروسيا، واستمرت حتى عام ١٦٩٥، وانتهت بانكسار السلطنة العثمانية وجلائها عن المجر.

العثمانيون والمجر

.. بدأ الحكم العثماني للمجر في عام ١٥٤١ عندما تم الاستيلاء على مقاطعة (بودا)، وحتى عام ١٥٤٣ تساقطت المدن الهامة واحدة إثر الأخرى. وفي هذه المناطق بدأت الحياة اليومية تتأثر بأسلوب الحياة العثماني، تواف الجنود في البداية مع عائلاتهم، وأقاموا في بيوت خاصة شيدوها في قلب المدن المحتلة، وجرى تغيير النظم القضائية، وبدأ بناء عدد من المساجد في كل مقاطعة لإقامة شعائر الصلاة، ومباني التكايا الخاصة بالدراويش، وأسواق على الطراز الشرقي، من هنا بدأت ملامح المدن المجرية تتغير في اتجاه الطراز العثماني، أو الشرقي، كان هذا التغيير عميقا، وبنفس القدر الذي تمت به التحولات السياسية والاقتصادية، وانعكس ذلك في المظهر، شكل المنازل التي أصبحت تقارب الطراز الشرقي، بروز المشربيات التي تحجب الناظر من خلفها، والبوابات الفسيحة التي تؤدي إلى مدخل خاص ينتهي في فناء فسيح تطل عليه النوافذ الداخلية للبيت.

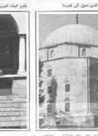
كما أصبح لكل مدينة سوق مركزي، مغطى، يشبه الأسواق الشرقية والعربية، التي تخصص لكل سلعة معينة قطاعا معينا، ولاتزال هذه الأسواق قائمة في المدن العربية القديمة، تتوحد في مظهرها ومضمونها الخفي. ولكن أهم بناء قام في المدن المجرية هو المسجد، في البداية حول العثمانيون بعض الكنائس القليلة إلى مساجد، واستلزم ذلك عدة خطوات، منها فرش أرضية الكنيسة بالسجاد، وإزالة اللوحات والصور، ونقش الجدران بزخارف عربية وإسلامية، وكتابة بعض الآيات القرآنية على الجدران، وإقامة المحراب في الجهة الجنوبية الشرقية، وهو اتجاه القبلة إلى الكعبة في المجر، وبناء حاجز يفصل القسم الخاص بالنساء والذي يؤدين فيه الصلاة بمعزل عن الرجال، وبهذا تتحول الكنيسة إلى مسجد، غير أن عدد الكنائس التي جرى تغييرها محدود جدا، وأهمها «كنيسة بودا»، وكنيسة بيتش في الجنوب، وكاتدرائية إيجر.

المدارس والحمامات

لم يبدأ العثمانيون في بناء المساجد، وكانت كلها على الطراز العثماني، حيث الصحن المكشوف يؤدي إلى قاعة

● بعض جدران المسجد لا تزال مغطاة بالنقوش الإسلامية الملونة


جامع يكس الذي تحول الى كنيسة


طابع البناء العربي داخل بيت مجري قديم

الصلاة ، التى تعلوها قبة كبيرة ، وفى الركن الايمن تقوم المئذنة النحيلة ، الصارمة ، التى تشبه مآذن استانبول الشهيرة ، واحيانا كانت تستخدم بعض حجارة الكنائس القديمة فى بناء المسجد الجديد ، الذى كان يقوم عادة فى مركز المدينة ، فى قلب ميدانها الرئيسي ، او يبنى فى مواجهة إحدى الكنائس المشهورة ، مثل مسجد بودا الذى شيد بالقرب من كنيسة سانت اوجستين . بالاضافة الى المساجد ، قام العثمانيون ببناء بعض الاسبلة التى كانت تحوى ايضا كتاتيب لتحفيظ القرآن الكريم ، وبنوا عددا من الاضرحة للاولياء والدراويش واشهرها ضريح جولى بابا احد مشايخ الطرق المولوية الشهيرة ، ولازال قبره قائما فى بودابست ، ويسعى بعض الاتراك لزيارته قاطعين مسافات بعيدة حتى يصلوا اليه ، وبالقرب من المساجد اقاموا بعض المدارس ، والحمامات ، وعادة كان الباشا التركى الذى قام ببناء المسجد ينشىء عددا آخر من هذه المبانى لتحمل اسمه .

مسجد الغازي

.. الطريق الى مدينة «بيتش» فى الجنوب مكلل بخضرة كثيفة ، مغسولة بماء المطر ، المدينة ترقد بين سلسلة من المرتفعات الجبلية ، تبدو بمنازلها القديمة ، وحواريها المبلطة بالحجارة ، وتدرج شوارعها فوق الصخور ، كأنها متحف حي ، مسكون ، بمجرد ان ينتهى الطريق المؤدى الى « بيتش » فى الميدان الرئيسى ، تفاجأ ببناء ضخم إسلامى الطراز ، تعلوه قبة هائلة عثمانية الملامح ، انه مسجد الغازى قاسم باشا ، اول من حكم مدينة «بيتش» ، بعد الغزو العثمانى ، المسجد يتوسط المدينة ، يلقى بظلال كثيفة على كل جزء فيها ، حتى وإن اوليته ظهرك ، انه مركز الاشعاع المكثف لهذه الروح الشرقية لبيتش برغم مظهرها الاوربى وطبعوها بطابع شرقى قبيله حتى تنقلة الى الداخل تحت القبة الضخمة على جوانبها . بعد هزيمة العثمانيين حاول النمساويون طمس ملامح المسجد ، فحولوه الى كنيسة ، لكنهم لم يغيروا ملامحه ، كل ما فعلوه انهم ازالوا الهلال ووضعوا مكانه الصليب ، غير ان المعالم الرئيسية ، والزخارف التى تمت بجذورها الى الروح العربية ، ظلت كما هى ، فى القرن الثامن عشر انهارت المئذنة واصبح المسجد تابعا لطائفة الجزويت ، وفى سنة ١٩٣٩ تعرض المسجد لتغيرات عميقة بسبب عوامل التعرية كانت تؤثر فيه ، اعيد ترميمه ، مع المحافظة على طابعه الشرقى بحيث يمكن القول انه استعاد هيئته الاصلية تماما .

مسجد حسن

.. من ميدان «سيتشيا» الرئيسى حيث يقوم مسجد الغازى قاسم باشا ، نتجه الى بعض الشوارع الضيقة ، الجميلة ، المعبقة بالتاريخ ، نصل الى شارع راكوتش العريض نسبيا ، على جانبيه مجموعة من المبانى الاوربية الطابع ، نفاجأ بمسجد صغير ، يحتفظ بمئذنته النحيلة ، عثمانية الطراز ، تقوم عند الركن الايمن منه ، غير ان هذه البقعة التى يحتلها المسجد ، غنية بمضمونها ، فريدة فى تكوينها ، وكأنها صانت فترة زمنية متكاملة من المبنى ، هذا ما نشعر به بمجرد الطواف حول المسجد والوقوف فى الحديقة الخلفية التى كانت مخصصة لتكية دراويش طائفة المولوية والتى لم يتبق منها إلا بعض الجدران الرخامية ، وفسقية ، وشواهد قبور لبعض الدراويش الذين دفنوا فى مقبرة كانت ملحقة بالتكية .

شيد هذا المسجد فى النصف الثانى من القرن السادس عشر ، الطراز عثمانى ، وصف الرحالة التركى ايفليا جلبى المسجد بالتفصيل ، بعد انسحاب العثمانيين من المجر تحول المسجد الى كنيسة فى الفترة مابين ١٧٠٢ و حتى ١٧٣٢ ، فى هذه الفترة اضيفت نوافذ جديدة ، وفتح مدخل آخر فى الجانب الشمالى ، وقد ظلت الزخارف التركية كما هى ، حتى بعد ان تحول المسجد الى كنيسة ، ثم تآكلت بفعل الزمن ، واعيد ترميمها فى الفترة من ١٩٥٧ وحتى

واجهة بيت قديم تظهر فيها المؤثرات العربية

١٩٦٠ ، عند دخول المسجد نجد ان صحنه مبلط بالحجارة ، ونلاحظ ان المئذنة ملتصقة به ، تقوم في الركن الايمن ويوجد سلم داخلي يؤدي إليها ، والنوافذ القريبة من الأرض مستطيلة الشكل ، مغطاة بقضبان حديدية زخرفية الشكل الى جانب الزجاج العادي ، وفي القبة التي ترتكز على قاعدة مثمنة الاضلاع نوافذ يتخللها زجاج ملون معتق بالجبس ، في منتصف الجهة الجنوبية الشرقية ، وفي مواجهة المدخل الاصلي نرى المحراب الرخامي الجميل ، والى اليمين منبرا خشبيا مطعم بالصدف ، والى يساره المقعد المخصص لقارىء القرآن ، وهو قطعة جميلة من الفن الاسلامي . الأرضية مغطاة بسجاد تركي ثمين ، وبالقرب من المنبر حامل للمصحف ، خشبي مطعم بالعاج والصدف ، وهذه القطع مهداة من الحكومة التركية ، كما يوجد متحف صغير ملحق بالمسجد به صور من المخطوطات التركية وسيوف قديمة وبعض الملابس ، وكلها مهداة من متحف طوبقابي سراي باستانبول ، نعود الى صحن المسجد الصغير ، الانيق الهادي

مرق الجدران توجد كتابت بخط جميل تحتوي على ابيات قرآنية

« قال رسول الله : افضل الحسنات التقى وافضل الذكر كلمة لا اله إلا الله »

« قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مامن يوم وليلة وساعة إلا لله فيها صدقة يتصدق بها على من يشاء من عباده الفقراء »

« قال عليه افضل الصلاة والسلام : ادعوا الله وانتم موقنين بالاجابة ، واعلموا ان الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه ، اللهم صل وسلم على اشرف جميع الانبياء والمرسلين ، اللهم انا نستعينك ونستغفرك ونؤمن بك ونتوب اليــــك »

« كتبه الفقير لله اسماعيل غفر الله ذنوبه ، سنة ١١٣٥هـ »

مساجد اخرى

في مدينة « شيجتفار» وفي قلب ميدان « زيرنيا» الكبير يوجد مسجد علي باشا ، لقد نال الزمن منه فتقشر طلاء جدرانه ، واصبحت الحجارة التي تشكل جدرانه بارزة ، مكشوفة ، بني مسجد علي باشا في السنوات من ١٥٨٨ إلى ١٥٨٩ ، وقد ذكره الرحالة التركي ايفليا جلبي ، كذلك تهدم المدخل الأصلي في القرن الثامن عشر ، والنقوش الجصية التي كانت تحليه ، غير ان الملامح التي لاتزال متبقية ، الى جانب النقوش التي اعيد تجديدها لا تزال تحتفظ بطابعه الاسلامي الأصيل .

في نفس المدينة ، وفي قلب القلعة القديمة يقوم مسجد السلطان سليمان ، وقد بناه السلطان سليمان القانوني عام ١٥٦٦م اثر سقوط القلعة في ايدي العثمانيين ، وقد سجل الرحالة ايفليا جلبي وصفا دقيقا للمسجد ، ومن خلال الوصف امكن التعرف على اسمه وملامحه فيما بعد ، ولما كان المسجد متصلا ، فقد استخدم لعدة اغراض بعد انسحاب العثمانيين من المجر ، استخدم كمقر لقيادة فرق الكومندوز النمساوية التي كانت تتبع قائد القلعة ، ثم حول الى ترسانة عسكرية ، وفي عام ١٧٦٦ تحول الى كنيسة عسكرية ، ويقع المدخل الأصلي في الجهة الشمالية ويفضي الى صحن المسجد من خلال ممر ضيق على شكل حرف «L» الانجليزي ، وعندما بدأ اصلاح المسجد في الخمسينات اكتشفوا المحراب الأصلي في الجدار الجنوبي الشرقي ، وفي الجهة اليمنى من المسجد تقع المئذنة التي يفضي الى داخلها سلم دائري ، الى يمين المحراب توجد القاعدة الرخامية التي كان يقوم فوقها المنبر الخشبي ، والى جانب المدخل يوجد القسم المخصص لصلاة النساء ، بعض جدران المسجد لا تزال مغطاة بأعمال الخزف التركي والنقوش الإسلامية الملونة ، وبعض الآيات القرآنية المكتوبة بخط عربي جميل حول الجدران وبالقرب من السقف الذي تعلوه قبة شبه مثلثة ، وبالتأكيد فانها اضيفت خلال تحويل المسجد الى كنيسة .

في مدينة سيكلوش ، يوجد مسجد ملكوش بك ، كان مؤسسه حاكما للمقاطعة ، وقد توفي في سنة ١٥٦٥ ، لم

مئذنة مدينة أيجر

بعض الآثار الإسلامية في المجر

يتحول هذا المسجد الى كنيسة شأن معظم المساجد التي بنيت في المجر، إنما ظل محتفظا بسماته الإسلامية، ونقوشه، والآيات القرآنية على جدرانه الداخلية حتى منتصف القرن التاسع عشر، في هذه الفترة تهدمت المئذنة والمدخل بسبب الاهمال الذي استمر سنوات طويلة، وفي سنة ١٩٠١ كانت القبة ومعظم الجدران الرئيسية قد أصابها تهدم كبير، جدار المسجد في الجهة الجنوبية الشرقية مبنى من الحجارة والآجر، ومن الداخل نستطيع أن نلمح بقايا زخارف جصية، ونقوش اسلامية، وفي الواجهة نرى ثلاث مستويات من النوافذ، والنوافذ الموجودة في المستوى الثالث معظمها تهدم وتشوه.

النقوش باقية

والمئذنة من الممكن الدخول اليها من داخل المسجد، تقع أيضا في الجانب الأيمن، وبالقرب من قاعدة المئذنة تتناثر شظايا حجرية كانت جزءا منها ذات يوم، المدخل يقع في الشمال الغربي، في مواجهة المحراب الذي يقع في الجنوب الشرقي، ولازال محتفظا بالزخارف الدقيقة من الرخام والجص، ويوجد الى اليمين بقايا المنبر، أما الزخارف الإسلامية والآيات القرآنية التي كانت تغطي الجدران فقد ذهبت مع الزمن.

في مدينة استرجوم، التي يمكن للواقف على مرتفعاتها أن يطل على الجانب الآخر من الدانوب حيث الحدود التشيكوسلوفاكية، يوجد مسجد حاجي ابراهيم، وهذا المسجد يعتبر من المساجد التي بنيت عند حدود المناطق التي وصلتها الجيوش العثمانية داخل أوروبا باتجاه الغرب، لا يعرف شيء عن مؤسسه أو الظروف التي شيد فيها، ولكن عرف اسمه من وصف الرحالة التركي ايفليا جلبي شيد في بداية القرن السابع عشر وفي منتصف القرن الثامن عشر استخدم كمخزن للقمح، والآن يستخدم كمنزل، وقد كشفت الحفريات الحديثة أن الجانب الشمالي الغربي من المسجد كان يواجه سور المدينة الطولي من هذه الناحية.

ويقودنا مسجد حاجي ابراهيم في استرجوم والذي اندثر معظم معالمه، الى بقايا مساجد أخرى لم يتبق منها إلا أجزاء مهملة، اندمجت في بعض المباني الحديثة، أو تقف متوارية في عديد من شوارع المدن المجرية، ومن أهم هذه المساجد جامع توويجون باشا، بني من عام ١٥٥٣ وحتى عام ١٥٥٦ م، أي في بداية الحكم العثماني للمجر، وقد وصلت المعلومات المتعلقة به من خلال كتاب الرحالة ايفليا جلبي، وعندما انسحبت الجيوش التركية من المجر ظل سليما لم يمسه أذى، ثم أصبح جزءا من كنيسة جديدة في عام ١٧٧٠، ولكن معالم نقوش المسجد الأصلية ذات الطابع الإسلامي ظلت كما هي في الجدار الجنوبي الشرقي، كذلك النوافذ التي وزعت على ثلاث مستويات، وكانت النوافذ الموجودة على مقربة من الجدران كبيرة ومستطيلة، أما نوافذ المستوى الثاني فأضيق قليلا، أما النوافذ العلوية فغالبا ما كانت مستديرة ولازال مكان المحراب ظاهرا بوضوح حتى اليوم داخل الكنيسة.

وإذا انتقلنا الى مدينة «بيتش» سنجد بقايا مسجد فرهاد باشا، وتوحي بقايا المسجد بأنه كان يحتل المكان الذي يقيم فيه الآن المنزل رقم ٤ بشارع كازينسكي، أسس المسجد فرهاد باشا حاكم مقاطعة بودا من ١٥٨٨ حتى عام ١٥٩٠، وعندما وصف ايفليا جلبي مدينة بيتش أورد وصفا تفصيليا لهذا المسجد، وفي سنة ١٦٨٦، انسحب العثمانيون من بيتش، ولم يلحق المسجد تدمير كبير، ثم أصبح لطائفة الآباء الدومينكان، واستخدموه حتى سنة ١٧٦٠، وتبدو بقايا المسجد تحت المنزل الذي يحتل موضعه هناك.

ونستطيع أن نرى تفاصيل معمارية اسلامية في كنيسة أوجستين بمدينة بيتش أيضا، وقد اكتشفت هذه البقايا عام ١٩١٢، غير أن المسجد الأصلي الذي كانت هذه الزخارف جزءا منه مجهول الاسم، وغير معروف مؤسسه حتى الآن غير أن الكنيسة نفسها بنيت ١٧١٢ ومن المرجح أنها بنيت مكان المسجد أو أن اضافات جوهرية جرت على بناء المسجد الأصلي.

وهكذا تنتشر الآثار الإسلامية في المجر من بيتش جنوبا، حتى استرجوم في الشمال، تقف الحجارة كشاهد باق على الأماكن التي وصل اليها الإسلام، وأبقى على مر الزمان بعض من فنونه، وروائعه.

جمال الغيطاني



لوحة

م. كجراي

يازورقي الحالم في ضاحية البحيرة المنسية المهجورة
أود أن أصعد للمقصورة
أصغي إلى الموسيقى السحرية ، المقاطع الحلوة في المسند الندي
أقفز فوق حائط السكون والـردى
أدخل من بوابة الخروج
أحرق قلب الموت في برك الألوان
أعبر كهف الصمت أستقل على الطيف والريح
أتوق للألوان فوق اللوحة الأسطورة
للكروان العاشق السحيق
للشاعر العصفور
بادارة الصحو الذي يقودني
لحانة الليل على الغدران والخمائل
يكتمل المشهد حين يرقص السكون في مقاطع الهديل
تغتسل الخضرة بالضياء
في غابة الجميز ، والهبيل ،
فالورق الصقيل
أنقى من الصفاء في المرايا
يعانق العليق خصر سرحه
فتطلق الأهة من مقاول الحنايا
كل الفراشات على الخارطة الملونة
تقبل البراعم الثلجية الندية
تمتص من رحيقها سلاف بخوس على دوارق فضية
عبيرها كعبق الحضارة المجهولة المنسية
بالقمبى المترع بالنشوة هذا سيد الفصول ،
يخطر في مملكة العشب يرش العطر في مسلك الحقول
هذا حبيب القلب ، أوزوريس ، في شبابه المؤتلق الوديع
هذا زفاف الفلك المتوج الربيع
يعبر في موكبه الملون البديع .





حكاية كتاب خرج ولم يعد !

● الكتب أصدقاء مأذنون ومأمونون !

تلك كلمات قرأتها لـ «ابكتور هوجو» في سنوات الصبا، ولست أدري إن كانت هي التي جعلتني في تلك السن الباكرة أوثر صحبة الكتاب على صحبة الأتراب.. أم هو الغروب في قريتي الوسنى أن الوذ بفضيلة الإصغاء إلى مفردات الكون تصاغ في المساء بتلك الكلمات المرسومة بكل ستتقلاته الداخل بين اللون والضوء والظلال المتحركة حول قرص الشمس الوشك على الاختفاء.. ويتحجم تلك الدهشة التي تلهب فينا جذوة الخيال والفضول والرغبة في المعرفة، حين يكون الله هو المبدع، وحين تكون الطبيعة هي الكتاب !!

لكنني أوقن أن صداقتي مع الكتاب بدأت لي كتاتيب القرية جلوسا منصتين ومرددين وحافظين.. وتأكدت تلك الصداقة حين أتممت حفظ القرآن كله قبل سن العاشرة.. إن صداقة الكتاب تتأكد حين ننتهي من قراءته والكتاب لأن أبطاله بكل أسراره إلينا مهما دقت على الوصف.. وبسائر أمير الشعر ببعض أسرار الصفاء المبهم إلى زمرة شتتها وتطهر في خواطره الانبهار المعلق بأسرار اللغة التي فرحوها، ولا يزالون به كتابا.. وهو يطهرني من شوائب النفس.. يقربني من جوهر اللغة التي أعشق، ويملؤني بفيض الموسيقى غير المتكلفة، ويمنحني شجاعة الخوض في متاهات الزيف المحدق بنا من كل صوب، حيث لا خشية إلا من الله، ولا حق غير الله ! وإني مازلت بالقرآن أهفو لو يدنو بي من تلك البصيرة، التي أحلم أو تدنو من فيض الشفافية، كي أبصر بها الحقائق التي لا تدنو من الناس لأنهم مظلمون !

ولقد اهداني القرآن بعد ذلك كيف أختار أصدقائي من الكتب، فلا ألدني بحقل إلى درك الثقافات، ولا أسيغ لذاكرتي أن يحشوها مخدوع أو مبتذل. وهكذا يستبد القلق بي حين ألف زبونا أمام الأرفف في المكتبات.. إنه قلق الفضول المحموم نحو عقل جيد العطاء والصحبة.

ولقد علمتني التجربة ألا أثق فيما يقال من أن الكتاب يعرف من عنوانه.. فكم من العناوين البراقة اجتهد الكتاب من الدرجات الدنيا في ابتكارها.. سريعا ما ينكشف خداعها حين تطالع المقدمات أو تدخل في الموضوع !

أحياء في غرفتي !

● صداقة الكتاب الجيد هي أفضل صداقات الإنسان على الإطلاق !..

إنها التفاهم القائم على محبة العقل والمعرفة والمعرفة.. وهي الود الذي لا يفسده اختلاف الرأي.. والكتاب يمنحك تلك الحرية الشخصية وأنت تختاره صديقا.. تدخل في عقل صاحبه مباشرة.. تتجول في عالمه دون توجس من كبر أو استعلاء، ودون هاجس من زيف السلوك الاجتماعي الذي بات ظاهرة من ظواهر الجهل والإحباط الروحي في حياة البشر.. وإني إذ أجلس الآن في غرفة كتبي هنا.. وحين أستقي بذاكرتي إلى غرفة مكتبتي هناك.. فستشعر أنني في حضرة أصدقاء حقيقيين من أفضل المفكرين الذين عرفت وعاشرت، جميعهم راغب في أن يفيح لديك خبراته، وأحلامه، وأمنياته للحياة وللناس.. وكلهم مجبولون على المزيد من العطاء كلما قصدت.. لا يملون.. ويحنون أكثر ! وإنما يتجسد لي الكاتب الذي أدعوه رفيقا لأمسيتي، أجلس إليه.. وأصغي إلى صوته وهو لا يتعب ولا يكل حين أقاطعه حينا لأدير حوارا معه حول نقطة يكون لي فيها وجهة نظر أو استفسار.. وهو لا يضيق بتحقيق أو استهانة حين أهرع إلى وجهة نظر أخرى عرض لهذا الموضوع لدى كاتب آخر في الغرفة يصغي ويتنقل الدعوة لصديقه.. إنهم جميعا أحياء في غرفتي ساهرون يؤكدون... العقل، وبالهم من متواضعين... حين تدعوهم إلى صداقتك، وحين يدخرون لك أصغر ما خرجوا به من الحياة.. للحياة، وحين يسهرون خوفا عليك من ضوضاء المعرفة، وإنه لعالم حقيقي ورحب الود به في المساء من هجير العلاقات الفجة وعنكبوتية الزوايا والأصوات اليومية المتكررة في غاية النهار !

حياة محمد

● هذه الليلة الثامنة من ليالي شهر رمضان العظيم المتسامح، أجلس إلى «حياة محمد» بقلم الدكتور محمد حسين هيكل، وإذ أقول إنه من أفضل ما كتب عن سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، فلأن الدكتور هيكل يجعلني في كل سطر من سطور الكتاب، استشف ذلك الصفاء الروحي شديد الإيمان، بتلك المهمة المقدسة.. إن بعض الموضوعات ينبغي ألا يتوفر لها فقط موهبة القدرة على التعبير والبحث والاستقصاء، وإنما يتوجب أن يكون الكاتب على درجة عليا من الشفافية والنور.. ومن هذه الموضوعات «محمد» «حياة محمد» تلك يصحبني منذ ثلاثين عاما على وجه التحديد، لم يفارقني يوما.. انتقل معي من قريتي إلى مدينة دمنهور طالبا.. وإلى الإسكندرية موظفا، وإلى القاهرة صحفيا وكاتبا، وركب معي الطائرة إلى عدد من بلاد الدنيا زائرا، وسائحا، وفي مهمة، وهاهو ذا يستقر معي في مدينة الدوحة رفيق عمر وطريق واغتراب.. سرقت مكتبتي في مدينة الإسكندرية ولم يكن ضمن المسروقات لأنه كان في حقيبتي، وفقدت حقيبتي بكل الأوراق الخاصة في مطار هيثرو، ولم

د. محمد حسين هيكل



يضيع لأنه كان تحت إبطي ، واعتزازات معظم كتبي من تكرار التصفح إلا هو ، لأني ألقاه بكل الرفق والمهابة ، في أمسيات شديدة الضوء بالصفاء والجلال .

« حياة محمد » الكتاب .. استعرته من صديقي وبلدياتي الشيخ محمد علي القماح الطالب حينذاك في الأزهر ، وكان المفروض أن أعيده إليه بعد شهر قدرته وأنا كافيا لقراءته وهضمه ، إذ اعتدت أن أقرأ الكتاب الجديد مرتين ، مرة لملازمة الدهشة ، ومرة للحوار معه .

وهو يقدمه لي أحسست أنه بدا يتعجل انقضاء الشهر كي يعود إليه الكتاب ، لأنه كما قال يتفاءل بوجوده في مكتبته وأهل كلمة ، تفاؤل .. كانت أقوى مفتاح بعضه من في التي به علي في « حياة محمد » بل لعلها كلمة « تفاؤل » .. فأردت لي في نفس اللحظة أنني أن أعيد هذا الكتاب إلى صديقي فليس أجمل ولا أروع من كتاب يدفق لديك كل هذا الإحساس الجميل بالحياة .

وقد حدث !!

.. ومع أن صديقي القماح ـ ذلك الإنسان الطيب المزيج من البراءة الذكية ، والذكاء الفطري البريء ـ لم يكن له من شاغل غير أن يعيد هذا الكتاب إلى حوزته .. ومع أنني كنت ألمح ذلك التدني الخجول في عينيه ، راغبا في أن أعفيه من عبء المطالبة المستمرة سواء بالتلميح أو بالتصريح .. إلا أنني الآخر وجدتني متشبثا به ، وكأن ملكية الأشياء لا تؤول إلينا لمجرد أننا دفعنا فيها الثمن .. وإنما لأننا عاشرناها ، وتعرفنا عليها ، وامتدت في عروقنا ، وتوحدنا في حياة واحدة بالتفاهم ، والمخالطة ، والعادة .

كنت قد وقعت في أسر الكتاب حقا .. وهذه النسخة بالذات .. لا سواها ! ليس فقط لأنني أمضيت معها الليالي وحيدين في ضوء المصباح الريفي الشاحب .. غارقين في عالم من نور حقيقي بلا نهاية .. وإنما لأنني كنت قد أمسكت على هوامشه البيضاء ببعض قطرات المناجاة التي توهجت بداخلي ، وتوهجت بها .

شيء آخر كان يقنعني بإصراري على التمسك به ، كنت قد اكتشفت للوهلة الأولى عند استعارتي له ، من نظافة الغلاف الأسود ، ثم من التصاق الصفحات بعضها ببعض في عناق النيم وسستيت ، أنني أول الأنامل التي تتصفح الكتاب ، وأن عيني أول ضوء يغشى عالمه ! هل كنت مشفقا على دنيا هذا الكتاب من السكون والتحنط ؟ أم أنها تلك الغيرات التي تقنع بها أنفسنا حين نكون راغبين في امتلاك أشياء الآخرين بعد أن صارت عزيزة علينا ؟!

● ●

الآن تلوح لي قريتي لحظة التوديع في طريقي إلى القاهرة منذ ربع قرن !

الشروق ، والحقول ، ومواكب الفلاحين ، وعينا صديقي الشيخ القماح .

وهو يصافحني ، لم ينس أن يذكرني بالموضوع .. قال في حزن من سيفتقد الصديق ، والأمل في استعادة الكتاب :

ـ لاتنس أن تكتب لنا شيئا عنه .

وتحرك القطار فأعفاني من سلوك التصميم !

سنوات وسنوات .. أعلا مقيها أصوات المحطات والمطارات والموانئ و .. دقات على باب مسكني ذات مساء كهذا بأصابع صديقي القماح

ضاحكا وجدا في الوقت الذي فتحت له الباب !

ـ تصور أنني لم أقرأ « حياة محمد » حتى الآن !

ضاحكا وجدا في اللحظة التي احتليته فيها من بين دراعي

ـ يالك من بهدل ، كيف لم تستعره طوال تلك السنوات من مكتبات الوزارة !

وتضاحكنا طويلا في شوق .. فلما اكتشف صديقي أنه سيبيت تلك الليلة في غرفة الكتب ، توهجت عيناه بأمل لا يمكن وصف ميلاده المفاجيء من رحم اليأس كل هاتيك السنين ! واقفنى بت هذا تلك الليلة !

السعد في انقسام شديد بين رغبتين متقابلتين : أن أعيد ... عنه عبا كبيرا سيظل يحمله إلى آخر العمر ، ... أن أحتفظ بالكتاب لأن عشرتي معه أطول ، ... أكثر .. ولأنني ما تصورت أن أدخل غرفة مكتبي ... « حياة محمد » الذي توهجت به ... إلى الأبد !

وعندما انحزت إلى رغبتي .. أمضيت بقية الليل نهبا لأحاسيس من نوع الحرج الذي ينتابنا في مثل هذه المواقف ، وقررت أن أتي له في الصباح بنسخة جديدة ، لست واثقا من توافرها في المكتبات حينذاك .

فلما جاء الصباح ، وتأخر الصوت في الغرفة التي ينام فيها صديقي ، تصورت أنه غارق في النوم ، ذاهل عن كل شيء .. لكني ما إن واربت الباب في رفق ، حتى بدت لي الغرفة خالية منه .. وعلى جانب من السرير الصغير وجدت كتاب « حياة محمد » مفتوحا على الصفحة البيضاء الأخيرة ، وقد تحولت إلى رسالة من كلمات قليلة :

ـ قاومت كثيرا أن أحرمك منه .. فلا تحرمني منه ! الإمضاء محمد ... صاحب « حياة محمد » .

واعتبرتها تحية مريحا .. فكتبت له على هامش الرسالة :

تؤول ملكية هذا الكتاب إلى صديقي وصاحبه الشيخ محمد على القماح بعد أن تقعد بي الشيخوخة عن القراءة .

وفي كل خطاب يأتيني منه .. يذكرني بالموضوع !

وفي كل خطاب أبعث به إليه .. يتأكد له أنني مازلت قادرا على القراءة .. مع أنه لا يعرف شيئا عن الوصية .. لأننا لم نلتق منذ ذلك الصباح البعيد الذي تسلل فيه هاربا من « فرصة متاحة » لحرماني من الكتاب !!

جوجول
الروائي الذي أضحك ليبكي

جمال كناني


جوجول

قال الناقد الروسي المعروف بلنيسكي عن جوجول « إنه أعظم عبقري أنجبته روسيا » . فلما قرأ الكتاب الذي نشره جوجول في عام ١٨٤٧ بعنوان « مختارات » قال عنه « إنه المبشر باستعمال السوط ، رسول الجهل ، مادح وحامية الظلم » .

ولكن ترى ما كان جوجول بالنسبة لغيره من الكتاب الروسيين عامة ؟

كان تورجنيف أستاذهم تعبيراً إذ قال : كان جوجول بالنسبة « لنا أكثر من كاتب ، فقد كشف لنا عن أنفسنا بالنسبة لدستويفسكي فإن جوجول « ضحك على نفسه حول حياته وضحكنا معه ... لكننا نضحك على أنفسنا أننا بكينا في النهاية » ... لقد عرض جوجول أمامنا موكباً من عبدة المال والمحتالين من ملاك الأراضي وأهل السلب والنهب ، وكانت مهمته لا تزيد عن الإشارة إلى هؤلاء بأصبعه فيظهر على جباههم وشم الخزي الذي يذكرنا بجرائمهم ما عاشوا ... وأكثر من ذلك ... يطبع أسماءهم على ذاكرتنا ما عشنا » .

ولعل الصور التي رسمها جوجول لأفراد الطبقة الحاكمة في روسيا في التي خلفت حب الشعب وولاءه لهم ـ على أن الصور التي رسمها جوجول تتخطى الشخصيات المحلية المجردة وتتعداها إلى شخصيات شائعة في العالم كله لأنها تكشف عن خصائص وصفات يشترك فيها البشر جميعاً ... فيمكن ، من هذه الناحية ، أن نعتبر شخصيات جوجول خالدة باقية على الدهر مثلما بقيت شخصيات لير وشيلوك وهاملت وليدي ماكبث ، وما على الناس انفسهم .

ولكن من هو هذا « الجوجول » ، هذا الكاتب الفكه ، الهجاء اللاذع ، الروائي الشاعر ، كاتب القصة القصيرة ، والمقال ، والتمثيلية ؟ ترى من هو هذا العبقري الذي ينشر الصور ويحمل بطولة التلاعب في آن واحد ؟

هو نقولاي فسيليفتش جوجول ، الذي ولد في أوكرانيا في شهر مارس ١٨٠٩ لأب من صغار أصحاب الأراضي ... الذي حاول بعد أن أتم تعليمه الثانوي أن يحصل على وظيفة حكومية أو يعمل ممثلاً في مسرح سانت بيتر سبيرج الحكومي فلم ينجح فقرر الهجرة إلى الولايات المتحدة ، ولكنه ما بلغ أرض السويد وهو في طريقه إلى أمريكا حتى قفل عائداً إلى بلاده وكتب لأبيه يقول :

« لقد أذل الله كبريائي ، وهذه إرادته المطمئنة » .

ولكن أن حصل جوجول بعد عودته ، على وظيفة حكومية متواضعة قضى فيها عاماً أو بعض عام ... ولكن الأدب ، وهو هوايته الأولى ، قد شجعه فيها ، والأدب الذي كان يعنيه أول الأمر هو الشعر والقصة القصيرة والرواية الصورية والفلسفية والمقال ...

نفوس ميتة

وحدث أن عرف أنه صديقه عن الشاعرة ... على الشاعر بوشكين ... الذي اقترح على جوجول مادة لمسرحية بعنوان « المفتش العام » ورواية بعنوان « نفوس ميتة » ... وهذه الرواية أكثر من غيرها من أعمال جوجول ، تعكس نواحي التناقض في شخصيته ، كما تعكس مواهبه وأهدافه الخلقية وإمكانياته ككاتب ساخر هجاء ، وماله من وحي وإلهام ، كما توضح عدم قدرته على الوصول إلى حل منطقي معقول للمشاكل التي شغلت باله وأقلقت كاهله .

بعد أن تعرف جوجول على بوشكين ، شاعر روسيا الكبير ، قرأ عليه بعض ما كتب من مذكرات فاقترح عليه بوشكين أن يحيلها رواية بعنوان « نفوس ميتة » وهي عبارة كانت شائعة في روسيا إذ ذاك تشير إلى الأرقاء الذين يفلحون أرض السادة ، ويبقى اسم من يموت منهم على قائمة أسماء الأحياء حتى يجري إحصاء تعداد السكان الدوري الذي يحدد عدد النفوس .

في أكتوبر ١٨٣٥ كتب جوجول إلى بوشكين يقول : « بدأت كتابة (نفوس ميتة) ... وسيكون كتاباً مضحكاً للغاية ... أطمع أن أصور فيه روسيا بأكملها حتى ولو كانت النتيجة صورة لا تعرض إلا جانباً واحداً » .

ونقول هنا ، لأن الشيء « بالشيء يذكر » ، أن كتابة الجزء الأول من رواية « نفوس ميتة » استغرقت من جوجول ثمان سنوات ١٨٣٤ ـ ١٨٤٢ واستغرق الجزء الثاني عشر سنوات ١٨٤٢ ـ ١٨٥٢ أما الجزء الثالث الذي أراد أن يرسم فيه صورة البطل تشيتشيكوف وقد تحول إلى حياة الفضيلة ، فلم يكتب ... لأن الموت أدرك جوجول .

وكان لجوجول في موضوع الضحك مذهب عبر عنه في أحد كتبه بقوله : إذا كان للإنسان أن يضحك ، فالخير أن يضحك ملء شدقيه وأن يضحك على مرأى الناس مضحكاً » ....

نفوس ميتة

ولما صدر الجزء الأول من « نفوس ميتة » أحدث ضجة مدوية ... فتحمس له البعض وأحس بلذعته البعض ، وفزع بعض آخر لما فيه من صور كاريكاتورية شديدة السخرية ... وقال جوجول :

« لقد حقق الجزء الأول أمراً مهماً ... فقد أثار في الجميع كراهية شديدة لأبطال قصتي ولتفاهتهم وأشاع شيئاً من الوجوم وكشف عن عدم رضانا عن أنفسنا ... وهذا كل ما أطمع فيه في الوقت الحاضر ... » ، ثم قال « هذا الجزء يحتوي على صور لشخصيات قبيحة ، وأخرى وحشية مرعبة ومجموعة من شخصيات ممسوخة ونقد ساخر للحياة المعاصرة » .

ويرى مؤرخو الأدب ، في ضوء الحقائق المعروفة أن جوجول كان ينوي أن يكتب « نفوس ميتة » في ثلاثة أجزاء على النحو الذي سلكه دانتي ، لما قسم « الكوميديا » إلى ثلاثة أجزاء ـ جحيم ، ومطهر ، وفردوس ... فالجزء الأول من « نفوس ميتة » لا يصور الأرقاء الذين يسخرون لفلاحة الأرض ويشتريهم البطل تشيتشيكوف وهم موتى فحسب ، بل يصور بقية الشخصيات وقد ماتت من الناحية الأخلاقية والعاطفية والروحية كذلك ... وبالمثل ، فإن الشخصيات متشابهة إلى حد ما من حيث أنها تتقاسم نفس القوة الدافعة لأنها جميعاً صور كاريكاتورية وليست أفراداً تنبض بالوجيه بالحياة .

لم يحصلنا من الجزء الثاني من نفوس ميتة إلا القليل .. وكان المقدر له أن يختلف عن الجزء الأول تماما .. فالذي خطط جوجول له ، هو أن يكون المحور الذي يدور حوله الكتاب كله بأجزائه الثلاثة .. وشخصياته كانت ستتمتع فجأة من التفكير ، وكانت قدرتها على ممارسة المواقف الإنسانية ستتطور .. وكان المؤلف ينوي في هذا الجزء من الكتاب أن يوضح الصراع الداخلي بين الخير والشر في ذات الإنسان .

أما الجزء الثالث من هذا الكتاب فلم يعد مرحلة التخطيط .. وكان هو الجزء الذي يحقق فيه المؤلف إعادة الخلق الروحي لشخصياته .. تشيتشيكوف البطل ، يولد من جديد كرجل له ملكة تقدير القيم ، و بليوشكين المرابي ، ومن هم على شاكلته في الجزء الأول يصبحون من الأشراف المهذبين .

ولم تنجح هذه المحاولة الطريفة لخلق عالم إيجابي (وهو أمر لم ينجح فيه تولستوي ولا دستويفسكي) لا بسبب نزوات المؤلف أو الضعف الزائد أو اختلال متزايد في قواه العقلية (وكثيرا ما عرض الكتاب لهذه الناحية من شخصية جوجول) ولكن لأن آراء جوجول نفسه تغيرت بالتدريج .

ولو أننا استعرضنا أهم الأحداث في حياة جوجول لوجدنا أن التحول في أفكاره وسلوكه كان له منطق فهو ينتقل للصلاح وأيضا يؤمن الشديد بوعظ الناس وإرشادهم ، وميله المتزايد إلى التصوف .

بين الأدب والتدريس

بعد محاولات فاشلة وهروب من نفسه لفترة قصيرة قضاها خارج روسيا ، كتب جوجول الجزء الأول من رسالة على مر عشر أثناء عمله كمدرس لمادة التاريخ ، ثم نشر الجزء الثاني وهو مازال يمارس مهنة التدريس ، فكان في ذلك ما يعبر عن الازدواجية الكامنة في جوجول بين عقله من ناحية وبين مخططاته من ناحية .. فهو راغب في التدريس إلى حد أنه أصبح مؤرخا محترفا كتب مقالا بعنوان « مخطط لتدريس تاريخ العالم » ، كما أنه عين محاضرا في الجامعة .. وهو في الوقت نفسه تواق إلى الكتابة القصصية مولع بها ، وعلى الرغم من أن كتاباته الأدبية كانت تعبق بعطر الرومانسية ، إلا أنه كان يعالج مواقف وملامح شخصيات بوشى بدعابات رشيقة .

وكانت الغلبة في نهاية الأمر للأدب فطلق جوجول التدريس في عام ١٨٣٥ ، إلا أن ميله الغريزي لتلقين الناس ظل يطل برأسه بين الحين والحين ، فيما يكتب من تعليق على واحدة من تمثيلياته أو رواية من رواياته .. كان يشرح أصالة الناس وكأنها كتب مدرسية مقررة .. وظهر ذلك واضحا جليا في تعليقاته على نفوس ميتة ، التي وصف الجزء الأول منها بأنه سلم أو درج يؤدي إلى قصر منيف لم يتم بناؤه .. ومن الواجب أن نقول - حتى إذا قبلنا هذا الوصف المتواضع ، إن هذا المؤلف بالغ الروعة من حيث ما فيه من تناغم وإبداع ، وقوة ما يحتوى من عاطفة وجمال ما يزينه من السخرية .. هذه كلها تتآلف لتثبت لقارئه أن هذا الكاتب رغم مرارة مجادلاته وسخريته ، كان يؤمن بقومه ووطنه ويؤمن بمواهبهم ونشاطهم .. وأن عالم نفوس ميتة بالنسبة إليه عرض زائل .. فهو إذ ينظر في طيات المستقبل ومجاهيله ، يرى روسيا وكأنها عربة تجرها جياد ثلاثة ، سرعا فائقة ، لتخرجها من عالم الأشباح .

محاولة الخلاص

وهذا الوصف المستقبل الملائم هو همزة الوصل بين الجزئين .. الأول والثاني من الرواية ويصل بينهما حتى إعادة [illegible] البطل تشيتشيكوف لقواه الخلقية ... فلا مورو جوجول في الجزء الأول الشخصية الروسية ، ويحاول [illegible] [illegible] من عصر جوجول [illegible] [illegible] أن يجدها جوجول [illegible] قوته الخلقية [illegible] [illegible] لا يلجأ إلى التوجيه [illegible] [illegible] أن يخلصها من الوهدة التي أوقعهم فيها مجادلاته . ولا عجب أن هذا الكاتب الذي وجد نفسه موزعا بين مواهبه ورغبته في الوعظ والإرشاد أصيب بحالة شديدة من التوتر العصبي ، دفعه في عام ١٨٤٥ إلى حرق كل ما كتب من الجزء الثاني من نفوس ميتة .. الحرق حصاد سنوات خمس ، واعتبر ذلك نصرا أخلاقيا وقال : لم أولد لأنال شهرة في عالم الأدب .. فمهمتي بسيطة قريبة المنال .. ومثلي من النوع الذي يجب أن يفكر الجميع فيه .. لا أنا وحدي .. ومهمتي هي الكمال روحي والوصول إلى الاستقرار في الحياة ، وعلى ذلك فلابد أن تصدر أعمالي عن وحي من ضميري ويجب أن أكتب ما يمليه على هذا الضمير .. أنا أحرق نفسي يلزم حرق ما يجب حرقه وأنا واثق أني على صواب لأنني لا أقدم على شيء قبل أن أصلي .

كان الرجل مخلصا في ذلك وكان يمتحن كل شيء في هدى من الدين وكان يهدف إلى الكمال الذاتي . ولم يكن وضع جوجول في مصاف فلاسفة الروس وليد الصدفة فتولستوي ودستويفسكي يقتسمان بعض أفكار جوجول ويتأثران بها وهما يصنعه البحث عن الصدق العلم والصدق الخاص .

حاول جوجول أن يعيد كتابة الجزء الثاني من نفوس ميتة ، ولكنه عدل عن ذلك مؤقتا وبدأ في كتابة « مختارات من مراسلات الأصدقاء » ، وبعدها يقرأ بعض فصول المختارات على عدد من أصدقائه .. وقال الكاتب المشهور أكساكوف في جلسات أولاده « لست أعرف غير هوميروس وحده من يستطيع تصوير النفس البشرية وهي في نطاق طبيعة الإنسان الوضيعة ، كما يصورها جوجول » وعندي الآن قناعة تامة بأن جوجول سيستطيع تنفيذ ما وعد به في الجزء الأول بكل ثقة ، بل ويلىء من النجاح » .

لماذا أحرق الجزء الثاني ؟

ويبدو مما يقول الأصدقاء أن جوجول أتم الجزء الثاني عام ١٨٥١ ولكنه عاد فحرق المخطوط في ١١ فبراير ١٨٥٢ ، ولم يكن الحرق هذه المرة بسبب حمة أو ضيق ولكن نتيجة لخطأ غير مقصود ، إذ إنه لم يدرك ساعة حرق أحد الملفات أن الملف الذي أحرقه كان يحتوي على المخطوط . وقال لصديقه آخر ، تولستوي في اليوم التالي « تصور مدى قوة الأرواح الشريرة ! أردت أن أحرق بعض الأوراق التي كنت قد أعددت لحرقها ولكني أحرقت فصول نفوس ميتة ، التي أردت أن أخلفها لأصدقائي بعد موتي » .

وأجاب تولستوي ، هذه علامة طيبة .. كنت من قبل تحرق كل شيء وتعيد كتابته خيرا مما كان ومن الواضح إذن أن موعد موتك لم يحن بعد .. فأنت لاشك تذكر ما أحرقت ، ووضع جوجول يده على جبهته وقال ، نعم ، نعم ، أستطيع .. كل شيء مازال في رأسي .. وهدأت أعصابه وتوقف عن البكاء .. ومات جوجول بعد هذا الحوار بعشرة أيام فقط ، وعثر بين أوراقه على عدد من فصول وقصاصات تبين أن جوجول كان قد غير أسلوبه في الكتابة من حيث الوصف والقصص ، فناحية الهجاء التي تسيطر على الجزء الأول تكاد تكون مطمورة في الجزء الثاني ، وإن ظهرت ، ظهرت واهنة باهتة . وهدف المؤلف هنا فيما يبدو هو رسم صور سيكولوجية لأبطال قصته ، وفي الجزء الثاني تصوير للمواقف وعرض للأفكار والمشاكل التي كانت شائعة في روسيا قبيل حرب القرم مباشرة .. وكانت روسيا إذ ذاك تواجه انهيار الأوضاع التقليدية في الحياة الاجتماعية والاقتصادية ، وأصبح من الواضح إذ ذاك أن نظام الرق لم يعد صالحا من الناحية الاقتصادية وأن ما يعرف « بالاقتصاد الطبيعي » الخاص بطبقات الملاك لم يعد جائز التطبيق .

والجزء الثاني من نفوس ميتة ، يعبر عن نظريات جوجول وآرائه أكثر مما يعبر عن فنه ، وفي ذلك قال أحد معاصريه ، كانت عبقريته هي التي تتحكم في كتاباته أول الأمر ، أما الآن فهو يحاول رسم الاتجاه الذي يجب على عبقريته أن تتخذه .

بيتر شافر ومسرحيته الفائزة بجائزة النقاد

فؤاد دوارة

في الاستفتاء السنوي الذي تجريه مجلة «مسرحيات ومسرحيون» الانجليزية لاختيار أفضل المسرحيات التي قدمت خلال العام المنقضي، بالإضافة الى أفضل مخرج، وأفضل ممثل ... الخ، ويشترك فيه ما يقرب من عشرين ناقدا من أكبر نقاد المسرح المتخصصين، فازت مسرحية «إكوس» لبيتر شافر باعتبارها أفضل مسرحية قدمها المسرح الانجليزي خلال عام ١٩٧٣.

وبيتر شافر من كتاب الجيل الثاني لحركة «الشباب الغاضب» أمثال جون أوزبورن، وأرنولد ويسكر، وشيلا ديلاني، وجون آردن وغيرهم.

ولد شافر في ليفربول سنة ١٩٢٦، ودخل مدرسة سانت بول بلندن، وأثناء الحرب العالمية الثانية أدى الخدمة العامة الضرورية لفترة التجنيد، فاشتغل عاملا بمناجم الفحم، ثم درس التاريخ بكلية ترينتي بجامعة كامبريدج.

وبعد تخرجه قال خمس سنوات يتنقل من عمل الى آخر .. من مكتبة «برايونتاني» بنيويورك، ثم تكن لدى الخبرة المطلوبة - الى قسم الشروح بالمكتبة العامة بنيويورك - عالم تنسيق الإعلان من مقالات الفهارس»، ثم القسم السيمفوني لدار «بوسي وهوكس» لنشر الموسيقى بلندن.

قال فترة ملا عمل ألف خلالها ثلاث روايات بالاشتراك مع شقيقه التوأم أنتوني (مؤلف «بوليس سرى» و«صانع السلام»)، كما كتب عددا من التمثيليات للإذاعة والتليفزيون، ولذلك فقد تحدث عنه الناقد جون رادل تيلور في كتابه «الغضب وما بعده» في فصل واحد مع ألون أوين ونايجل كنيل، وجون مورتيمر، باعتبارهم الكتاب الجدد القادمين للمسرح من الاذاعة والتليفزيون.

تدريب الأصابع الخمسة

وإذا كان شافر قد كتب للمسرح متأخرا نسبيا فقد أجاد منذ بدء مسيرته، منذ ألف «تدريب الأصابع الخمسة» وهو مسرحية تعد من أنجح مسرحياته، وما زال يتذكر بوضوح إقبال الجمهور وحماس النقاد، والفنان الممثل القدير جون جيلجود وهو يمثل دريشارد الثاني، بملعب جولدرز جرين، وقال هذا

الإعجاب حبا في نفسه، ولذلك فقد كان يصعق حينما اتصل به أحد أصدقائه ليسأله إذا كان يوافق على أن يقوم جيلجود بإخراج نص مسرحي كان شافر قد انتهى منه وأسماه «تدريب الأصابع الخمسة».

وعنوان المسرحية مقتبس من التدريبات الموسيقية التي تؤلف خصيصا لتعلم العزف والتي تستهدف إكساب المتعلم القدرة على تحريك أصابعه الخمسة ... ويرى في تسميته أن تشير الى أسرة من خمسة أفراد ... بحيث يلعب كل منهم دوره ... الا إذا خرج عنها أحد ... حتى تنحل المسرحية ... عن الجمهور ... مفهوم ... الحياة الأسرية ...

وهذه المسرحية تعتمد على العلاقات المتبادلة بين أفرادها، وتتعقد هذه العلاقات وتتشابك، فتقرر الأسرة طرد المدرس الشاب الذي لا يتصور حياته بدونهم، ومن ثم يشرع في الانتحار، فتضطر الأسرة الى العدول عن قرارها.

وقد عرضت المسرحية سنة ١٩٥٨، فحققت نجاحا كبيرا، واستمر عرضها نحو عامين، يقول شافر:

«منحتني نجاحها الثقة التي كنت شديد الحاجة إليها، كما حل مشكلاتي المادية، ومنذ

بيتر شافر

ذلك الوقت أصبحت كاتبا مسرحيا».

وفي نفس هذا العام المالي قدمت لشافر مسرحيتان قصيرتان في عرض واحد سنة ١٩٦٢، الأولى بعنوان «أذن خاصة»، وتدور حول شاب شديد الخجل يعجب بفتاة جميلة قد دعاها للعشاء، ويدفعه خجله لاصطحاب أحد أصدقائه معه، فإذا بالفتاة تعجب بالصديق، حتى إذا انصرف مبكرا حسب الاتفاق، لم يجد الشاب الخجول سبيلا الى استعادة الفتاة التي تبعته

والمسرحية الثانية «عين عامة» تدور حول زوج يشك في سلوك زوجته فيستأجر مخبرا سريا لمراقبتها، ويتأكد المخبر من براءة الزوجة ومعاناتها من الوحدة نتيجة لانشغال زوجها، فيتطوع لمعاونتها في الترفيه كأن يذهب للسينما والمتاحف، ويلاحقها من قريب حتى لاحظته معجبة بها، وحين تكتشف حقيقته تثور عليه وعلى زوجها، ويوفق المخبر في الإصلاح بين الزوجين، وإقناع الزوج بأن يقوم بنفسه بمتابعة زوجته بدقة ليدوم شغفها الحقيقية.

وفي العام التالي ١٩٦٣ قدمت «ورشة المسرح» لجون ليتلوود مسرحية شافر الرابعة «الفقراء المقرورين المرح»، وهي تعتمد بدرجة كبيرة على التمثيل الإيمائي.

المطاردة الملكية للشمس

ولا يهتم شافر بهذا النجاح الذي حققه في مجال المسرحية الملكية النفسية التي لا تتطلب إلا عددا محدودا من الشخصيات، بل يقتحم عالم المسرحية التاريخية الملحمية في مسرحيته «المطاردة الملكية للشمس»، وهي مسرحيته الوحيدة التي ترجمت الى اللغة العربية، ونشرت في سلسلة «من المسرح العالمي» التي تصدرها وزارة الإعلام بالكويت بعنوان «اصطياد الشمس» (العدد ٣).

المسرحية تصور غزو إسبانيا لامبراطورية بيرو القديمة بأمريكا الجنوبية سنة ١٥٢٩، بحملة بقيادة فرانسيسكو بيتسارو.

وبالرغم من اعتماد المسرحية على وقائع التاريخ الثابتة، فإنها تتخذها منطلقا لعلاج موضوعات إنسانية أكثر شمولا، لعل أهمها المقابلة بين حضارة أهل بيرو الفطرية الأصيلة، وما تتميز به من صدق وسماحة، وحضارة الغزاة الأسبان القائمة على الطمع والأنانية والخداع.

والمسرحية أقرب للمسرح الشامل من حيث اعتمادها على عدد كبير من الممثلين والمجموعات واستخدامها للطقوس الدينية الجماعية، بالإضافة الى الرقص والموسيقى والغناء والتمثيل الإيمائي، وقد قدمها المسرح القومي البريطاني في مهرجان تشيشستر سنة ١٩٦٤ وأخرجها جون ديكستر.

تأثره بالمسرح الآسيوي

ومن أهم خصائص مسرح شافر حرصه على استخدام الحركة والتأثيرات المرئية وعدم اعتماده على الحوار وحده، وقد تأثر في ذلك بالمسرح الآسيوي، ويقول:

«لقد أثرني المسرح الشرقي، فممثلو النو اليابانيون يظلون يتأملون في طبيعة أقنعتهم قبل أن يرتدوها، ومن ثم يستخدمونها بطاقة نفسية كبيرة. وقد حاولت تحقيق ذلك في مسرحياتي، وقد أثبتت أنها نابعة من طبيعة المسرح، ولكن أولئك النقاد لا يدركون مدى المشقات الطويلة التي يتطلبها ذلك. وعلى كل فهذا ما أريد أن أكونه، فأنا أعمل في المسرح، وليس في هذا الوصف ما يحط من قدري».

معركة الاعترافات

وانعكس تعصب شافر للمسرح الشرقي في مسرحيته التالية أيضا، وهي «كوميديا سوداء» (١٩٦٥)، فقد استلهم فيها تقليدا دراميا معروفا في أوبرا بكين الصينية القديمة، ويتمثل في مشهد مبارزة بين فارسين في الظلام، والكشف بعلامته تحت ضوء ساطع. فاستخدم شافر نفس الحيلة إذ جعل المسرحية تبدأ والمسرح مظلم تماما ونسمع الحوار بين البطلين، وفجأة يضاء النور لنصبح الفتاة ... لقد انقطع التيار الكهربائي، وهكذا تدور أحداث الهزلية القائمة على اللبس وسوء التفاهم في الضوء المفترض أنه ظلام حتى يتحول الموقف إلى نوع من الفوضى، وينتهي بحراك عنيف.

قدم المسرح القومي البريطاني المسرحية مع «الآنسة جولي» لاسترندبرج في عرض واحد سنة ١٩٦٥، ثم استبدل بالأخيرة مسرحية قصيرة جديدة كتبها شافر سنة ١٩٦٨ وأسماها «الكذابون كالملك بيضاء» وعالج فيها بنفس الأسلوب الهزلي اضطرار بعض الناس إلى تزييف حقيقة شخصيتهم وادعاء مواهب ليست لهم، وخيبة الأمل التي يصابون بها حينما تنكشف أكاذيبهم.

وفي سنة ١٩٧٠ أخرج بيتر هول للمسرح القومي مسرحية شافر الثالثة «معركة الاعترافات»، وهي مسرحية معاصرة طموح تعتمد على مواجهة بين فيلسوف يدعو للسلام — قيل إنه استلهمه من شخصية برتراند راسل — وشاعر ماجد داعر. وتنتهي المسرحية وقد اضطر الفيلسوف إلى حمل السلاح دفاعا عن نفسه، في حين يتخلى صديقه الشاعر عن اعتقاده بأن السلاح هو وحده القادر على حل المشكلات.

ويلاحظ الناقد كولين تشيمبرز أن كل مسرحيات شافر الكبيرة تعتمد أساسا على مواجهة بين شخصيتين: القائد بيتسارو وحاكم بيرو الهندي، المطالبة الملكة للشمس، الشاعر والفيلسوف [illegible] في «معركة الاعترافات»، [illegible] مارتن ديسارت الطبيب النفساني [illegible] المراهق [illegible] في مسرحية «إكوس» التي أخرجها جون دكستر للمسرح القومي [illegible] سنة ١٩٧٣ [illegible]

[illegible]

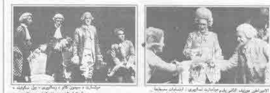
ولد أنطونيو ساليري سنة ١٧٥٠ في ليناجو بإيطاليا، ودرس الموسيقى في فينيسيا ثم فيينا حيث عين سنة ١٧٧٤ بالفرقة الموسيقية للبلاط الإمبراطوري، ثم أصبح قائدا لها سنة ١٧٨٨، وتوفي سنة ١٨٢٥، قبل بيتهوفن بعامين، وقبل شوبرت بثلاثة، وكلاهما يعتبر من تلاميذه.

وقد اختلف المؤرخون حول علاقة ساليري بموتسارت (١٧٥٦–١٧٩١)، فقد أشار بعض [illegible] التي ما تردد عن كراهيته لموتسارت الذي نافسه في فيينا. ويقال إنه كان صديقا لهايدن وعدوا لموتسارت، ولكن [illegible] هو الذي قدم في كتابه «الموسيقى والحضارة الغربية» وصف ساليري الذي اعتمد عليه شافر في مسرحيته، وذلك حين قال: «إنه كان ماهرا، ولا شك في أستاذيته التي نجح فيها زملاؤه من الموسيقيين المنسيين، ودفعته غيرته الموسيقية الكبيرة إلى تركيز حقده على موتسارت الذي يرجع مصيره المحزن بدرجة كبيرة إلى مكائد ذلك الإيطالي».

وقد سبق الشاعر الروسي الكبير ألكسندر بوشكين إلى تأليف مسرحية قصيرة حول هذا الموضوع سنة ١٨٣٢ وأسماها «موتسارت وساليري». ويلاحظ [illegible] اختلافا كبيرا بين تلك المسرحية ومسرحية شافر في تصويرها لشخصية ساليري رجلا متوسط الموهبة، أفرغه الحقد على عبقرية من أعظم العبقريات الموسيقية التي عرفها الخلد، ولكنه في مسرحية بوشكين يقوم بالسم الفعلي لموتسارت، في حين إنه عند شافر يكتفي بالتآمر عليه، واستغلال جوانب الضعف في شخصيته حتى ينتهي إلى تسميم حياته وتدميرها.

وبالرغم من أن المسرحية تحمل اسم موتسارت فإنه ليس الشخصية الرئيسية فيها، بل إن منافسه ساليري هو موضوعها الرئيسي بشخصيته المعقدة، وصراعه الداخلي بين أصالته الموسيقية التي تجعله يفطن إلى عبقرية موتسارت ويبهر بها، وبين نظرته الموسيقية التجارية التي ترفض أن يتفوق عليه في فنه إنسان آخر مهما كانت درجة عبقريته.

والمسرحية تعرض من وجهة نظر ساليري الذي يعترف بجرائمه للأجيال القادمة بعد أن تقدمت به السن وثقلت عليه [illegible] الانتحار، ويعتمد بناء المسرحية على استرجاع أحداث الماضي (الفلاش باك)، فيتعثر ساليري بسرعة



الامبراطور جوزيف الثاني يقدم موتسارت لساليري: ابتسامات مصطنعة وكراهية متبادلة

موتسارت «سيمون كالو» وساليري «بول سكوفيلد» ثم الراويتان «[illegible] كروز» و«دونالد جي»

من كهل واهن القوى الى رجل بلا فن عقوانه ثم يعود مرة اخرى عجوزا منهكا .. وهكذا ، كما يستعين المؤلف برواية من مروجي الشائعات في فينا بخطورات البطل وبمقالاته .

ولم تنج المسرحية من مؤاخذات النقاد بالرغم من اعجابهم العام بها ، من ابرز هذه المؤاخذات ما كتبه مارتين اسلين :

« لاشك في ان تقديم رجل مثل موتسارت على خشبة المسرح يمثل مخاطرة كبيرة . إذ كيف يمكن تجسيد مثل هذه العبقرية إذا لم يكن المؤلف على نفس القدر من العبقرية . وللصعوبة هذه الصعوبة بالنسبة لموتسارت علاقة غرة لانه كشف في رسائله عن شخصية ذات طبيعة جنسية واضحة وعجز واضح عن التعبير . فأي شافشين : اسمى روحانية تصدر عن رجل بارع في قول النكات الجنسية الخارجة ! »

« وهذا يتمثل اكبر خطأ ارتكبه شافر حين نقل هذه الفظاظة والركاكة في التعبير الى لغة موتسارت في البلاط الامبراطوري ذاته .. لقد سميت المسرحية « اماديوس » وتكاتها بفعل رسم شخصية موتسارت على هذا النحو اصبحت اشبه بهاملت بدون امير الدانمرك .. »

من الواضح ان الصدق التاريخي لم يكن شاغل شافر الرئيسي ، بقدر اهتمامه بالتصوير النفسي للشخصيات ، وصراعاتها الداخلية ، وبصفة خاصة شخصية ساليري التي اداها بنجاح كبير الممثل بول سكوفيلد ، ووفق المخرج بيتر هول في تقديم عرض ناجح ، كان من اهم عناصره استخدامه لموسيقى الحقيقية لموتسارت وساليري ، فحقق للمسرحية هذا النجاح الذي كهنه غالبية نقاد لندن باختيارها افضل مسرحية قدمت خلال العام المنقضي .

كافكا
شاعر الرواية

« انا لست سوى بداية ونهاية ... أعيش غريبة اكثر من الغرباء انفسهم .. انا في حاجة الى العزلة .. وكل ما انجحت في تحقيقه ليس إلا نتاجا للوحدة .. إني اخاف الارتباط .. واخاف فقدان ذاتي في كائن آخر .. لكني لن اصبح وحيدا بعد ذلك .. »
(يوميات خاصة)

صدر مؤخرا كتاب جديد بعنوان « رسائل كافكا الى الاصدقاء والاهل » ترجمة ريتشارد ونستون .

وبضم الكتاب رسائله العديدة . والقوية لحبيبته « ميلينا » التي احبته واحبها ومع ذلك كان لابد ان افجرها !

ورسائله المتناقضة لابيه .. ولاصدقائه وإنشريه كافكا لهم من خلالها .. لاول مرة قصة علته التي داهمت صدره مبكرا وكتم الامه المبرحة وإخفاءه عن الكثيرين حوله .

ويروى كذلك : احوال غربته واحزانه واسراره ولعه بالعزلة والخوف الجاثم على صدره كأنه الالم حتى لنخشى ، ان تهجره روحه اثناء النوم وتعجز عن العودة ، ولم يكن كافكا .. مشهورا ذائع الانتشار لدى قرائه ومعاصريه او صاحب شعبية عريضة خلال حياته القصيرة بل والى سنوات بعد رحيله .

ولكنه الان يبدون عدد .. في ادباء وشعراء عصره حيث استطاع ان يصور بحرارة وصدق والحاح مستمر ازمة الانسان والعصر رافعا صوته النحيل بجسارة وقوة ضد اعداء الحياة . ولم يكن كافكا شاعرا ..

كتب روايات وقصصا وكتب يوميات واعترافات من الطراز الاول ولكنه تميز بروح الشاعر .. وضم قلبه على لؤلؤة الشعر النادرة فاستطاع ان ينفذ الى القلوب كالشعاع .

ولعله فطن الى ان وجه الشاعرية هو احب الوجوه واجملها لكل يصنعه وكالمبدع يحنى نفسه :

« الشاعر يكون دائما اصغر واضعف من المتوسط السائد في المجتمع ولهذا فهو يحس إحساسا اكثر كثافة .. وبالتالي فان وجوده في العالم يكون اقوى من وجود الاخرين .. »

وكما كان شوبان شاعر الموسيقى وفان جوخ شاعر الالوان .. وتشيكوف شاعر القصة القصيرة .. كان كافكا .. شاعر الرواية غير منازع ..

... ولكنه مقوض

« لا يوجد من يفهمني في شعوري الروحي الكامل »

هكذا تكلم كافكا وعبر عن مأساته .. كان يتجول بهدوء كما قال .. وهو مستغرق في التفكير فلا به يقع فجأة وتحاصره الافتراس من كل جانب .. وهكذا تحس علاقاته بالعالم والناس حيث وقع في الاسر ولا فكاك له إلا بمزيد من الاغتراب والرحيل .

كان غريبا .. اثقل على معاشريه واصدقائه وتمرد على نفسه وعلى كل ما حوله .. وآثر الانزواء والصمت في انتظار ان يأتي العالم له بنفسه حاضرا عنه النقاب ملتويا بين يديه .

فتنكروا له واستنكروه وتكاثروا عليه . ونطقوا بغرابته وإسرافه في التحليق والجنوح وكأنه يتكلم بلسان مجهول .

ولا لهم ان ينتشبوا الانتظار في قلبه الرقيق .. ولا له سوره الانطواء والهجرة بدلا من تشديد طاقته في محاربة طواحين الهواء .. وكان تجربته هذه الفتين الذي يفخر به الاخرين .. طارحا على نفسه السؤال والجواب !

« يا له من وهم سائج .. إن المداهم لا تحمي .. اما انت فلازلت تسهر .. !

لماذا انت ساهر ؟

يقال لابد ان يسهر واحد !

لابد من ذلك فعلا .. »

وظل كافكا السهر الطويل .. وارق الليل والنهار .. وظل ما بها من عذابات النفس والانتظار .. واحتراق الروح حتى اطراف الانامل .. تلك الانامل المحترقة .. التي كانت وحدها تمنحه القوة والجلد والصمود عندما تطبق على القلم وتملأ به بياض الصفحات وزوايا الاوراق لانه سامتها بتسبيح :

« جريئا مغامرا .. قويا واثقا .. بشكل لا اكونه عادة .. اه .. لو استطعت ان اكون هكذا في كل يوم » !

ولكن كافكا لم يستطع ان يكون إلا ما كان .. غريبا اكثر من الغرباء انفسهم ..

« منتظرا .. وهو واقف .. الشمس التي ستغمره بشعاعها فجأة وبلا نهاية ! »

الريادة والكشف

« ذلك أن أحداً لم يكلفه .. ولكنه مفوض » فالساعة تدق في داخله بسرعة شيطانية .. وكأنها على موعد مع انفجار .. والعالم يموج في رأسه ويهدر.

والموهبة لذة .. تغرقه في لجج التطلع والارتياد والكشف .. الشاعرية بسرعة عاتية .. تطوحه في عالم التجوال والتطلع والرحيل نحو المطلق .. القلب طفولي .. والوجه حريفي .. والعينان مرمقتان بالوهج .. وإعشة الهدب لطول ما ركضت خلف الرؤى والمسافات والروح غريبة أكثر من الغربة نفسها .. نزقة .. طموحة .. تواقة .. متعالية مجلوة .. سكوب .. تنقل كافة وتنقصه كالسيل نحو نبع مجهول .. كأن ظل شبحة .. تتناثر من نوافذ الغيب وتهمي لتغسل عيون النيام .. ليعرفوا الحقيقة .. باعتبارهم ألفنا يمشون وهم نيام لا أيقاظ .. »

عن الآخرين

إن أحداً لم يكلفه .. ولكنه مفوض .. ! مفوض من قبل ما لا يحسه ويراه الآخرون .. وإنما هو وحده الذي يكابده ويدريه .. إن ظل « جوزيف ك » بطل المحاكمة :

« يتكلم باسم الأعداد الفقيرة .. ومن طراز « المساح » بطل القلعة .. لا يمسح الأراضي والملكيات، وإنما مساح عالم بلا حدود ولا صفة .

وهو خلف أنحاء كلب :

« يسأل بكل غطرسة وبأعلى صوت وسط الجلبة ويتفسس وعن حيوان ..»

وباختصار هو إنسان إستثنائي، متفجر .. متمرد .. مشتعل .. مهموم .. عنيد .. مصر على إيضاح الغايات النهائية .. ويقاتل من أجل النقاط الشعلة الأصلية التي ترقد تحت الرماد البارد للمجتمع والقوانين والدين والعقائد ليدير بها الحياة ذلك لأن « كل شيء فيها في أعماقه لإبداع عمل عظيم وسيكون هذا النوع من العمل بمثابة خلاص فعلي .. وانطلاقة حقيقية في الحياة .. »

البوح المضني

ذئب وقع في كمين .. وكان البحر مقصده .. كيف يخرج من هذا الكمين ؟

كان لابد أن ينفجر .. وانفجر ! ..

فضل الانفجار ألف مرة على الكبت .. والبوح على الانكفاء إثر الحركة والامتداد على الوقوع في الأسر والقهر .. وكان ذلك عبر وجوده ..

اندفع عاقلاً .. كالأعمى يطلب السحاق وسط التخيل .. ويناطح السحب .. ويخترق الغيوم .. ويتسلق الأسوار .. ويسابق الريح .. ويركض في الأنفاق .. ويغوص في الكون .. وينقب في الأعماق .. ويستخرج الكثير ..

كان ابن الشجيجة المدلل أبانت له احتشاطها يطيل فيها التحديق والاعتراف .. مزوداً بجلد قلق .. وشوق عارم ومطارد للمبهم .. وإصرار على الاقتحام .. ونبع من الألفاظ والمعاني والصور لا ينفد .. وصراعات داخله وخارجه وعقدة الأب ومكابدات الليل والنهار .. وهناك العزلة والسكون ..

إنفجار يتأجج لغير نهاية .. تعبيره كبير يتوهج به صدره الرقيق صخرة سيزيف تجثم على رئته الذابلة

فانفجر الصدر بدوره دماً ..

من أجل البقاء

وتتوهج روح « كافكا » دون توقف .. وكأنها تعشق كل شاغلها إلى موسم واحد .. ويتكاثف المرض مع الغربة على قلب الحجر .. ويذري العطفة على العمل بحرارة واحتراق وصدق .. مصرح على قلمه بلغ صخرة ودافة لا يتوقف .. فالكتابة نظافه من أجل البقاء .. والإرث ..

وفي قوت ويتسع يرصد لهرعه ..

... الأرق في العمق المتدفق نحو العمق والنقاء والقائق .. لم يكن مثل شيللي يحمل بين خشبه شهوة لإصلاح العالم ..

ولم يصرح كبليون أنا كليون الشعر ولم يزعم كما زعم رامبو لقد عثرت على المفتاح .

ولم يقع كبودلير في آنية الأزهار الشريرة .

تعددت فيه الأقوال

ولا تنتهي غربة كافكا بموته .. بل يحملها معه

فرانز كافكا

إلى قبره .. فيوصي صديقه الأثير « ماكس برود » أن يحرق مخطوطاته ومؤلفاته ..

ويرفض الصديق الوصية وينشر نتاج كافكا كله ..

ويأتي « هتلر » فيحرق النتاج كله .. وتتحقق وصية كافكا بيد هتلر .. لا بيد برود ! ..

وتسدل الستائر على فواصل كافكا حيناً من الدهر .. ويحتشد حوله الجدل .. كثيراً وتتعدد فيه الأقوال.

● ولد عاق لأحد لسراة التجار .. تآمر على أبيه لأنه يعتبر عقده « الأعداء الذين يتقاسمون أجره » فكتب له أشهر رسالة وأعنفها ..

● مواطن ممزق .. « تشيكي المنفى » وموظف فاشل يهجر الوظيفة لإصطدامه بعفن اللوائح وبيروقراطية الحكم .. ولأن العمل ملتمسين حقوقهم بشخطفه ولا من أن يهدموا المؤسسة » .

● عاشق محبوط .. يحب سيلفيا الجميلة وتحبه لكنه يعشق الفن ومع ذلك « كان لابد أن يهجرها » ويحب أخرى ويهجرها .. وأدانوه بقوله :

« الزواج يفترض الثقة بالنفس وإلا فهو النبلة عزلة جديدة إلى العزلة القائمة ولا يختار وطناً .. بل سجناً » .

● ويعتبرونه مسيحاً ولاهوتياً وواحداً من أتباع كارل بارت، وسيزيف وشيئاً جديداً في العالم مهجر وحدائق بسكال وغيرهم .. ودستويفسكي وجوركي .. بل قالوا .. مسلوب متوتر المزاج مختل التفكير .

● وأخيراً فهو برجوازي صغير يغرق في التشاؤم وإنما رجل الثورة .. إن لم يكن رجل الاشتراكية ..

تعددت فيه الأقوال .. بعد أن قال كلمته ومضى .

شاهد عصره وشهيده ..

وتمر السنون .. ويرتفع الستار عن كافكا وتشرق الشمس ثانية ..

ويلتفت العالم باحثاً عن فتاه المنسي المطوف ليضمه إلى الصدر من طليعة كتاب العالم ..

ويعيد النظر في تقييم أعماله .. وتنشر كتبه ويعاد طبعها .. ويفسح الاشتراكيون الذين رفضوه ذات يوم .. مكاناً رحباً لكافكا ويرد العالم له اعتباره .. متسجاً بذلك من جبينه الملتهب عرق الرحلة الشاقة ..

ولكن بعد أن انفجرت الساعة التي كانت تدق في داخله بسرعة شيطانية واشتعل العالم الذي كان يموج في رأسه ويهدر .

وتناثر معه كافكا المقيم الشلاء في كل فضاء .. ليكون ابن العالم كله .. وشاهد عصره .. وشهيده معاً .

ذلك أن أحداً لم يكلفه ولكنه مفوض !

رسالة لندن من عبد القدوس الخاتم

مسرح

حسن السير والسلوك

تأليف : توماس فالس

إخراج : ريتشارد مالتبي

في عشرينات هذا القرن كان الشيف النيويوركي المتطلع يجوب طرقات ومقاهي هارلم خصوصا منتديات موسيقى الجاز . ومن خلال الأضواء الخافتة كانوا يتصيدون الأنغام والمواقف والشعر ويعودون أدراجهم إلى نيويورك لكي يسهموا في صنع ما يسمى بعصر الجاز . تلك الحقبة التي ألمح في الإمساك بتلابيبها الروائي الجنوبي سكوت فتزجرالد في أعماله الموسومة « هذا الجانب من الفردوس » و « ما أرق الليل » و « جاتسبي الكبير » . تلك الجو الرائع هو ما يحاول المسرح المثالي إحياءه في الأذهان - مزيج نادر من السحر والموسيقى وبعض الموسيقيين من شبيبة الثلاثينات تمسكوا به الشهرة فيما بعد كأضواء [illegible] والبعض الآخر طغى عليهم الزمن [illegible] فتلاشوا في [illegible] المغامرين والشعر الدارسين . أما صاحبنا توماس فالس والر فلا يمكن تصنيفه في أي من القطبين السابقين . لقد قام بتأليف هذه المسرحية الموسيقية وإخراجها عام وفاته ١٩٤٣ ولم يكتب له أن يشاهدها . وكان في زمنه محبوبا للغاية واشتهرت موسيقاه بحيويتها المتدفقة مما حدا بالمسرحي العظيم أن يقوم بتسجيل حسن السير والسلوك في اسطوانات . وإن لم يكن فالس شهيرا اليوم فإن أي تقييم لموسيقى الهارلم الثلاثينات لا يمكن أن يتم دون الإشارة إليه . وجميع الأغاني في هذه المسرحية كان فالس قد قام بتلحينها على البيانو [illegible]

[illegible] أما أدوار [illegible] الإستعراضية الغنائية لنيني [illegible] . ويكمل جوزيلا ريد دور الفتاة الريفية وعندما تشدو [illegible] فإنها تقدم أكثر لحظات المسرحية قوة وإثارة .

وفي الفصل الأول من هذه المسرحية الغنائية يغرق الممثلون بالأغاني التي تقرب جو هارلم إلى المتفرج ، ويختتم هذا الجزء ونحن في الحرب الكونية الثانية ، ورغم مأساة الحرب وما تستدعيه من تصوير عظيم ولوحات قاتمة فإن المؤلف إختار خلفية مرحة تتخللها النكات والسخريات حول المجهود الحربي والدعوة للتجنيد خاصة تجنيد الزنوج للدفاع عن وطنهم ، الأم ، ورغم السخرية الشاملة فإن المتفرج لا يشعر بالمرارة أو الإبتذال . فالفكاهة هنا موظفة ببراعة شمولية بحيث تختفي تحت عباءتها النزعات القومية والعرقية فلا يتبقى من الإنسان إلا إنسانيته وضعفه الإنساني المحض . وبأغنية [illegible] يسدل الستار على الفصل الأول . وتتكاثف الأغاني في الفصل الثاني وتزدحم بالموسيقى الشجية ذات الإيقاع المتلكئ حينا ، بحيث يطغى صوت الكلارنيت ، والسكسفون حينا آخر ، بحيث تتبدى الخشبة وكأنها غابة من الطبول ، بينما تشكل الأغنيات خلفية مؤثرة ، وزع النغم يمينا ويسارا [illegible]

[illegible] الأغنيتان [illegible] بين السود والبيض الذين يعانقون الجاز ولكن في جرعات صغيرة . وتتوالى الأغنيات [illegible] وهذه الأخيرة محاولة خفيفة في إتجاه البلوز الكلاسيكي . ويبلغ العرض قمته حين تتراءى على المسرح حزمة من الأغنيات التي تمزج الضحك بالبكاء وتتوج بالأغنية الختامية [illegible] التي يحيونه بها [illegible] وهو نشيد [illegible] يدور حول معالجة الفصل العرقي ، ولا يعيب هذا النشيد إلا إفراطه في الجزالة والفخامة ولعلها كانت تكون أكثر تأثيرا لو توخت البساطة . ويلعلع الكورس [illegible] لا أستطيع منحك شيئا سوى الحب . [illegible] ويشارك الجمهور المأخوذ في الغناء والضحك والصراخ .. فالعدوى تصيب الجميع .

وإن كانت هناك تحفظات على هذا العمل الجميل فأهمها : أن الممثلين يتعاملون مع الأغنيات بطريقة مسرحية متقنة جدا ويبلغ بهم الإنجذاب والوجد حدود الخروج عن الخط الموسيقي .. ومن ناحية أخرى هناك أيضا الإحساس بالتاريخ الذي يكتم الأنفاس في بعض المشاهد - تاريخ السود ومذابحهم بحيث تعمى العيون عن إنجازات الحاضر . ومهما يكن فإن « حسن السير والسلوك » مثال للمسرح الغنائي الرفيع فهي عامرة بالأغنيات المعبرة والإيقاع الذي يبعث الرعشة في الأوصال . ورغم خلوها من العقدة فهي تتدرج من خلال النغم لتصل إلى ذروتها الدرامية الخاصة .



سينما

أجاثا

إخراج : مايكل آبتد . تمثيل : فانيسيا ريدغريف - داستين هوفمان



أجاثا كريستي الكاتبة البوليسية الذائعة الصيت صاحبة الروايات الشهيرة «جريمة في قطار الشرق» و«موت على النيل» وغيرهما من الأعمال التي خلبت ألباب الملايين وترجمت إلى عشرات اللغات وباعت ملايين النسخ . المؤلفة التي برعت في تفصيل الحبكة المحكمة بالغموض والتي لا يستطيع القارئ فك عقدتها – مهما قد تمكنه – إلا في الصفحات الأخيرة . يدور هذا الشريط المظلم عن فترة مظلمة من حياتها المديدة . لقد استطاعت كاثلين تاينان (أرملة الناقد المعروف كينيث تاينان) ورفيقها آرثر هوبكر أن يقوما بإعداد سيناريو متقن عن تلك الأيام المجهولة في حياة أجاثا كريستي . ففي عام ١٩٢٦ صدرت روايتها «مقتل روجر أكرويد» وأصبحت حديث المجتمعات اللندنية بعقدتها المحيرة التي كرست بطلها الأثير هيركيول بوارو كواحد من الصفوة المختصة في عصبة شرلوك هولمز . بيد أن السيدة كريستي لم تنعم بثمرة جهدها ، كانت امرأة بالغة الحساسية وذات طبيعة أرستقراطية مؤلمة ، وكانت

والدتها قد فقدت نحبها حديثاً . وزوجها من الكولونيل أرشيبالد كريستي يمر بفترة عصيبة – بل كان على حافة الانهيار . وكان المسرح معداً بأكثر معدات البحث والمطاردة براعة . ففي الساعة التاسعة والخامسة والأربعين مساء الجمعة الرابع من ديسمبر عام ١٩٢٦ غادرت



داستين هوفمان

أجاثا منزلها في سننغديل بضواحي لندن ، أدارت محرك سيارتها واختفت . وصبيحة اليوم التالي وجدت السيارة ويداخلها معطف فراء وكومة من الملابس وحقيبة يدوية تحتوي على أوراق خاصة . وبقي مرمى حجر كان يرقد جدول مائي وابلتوب . وفجأة بدا أن العالم كله يبحث عن أجاثا كريستي . كان هناك حوالي خمسة عشر ألف شرطي ومتطوع بما فيهم صبية كشافون ومدربو كلاب بوليسية وطيارون يمشطون منطقة بوركشاير المحيطة بمنزلها . ومما زاد النار اشتعالاً تصريح رئيس البوليس بأن السيدة كريستي سيعثر عليها في مكان ما من هذه الأحراج الملتفة . وخصصت صحيفة «الديلي نيوز» جائزة لأول من يدلي بمعلومات مفيدة عن مكان السيدة كريستي إذا كانت على قيد الحياة .

وأشارت صحيفة أخرى إلى أنها ربما تظهر متخفية في ديلي . أحد أبطالها الروائيين . ومر أحد عشر يوماً . وفجأة بنفس الطريقة الغامضة التي اختفت بها ظهرت أجاثا في إحدى المصحات بهاروغيت . وكانت مسجلة تحت اسم السيدة نيل عشيقة زوجها . وأدلى الكولونيل كريستي بحديث مهم للصحفيين قال إن زوجته تعاني من مرض فقدان الذاكرة الناتج عن الإرهاق في العمل ، وأنه لا صحة للشائعات القائلة بتحطم العلاقات الزوجية وقرب الانفصال . ولكن بعد سنوات ثلاث – وقع الطلاق . وفيما بعد تزوجت أجاثا عالم الآثار ماكس مالوان وباعت من كتبها ملايين النسخ . وبوفاتها عام ١٩٧٦ انتظر القراء أن ينكشف السر في مذكراتها التي طبعت عام ١٩٧٨ ولكن دون جدوى . وتطوعت السيدة تاينان لإجلاء الغموض . فالحقائق المعروفة لا تتفق مع التفسير الرسمي للاختفاء ، بل تطرح المزيد من الأسئلة : كيف غادرت سيارتها عن طريق ريفي مجهول ؟ وكيف ظهرت في مصح في يوركشاير بعيد مئات الأميال ؟ لماذا انتحلت شخصية عشيقة زوجها ؟ وما دلالة الإعلان الذي نشرته في صحيفة «التايمز» وفيه تقول «هل يتفضل أقرباء السيدة نيل الجنوب أفريقية بالاتصال ؟» لماذا اختارت صحف معروفة بحملاتها الأخلاقية وجلست تلك الكورنثيين ؟ وحتى العثور عليها بأثر الشكوك . فلماذا كان الكولونيل للحذر وكأنه يشير إلى جريمة قتل ؟ وإذا كان الكولونيل كريستي قد كذب بخصوص المتاعب الزوجية فكيف نصدق حكاية فقدان الذاكرة ؟ لماذا كان بعض المتشككين موقنين بأن أصدقاء السيدة كريستي يخبئونها لغاية التمثيل ؟ وقد انبرت السيدة تاينان على الموضوع بهمة هيركيول بوارو نفسه . قضت الساعات الطوال في قسم الصحف والدوريات بالمتحف البريطاني منكبة بالتفكر ؟ تنظر في الجرائد التي مضى عليها ما ينيف عن نصف القرن . ووضعت نفسها موضع مؤلفة فرغت

لتوها من تأليف رواية بوليسية وتحدثت عدة مرات عن الانتحار وكانت مرتبطة برجل مصمم على هجرها ، وفي ذات الوقت ، ذات ذهن نشط في خلق الألغاز المحيرة والعقد المربكة . وتومضت شايتان إلى حل مجرد تفسير قد لا يكون صحيحا . فهو وليد الخيال ولكنه يتسق مع الحقائق المعروفة سلفا . ومثلما فعلها ما قبل بصدد فقدان الذاكرة . وخرجنا نحن بهذا الشريط الذي لا يقل حبكة عن روايات أجاثا . وكل ما يريد المخرج ميشيل ابتد أن يقول هو : إن مستقبل أجاثا آنذاك كان في كفة الشيطان بالعطاء بينما كانت حياتها الخاصة محطما أو كالحطام . وإنه في الرابع من ديسمبر ١٩٢٦ إنهار الخيط الرفيع بين الفن والحياة . فأرادت أن تخلق عقدة بوليسية محكمة تحير رجال الشرطة وتلقى الشكوك حول زوجها الآبق . وتظل بلا حل . ومهما يكن فإن المرأة دفن مع صاحبتها إلى الأبد . وقد أدت فانيسا رد جريف دورها ببراعة مذهلة وتقمصت دورها بنجاح . ولم يكن تمثيل هوفمان أقل إقتناعا في دور المخبر الصحفي .



روائيـ...

بنيلوب مورتيمر الروائية البريطانية المرموقة صدرت لها من قبل روايات جيدة لاقت نجاحا طيبا في أوساط الجماهير القارئة ، أهمها آكل القرع و البيت . وفي الأخيرة تسخر بنيلوب مر السخرية من تقاليد الزواج السائدة في المجتمع البرجوازي - تلك التقاليد المموهة بالمبالغات وعشق المظاهر البراقة . وبنيلوب الآن في حوالى الستين من عمرها . والسبب في إختفائها الأشهر الأخيرة هو عكوفها على كتابة ذكريات طفولتها التي صدرت أخيرا في مجلد باسم «عن الزمن» تدور الحوادث في العشرينات وتصور والديها الغريبي الأطوار : أباها المجدف الملحد وأمها التي تنصب اعتقادها على الإصلاح فالكتاب ليس صورة وردية لعشرينات القرن إنه - كما ينظر جل الكتاب إلى ماضيهم ويضفون عليه سمة رومانسية رقيقة الشفافية . لقد دلفت إلى طفولتها الذاتية ، فهل بنيلوب مشيرة إلى الأعوام الستين التي تنوء بكلكلها . و « عن الزمن » إنجاز مثير ولكنه يقلق والمؤلفة في الثامنة عشرة . لماذا ؟ بضحكاتها المكتومة من خلال سحابة الدخان التي تظلل وجهها تجيب بأنها تظن أنها الكاتبة المثلى في رواياتها - ربما حتى الموت - ربما حتى سن الخرف ، تلك ما يذكرني بالزوجين النيويوركيين اللذين طلبا الطلاق وهما في التسعين . فقال القاضي بأنه سيستجيب لهما ولكن لماذا انتظرا كل هذه المدة ربما يقولا كانا ينتظران أن يقضي الأولاد نحبهم . وابناء بنيلوب الذين تطلق عليهم اسم «الأولاد» ستة تتراوح أعمارهم بين الرابعة والعشرين والأربعين - كرست زهرة عمرها لتنشئتهم وعندما كانت في الأربعين كانت تؤمن بأن السعادة الحقة تنبع من السلطة والعزلة المتوحدة . - بالقطع ليس لها صلة بذلك النمط اليائس من الحياة التي يعيشها الجميع هنا - الحياة اللندنية المتخمة بالنقود والتنافس والنجاح والخوف . لقد صممت أن ألقي جانبا بالتعقيدات المجنونة ، حقا لقد أخذ ذلك من وقتها أكثر مما قدرت . بيد أنها الآن قد طرحت جانبا الفخاخ المموهة بالرفاهية والوفرة الزائفة - أو على الأقل تحملها لأنها زوجة لحالم وكاتب مسرحي ناجح هو جون مورتيمر . إنها الآن تقطن عشة كانت حقيقتي . غرفة واسعة منسية في ذلك الجزء من هامبستيد المشيد بالآجر الأحمر . والأثر الوحيد الباقي من مخلفات الماضي الشع بالألق هو لوحة ضخمة لبيكاسو معلقة فوق السرير ، « بينما التي كنت زوجة مثيلة حيلتي - أو مطلقها - فإنني أشعر بالحرية لأول مرة منذ أن كنت في الثامنة عشرة . كثيرا ما أنكص لتلك السن . كنت طفلة مفعمة الجوانح بالانطلاق ، تشق طريقها دون عون من أحد ، كانت أكتب كثيرا وليس على عاتقي أية مسؤوليات . والآن يعوضني ذلك الإحساس بالانطلاق الذي انغمست في الحياة المنزلية مبكرا . ليس لدي موهبة ... إذا اقترفت ألا أذوق طعاما فذلك شأني . » ويمحي الضحكة الساخرة من صوتها عندما تشرع في الحديث عن محاولتها للتأقلم مع العزلة .. لقد كلفها ذلك سنوات . والآن فهي تتخيل كيف يمكن ألا تكون معزولة . ومظهرها لا ينم عن أنها أم لستة أطفال . إنها صبية سيطلقها الجينز وصديريتها .. « إنني مرتبكة لذلك فضحكة ، لم أكن بحال من الأحوال أما نموذجية ، وأنها وضعت طفلا كل ذلك شيئا مدهشا ، ولكن الموقف الذي يبدو لي الآن مجردا من الإيجابية يمكن رده جزئيا إلى والدتي التي كانت تشاعف طفلتها بالطفلي . لم تكن لها أدنى ثقة بي كأم ناضجة وكانت دائما ما تردد : إذهبي والعبي بعيدا .. ياعزيزتي .. هل يعني ذلك أنها تمت واشتد عودها جنبا لجنب مع الأطفال . لا . لقد ترعرعوا أسرع مني . توقف نموي في الثلاثين لخمسة عشر عاما . إلا قيض لي أن أكتشف نفس الحياة . أطلق أكثر وعمل أكثر ، وعالم إنسان أكثر نضجا ... أكثر مما نعيش فعلا . فلك لا ننمو . بيد إنني لم أكن أفرح أسلكه على جبهتي . قد يصيبني الإحباط وأصبح عكرة المزاج مشاكسة ... ولم أكن أدرك السبب آنذاك . » وعندما صافح النور «آكل القرع» عام ١٩٦٢ ، كان للرواية تلك النكهة المتجهة للحركة النسوية التحررية البازغة . فلوها المتحللة بتضمن الشيء الذي

لم تكن ترمي إليه إطلاقاً .. جاء كل أولئك النسوة المشتعلات حماساً لمقابلتي ولعلي كنت الطبيب لهن لو قلت لهن : لا .. لا .. ما أعظم الرجل إنني متحررة تماماً التي « الذي لم أكنه حينئذ » إلى روايتها القادمة ستدور حوادثها وسط رعاة مقابل المسيحية .. أبعد ما تكون عن اليأس الذي يدمغ الطبقة الوسطى في سنت جيمز وود .. فهي تقول أنها حفرت دما فيه الكفاية في ذلك المنجم .. إلى درجة الإستنفاد والنضوب .. ٢ .. لقد انسلخت من جسدي نسيج اليأس المميز .. إنني أعمل وأعزق الحديقة .. أعزق وأعمل .. وأنثر في خفة السعادة ! ..

كتب جديدة

تأملات

تأليف

هيرمن هيسة

كاتبنا بحث هيرمان هيسة من غرم إبان السبعينات .. فهذا الكاتب الألماني الحائز على جائزة نوبل عام ١٩٤٦ والمتوفى عام ١٩٦٢ .. غرق في بحار النسيان في العقدين الأخيرين من عمره المديد الذي جاوز الخامسة والثمانين .. ثم أصبح فجأة من أكثر الكتاب حضوراً في أوساط الجماهير الأوربية القارئة .. وترجمت بعض رواياته إلى العربية (ذئب البوادي ولعبة الكريات الزجاجية) .. ومهما يكن السبب الكامن وراء عملية الإحياء التي تنتشلها إبداعات هيرمان هيسه فالذي لا شك فيه أنه روائي مجيد تشيع صفحاته شمس الفكر الفلسفي العميق الممزوج بنزعة صوفية إنسانية .

ولد هيسه عام ١٨٧٧ لأب يحمل راعيا كنسيا .. وتمرد على نظام التعليم التقليدية فاشتغل وراقا وبائع الكتب وميكانيك .. وبعد أن صدرت روايته الأولى بيتر كامنزند قرر أن يكرس نفسه لحرفة الكتابة .. وفي عام ١٩١٩ هاجر إلى سويسرا احتجاجا على بعث الروح العسكرية الألمانية وعاش في منفاه الإختياري حتى وفاته .. ولعل من النقاط التي رفد بها هيسه موهبته الخاصة هوايته الجمة للموسيقى ونظريات يونج النفسية ثم اطلاعه النهم على الفلسفات الشرقية .. ومن مؤلفاته المعروفة « إذا استمرت الحرب » و « سد هارتا » و « نصيف كالنجسور الأخير » و « كنولب » و « بروشالده » .. وقد جمعت سيرته الذاتية في مجلد بعنوان « كتابات البيوجرافيا » عقب وفاته .. وهذا الكتاب سياحة قام بها فولكر ميكل

الكاتب الروائي الألماني هرمان هيسة

في حدائق كتابات هيسه الفكرية من كتب ورسائل .. وخرج لنا بهذه الباقة الزاهية من المقولات العميقة التي تعكس خصائص هيسه الذهنية والوجدانية .. وهي تغطي العديد من حقول الفكر البشري بدءا بالسياسة ومرورا بالإجتماع والتربية والدين والكنيسة والمعرفة والشعر البشري والخيال والكتب والفن والفكاهة والسعادة والحب والشيخوخة والشباب وانتهاءا بالموت وما بعد الموت .

ويتميز أسلوب هيسه بالقصص المختار الذي ينتظر حكمة وسخرية ولا ينبع إلا من قلب عامر بحب الإنسان والعطف عليه والمعرفة بنقائصه ومثالبه .. ومع أن هيسه لم يحترف السياسة ولم يخض بحارها العطنة إلا أنه كان أديبا ذا موقف واضح من عصره .. وعنده أن المصائب مصدرها الإنسان وضعفه وهواه للطغيان وتمكن الإنانية منه .. « كل سياسي في هذا العالم يعمل للحظر ونزع السلاح .. إنما فقط في بلدان الأعداء .. وليس في وطنه » .. ويقول « لم يكن أحد يعمل من أجل الحرب وإنما كانوا جميعا يتسلحون

تحسبا لأن الأعداء كانوا يحبون أن يروا حيطانا من المدافع حول أموالهم » .. ورغم هذه النغمة المتشائمة فإن هيسه لا يتخلى عن الأمل .. فسمة المستقبل تكون بعض شخصيات الحاضر .. وسمة أوهام الشعب تلك الأوهام البشر القابعين كما يرونها .. فكتب الطفولة مسموح به .. مرسومة للناس .. وهم أن الإنسانية تبدو فيمن يواجهم التعصب .. الأخرين ليس بهم إلا الحامض .. والقسوة لتطوير الفهم والقصص ويأخذ قسطه إلى أن الأخرين لا تقع في السماء وإنما صنعته بشرية .

« إنها ككل عمل تحتاج إلى التحضير لتصبح احتمالا ثم حقيقة .. إنها تحتاج إلى عناية وتعاون الكثيرين .. وهي مرغوبة من الرجال والدول الذين يجنون ثمرة من ورائها .. فهي إما تجلب لهم الأموال الطائلة .. كما في الصناعات الحربية .. أو تجلب لهم الرفعة والمجد والجبروت كما في حالة الكولونيلات والجنرالات المتعطلين » .. لقد كان هيسه يرى في الحرب خطأ إنسانيا بالغ البشاعة وهو يخص بالملامة على بني قومه .. « إن الألمان عاطفيون » وعندما تمتزج هذه العاطفة بالتوحش .. كما يحدث عادة .. فإنه شيء لا يطاق .. ويكون الشاعر الرقيق إنما وراءه تعنه الوقف .. الشاعر ليس أعظم أو أقل عظمة من الوزير أو المهندس أو الديماغوجي .. ولكنه أيضا مختلف تماما .. فالقلب هو الفأس يمكن به أن تشق الجذوع أو الرؤوس .. والساعة وميزان الضغط يخدمان غرضا آخر .. إذا أردت أن تكسر بهما حجرة أو رأسا فستحطمهما .. ولا يستفيد أحد من وراء ذلك .. ولم يكن

هيسه فنانا يحلم في برجه العاجي رغم بغضه للسياسة بمعناها المبتذل .. بل كان لصيقا بالتيارات التي تمور في أحشاء المجتمع .. وكان شديد الإحساس بمطالب الحضارة وكثيرا ما حذر من الوجه الآخر للعملة .. كما جلى الناس المدينة التصاق بعضهم البعض وكلما صعب عليهم التعارف .. وكان فهمه عميقا للمجتمع وبغضه للمسلحين الشجعان الذين يحاولون أن يقودوه إلى عصور « الإنزه » بغضب العامة أكثر من الذي يحاول أن يجبرهم على أن يغيروا رأيهم فيه .. وهو في نزعته الليبرالية لا يشن يشجب تسلط الفرد باسم الأغلبية .

وعنده أن الشعوب هي التي تخلق الطغاة بيد أن تكاثل الفرديين لا يخفي احتقاره للرجل العادي فهو في رأس قاس وشيطاني .. وهو في نظراته الإجتماعية متأثر غاية التأثر بروحانية الشرق .. وخاصة الديانات الهندية .. من وجهة النظر الهندوكية .. أي وجهة نظر الأبانيشاد ومقابل البوذية .. فإن جاري ليس إنسانا مثلي إنه أنا .. نحن متحد أن لأن الإنقسام بيني وبينه بين الأنا والأنت إنما هو محض اختلاق .. والمعنى الأخلاقي الكلي للحب الأخوي يكمن في هذا التفسير .. وبالنسبة للذين فهموا بأن العالم واحد فمن العبث أن تؤذي أجزاء الكل بعضها بعضا والفرد مهابه وإضافة إن الحياة يكون لها معنى عندما نبتعد بقدر الإمكان عن الملذات الأنانية .. ونكرس أنفسنا لهدف ما وإذا اتخذنا هذا الهدف بجدية فإن المعنى يتبلور تلقائيا ..

والغيد معرض لتلوث الروح وتلوث بيئته الطبيعية ، ومن السهل أن تحول الزمن الى نقود .. كما هو سهل أن تحول التيار الكهربائي الى ضوء وحرارة ولكن الافتراض بأن النقود قيمة سامية هو الجنون بعينه. وهذه النظرة النافذة لماهية الحضارة هي التي ينبع منها حكمه العميق على الفرق بين الطبيعة والجمال ، اول الحق ا المخترعات التي [illegible]

الغريبة وهيا قصيرة النظر ، انها بالية وسرعان ما يتضح الدافع وراءها سواء أكان الغرور أو الطمع، والبشر حيثما حتى تبدأ في شؤون الغريبة كحماية أسلس من معتقدات لتكوين الشخصية الانسانية ومؤدى رأيه ان التعليم لا يكون موجها لغرض ما ولكنه يحمل هدفه في طوايـاه ، فهو في هذا يشبه الجمال والقوة البدنية. ونظم التربية التقليدية الثلاثة تذكر وراءها ، لقد حطمت اليعوبية في

الكره الكثير وأعرف القليلين من ذوي الشأن لايعترفون بذلك ، فكل ما تحدثه هي اللاشيئية والكلاب، ولاشك في أن هذه النظرة الكثير من طوباوية جان جاك روسو ، على انها نظرة لاتخلو من سلامة ، محكومنا بطاموحنا بطاقل هم افهم لايشاءونها وما دروس التاريخ الا الاكاذيب اخترعها الراشدون لاشغال بالاذلال والصغائر . وقد وسع الغيب هيبه الاجيال البابرية شأنه شأن بعض المتصوفة القدامين . وكل

الاجيال ضيف و ليس هنالك ما هو انبل من معرفة الشيطان ثم مكافحته، ولم يكن هيسه يعرف الى الوسط الذي لايعرف اسرار مهنته الا النبلاء وانما كان مثقفا عميق الاطلاع على حقل فروع المعرفة خاصة الفلسفة والموسيقى والفن مما اعطى رواياته بعدا فريدا في الطبيعة الوف الالوان ولكننا خلاصرنا في رؤوسنا الى عشرين فقط ويرى أن الفن يجب أن يحلل ما تحتويه الابعادات، لأنه يتأمل في العالم!

هوليود وما سواها

مؤلف هذا الكتاب هو الكاتب البولندي الجنسية الروسي الاصل جيرزي توبلتز ، كان ناقدا سينمائيا معروفا قبل الحرب الكونية واحد قادة الطليعة في الحركة السينمائية البولندية . وعقب الحرب الشغل لمدى عشرين عاما عميدا لكلية السينمائية في وارسو ، وهو الان استاذ زائر بجامعة لاتروب باستراليا ، ومن مؤلفاته المعروفة تاريخ الفن السينمائي في خمسة اجزاء و «السينما والتلفزيون في الولايات المتحدة» فالرجل اذن حجة في موضوعه لاشك في ذلك . ويقول الاستاذ جيرزي ان هوليود رمز كما هي حقيقة واقعة وغالبا ما يطلق الاسم على السينما الامريكية ، فعندما يشيع القول بأن هوليود قد فقدت مكانها في عالم السينما فان ذلك لايعني فقط المقاطعة الصغيرة في لوس انجليس وانما صناعة السينما في الولايات المتحدة والتراث يخلفهما هنا اكثر من الحقيقة المجردة ، فالذي لم يكن احد يستطيع انكاره في العشرينات والثلاثينات بل في النصف الاول من هذا القرن ـ ليس له اساس في دفتر احصائيات السينمات .

وللسينما في هوليود وللسينما الامريكية بشكل تفصيلي ولذا يدلنا بتطورها الذي قاد السينما في طفولتها الى الحرب العظمية الاولى تركزت صناعتها في هوليود هناك عبث الاستديوهات والبيت الاستديوهات والكاتبين والمنتجين والمخرجين وتكون بأبعاد العشرينات ـ سرعان ما بدأ الخروج ، وبدأت الشركات البحث عن الاماكن المناسبة ذات الخلفيات الكثيرة لتقام فيها الاستديوهات الجديدة . وشرع الممثلون الكبار في الهجرة الى أماكن اكثر عزلة وراحة كبيفرلي هيلز وبل اير ومنطقة مونيكا . وفي عام ١٩٣٧ تم مجلس لوس انجليس بفصل مقاطعة هوليود . وعقب الاربعينات وبانتقال التدامج والهجرة بقي القليل من هوليود التقليدية . وبدا البعض مقتنعين بأن الاحتفاظ من الاحتفاظ باسم فقد مقوماته الجغرافية والعملية ، والحق ان التغيير ، الطبوغرافية انما تعكس المظاهر الخارجية للمسألة . اما الاهمية الكبرى للتحولات فيمكن ردها الى التطورات الهائلة في الاستديوهات نفسها : داخل هوليود

وخارجها ، وسع ان التصوير كان تقريبا يتم داخل الاستديوهات كان يخضع المستويات التلفزيونية ـ وبينما كان عدد الافلام السينمائية في الثلاثينات يتراوح بين الثلاثمئة والاربعمئة اصبح الان يتجاوز المئة بقليل . انتقل التصوير الى روما القديمة والمانيا والقرى الافريقية ولندن وبكين وباريس ، وكان الدافع وراء ذلك هو نمو الوعي بين المشاهدين الذين اصبحوا يصرون على ان يشاهدوا باريس الحقيقية لاباريس من الورق المقوى ، وهكذا مع اندثار اسطورة هوليود فان مستقبل السينما الامريكية لايعتمد على الاماكن التي يجري فيها التصوير وانما على نوعية الافلام . وقد لخص الناقد الساخر ارت بوخوالد الموقف بقوله: ماهي هوليود ؟ انها مجرد استديو اليوم هنا وغدا هناك وبعد ان يلم المؤلف باطراف التطورات التي طرأت على هوليود يتناول مسسمة السياسة والعنف والجنس بحسبانها الاقانيم التي تلون توجهات الانتاج وكما يقول الناقد الشاب مايكل توفين فانه في الايام القديمة حين كانت صناعة الفيلم في

ايدي المهاجرين من الاوسط وشرق اوروبا فان صورة امريكا السينمائية تعكس اوهامهم .. كانت تلك امريكا التي ظلوا يحلمون بها سنوات في مساقط رؤوسهم وفيما بعد حين شقوا طريقهم ليصبحوا اباطرة هوليود صوروا تلك الاوهام في افلامهم ولم يكن المشاهدون وحدهم هم الذين ينظرون الى امريكا بمناظير قوس قزح الملونة .. ولكن هناك كان ملايين الرواد من الاسكا الى تكساس ومن كاليفورنيا الى المحيط الاطلسي وكان الجميع موقنين بأن مايحدث في القاعات المظلمة لايخلو من عناصر سحرية واسطورية . غير ان اللوحة اهتزت في الخمسينات والستينات وسقطت الخلفية المبهرة والافلام الموضوعة عن النجاح والثروة لم تعد تروق الجماهير كما كانت قبلا . وسقطت الجنة الموعودة في باطن الارض ، جنة الفرص المتساوية والمنافسة الحرة ولم يعد نمط الحياة الامريكية الذي تقدمه وترعاه وتتعهده في المدارس والكنائس والصحف قادرا ان يوفر مزيدا . ضربت الصدمة على امريكا السعيدة والامة أن جذور التفكك معقدة غاية التعقيد ولكن اوضحها يمكن تلخيصه في ثلاث نقاط : الحرب في فيتنام والاضطرابات العنصرية ومستقبل الاجيال الصاعدة التي فقدت الاتصال والتواصل بالجيل القديم . ويمكن اضافة المشاكل الاقتصادية وتدهور الحياة في المواقع الكبيرة ومن هذه الينابيع المتفجرة انطلقت سيولها السياسة والعنف والجنس

وتسوات طويلة كان التلفزيون ينقل الأحداث في جنوب شرق آسيا رعبا ودمارا وقتلا ، ولم يكن الحال كذلك في السينما الهوليوودية .. ففي عرفها أن السينما ليست الا اداة للتسلية والاستمتاع . ولكن هذا الايضاح يبدو مبسطا للغاية فالحرب الكورية كانت حافزا لإنتاج ما يزيد عن العشرة افلام ، ولم تجلب ما جلبته حرب فيتنام من كراهية ونفور وبغض ، والمشكلة أن السينمائيين لم يكونوا يرغبون في تناول قضية وموضوع غير مقنعة للجمهور ، الذي - فيما بعد - لم يكن مقتنعا بوجود «الأولاد الامريكيين» في فيتنام ، على أن جل الأفلام التي تناولت القضية الفيتنامية كانت افلاما وثائقية غير تجارية ولم يكن فرص منتجيها الرواج الا في التوزيع الواسع - ومن طلائع مخرجي هذه الأفلام ذات الصبغة السياسية ايميليو دي انطونيو الذي انتج واخرج من قبل شريطا يتكلم عن الفترة القاتمة في التاريخ الامريكي المعاصر و «الحكم المتعجل» عن مقتل جون كينيدي وفي عام ١٩٦٩ اخرج «في عام الخنزير» واستخدم فيه شرائط حية كانت موجودة في الأرشيف بالولايات المتحدة وفيتنام وامتنع فيه عن التعليق على الاحداث الا في اضيق نطاق ، كانت المشاهد تتحدث عن نفسها ، واستطاع استخدام المواد الدرامية والعاطفية والاداء يلتحق بها بانضباط ووضوح . ومن جانب آخر فيمكن أن نذكر الأفلام التي مجدت التدخل الامريكي في فيتنام «البيريهات الخضراء» الذي قام ببطولته جون واين . كان واين في جانب الصقور بما عرف عنه من توجهات عنصرية وايمان مطلق بأمريكا العظمى . ولولا رصيد واين الضخم بين عشاق السينما (بطل الغرب الاسطوري ومجسد الفضائل الرجولية) لما قيض للفيلم أن يرى النور . وكان موقف جون واين غاية في البساطة صراع الصميم بين الخير والشر . وهذا كل ما في الأمر .

وهو نفس المشروع الذي كان يتقلده في الافلام التي اشتهر بها (في الغرب المتوحش حيث يبيد البيض المتحضرون الهنود الحمر المتخلفين . ولم يكتف جون واين بلعب دور الكولونيل الشجاع وانما ساهم في الاخراج . ولعل أكثر الانتقادات حرارة ومباشرة هي التي ترددت في فيلم «مطعم اليس» من اخراج ارثر بن ، وهو عبارة عن شبه سيرة ذاتية ويلعب دور البطولة فيه المغني المعروف ارلو جوثري . ويرمز الفيلم الى أن المشكلة الفيتنامية في صميمها مشكلة اخلاقية . وهناك فيلمان يمكن الاشارة اليهما في هذا المجال .

والحديث هنا انهما عالجا المشكلة من جانب كوميدي مثل روبرت ألتمان «ماش» و «كاتش ٢٢» لمايك نيكولز . وبهذا يكون فن الكوميديا نفق للهروب من الصدمة التي خلفتها الحرب . ويتناول المؤلف في فصل [illegible] ولموذج الافلام الحربية [illegible] وهناك [illegible] تحقق [illegible]

مفهوم [illegible] وهناك [illegible] مع عدم [illegible] للاسطورة [illegible] والشام وللوفاء [illegible] يشجع الاسطورة ويحاول أن يلقي عليها بنظرة والعبة الى الغرب وتاريخه والوسترن الكلاسيكية تنتمي الى التيار الأول ويسمى بالوسترن الفنتازية ينتمي الى التيار الثاني .

والافلام العنف ناجحة جماهيريا . ورغم رخص الوسيلة فالمؤلف يعتقد أنها تخدم غاية أخرى سامية . ففي فيلم «العصابة المتوحشة» لسام بكنباه تدور الحكاية عن عصبة من شذاذ الآفاق يترصدون لقطار يحمل اسلحة بمصادرتها وبيعها للثائر المكسيكي بانشوفيلا والفيلم حافل بالعنف والتقتيل ونسف الجسور والحرائق . ويرى أن العنف المبالغ فيه خالق للتطهير ، تلك الحالة التي رسمها ارسطو للدراما التراجيدية . والنموذج الآخر لأفلام العنف هو الافلام الاجرامية التي تدور في مسارح معاصرة وفي خلال العقد الماضي تطورت هذه الافلام [illegible] الدرامية والتقنية [illegible] من الطابات الخلقي والانساني ايضا [illegible] هناك ذلك الفصل [illegible] في روايات [illegible] الشرطة [illegible] الافلام [illegible] سيرة [illegible] الذين يأمرون الاجهزة والمحققة . التي تحكم على مجرم وتنبه عليه أن ينظر في موقع الجريمة وخير ما يمثل هذا النمط شريط «القاتل المدني» على قصة والعبة حين قام [illegible] ويمكن الاشارة ايضا الى «بوني وكلايد» و «بدم بارد» و «خانق بوسطن» . والافلام البوليسية لاتخلو من عنف قاتل بالطبع وكثيرا ما تثير السؤال الخالد أين العدالة ؟ سواء كانت تدور حول المجرمين الرومانتيكيين او رجال الشرطة او الجواسيس ، ففي شرائط جيمس بوند تزخر المناظر بالتعذيب والسادية والقتل الوحشي وفي السبعينات استثمرت الافلام الجنسية موجة الانحلال الخلقي التي اجتاحت الغرب ، ولايمكن تقصي جميع الاسباب التي ادت الى تفشي ذلك النمط في السينما الامريكية وان كان يمكن الاشارة الى عوامل مساهمة : نجاح الافلام السويدية وتحطيم الرقابة في الدنمارك والاستيراد القانوني واللاقانوني للافلام الدنماركية الفاضحة ، واخيرا [illegible] ذلك الاتجاه العام الذي يسود الاجواء . اتجاه يقوم على الليبرالية في تناول اشياء كانت من السر المحرمة - هذه المناقشات الواسعة في الصحف واروقة المحاكم .. مناقشات تناولت «البورنوغرافيا» بجميع جوانبها ويمضي هذه الافلام تثير [illegible] وصل شأوا بعيدا من التهتك والشذوذ بما يعنيه من «مازوشية وسادية ومثلية» . ويتناول المؤلف في فصل طريف ما يسميه سينما تحت الارض . اتجاه نبع في الستينات . ففي ١٩٦٠ اصدر ثلاثون شخصا من المهتمين بالسينما مانيفستو جديدا «لانريد افلاما مصنوعة مزيفة ، نريدها خشنة وحشية مفعمة بالحياة - لانريد افلاما وردية .. بل نريدها بلون الدم» . واصبح الانتاج يتم خلال تعاونيات تموله بعيدا عن سيطرة الشركات العملاقة واستقرت [illegible] السينما وقاعات العرض [illegible] قنوات التوزيع والعرض . واصبح لسينما تحت الارض نقادها وصحفها - بل منظروها . ولايزال المجال مفتوحا لكل ما هو جديد في عالم الفن السابع كما يقول المؤلف . وان الكتاب حجة في موضوعه وهو مفيد للقارئ العادي والمتخصص على السواء .. وقد وفق الاستاذ [illegible] في ايفاء موضوعه حقه ببراعة وفهم .



جون كنيدي

جون واين

افلام العنف الاجتماعي أحد مسارات [illegible]

أقصوصة

الحلاق

تأليف: راي برادبري



... عاد إلى العشية ممتطيا صهوة جواده المتحلق كالريح ، راشا السماء برصاص غدارته المتطاير . أوقف مجاحة في المعلى وركلها جانبا مستخدما حوافر الفرس كدفة . أعاد تعبئة بندقيته وهو يسرع وقد تحت نقله المشمسة ـ التي لم تمسسها الموسى للأسابيع ثلاثة ـ طلقة في وهج الشمس . ترجل متوجها إلى المشرب وفي الداخل تمعن في المرآة التي عكست سحنته الملوحة وغدارته الساخنة . طلب شرابا ، قدمه له الساقي دون أن ينبس ببنت شفة . التفت الرجال وخرست الألسن . « بحق الشيطان ما الذي جرى للجميع ؟ » زعق السيد جيمس مقون وهو يعب الشراب « تكلموا .. اضحكوا .. الآن وإلا أطرت حواجبكم التعيسة من فوق عيونكم » . وبدا الجميع يتحدثون ويضحكون مكذا .. تمتم جيمس مقون . ركل باب المشرب على مصراعيه وفي غمرة الريح انفلت خارجا كقيل في الظهيرة حيث كان رجال آخرون قاعدين من السلاحم والتلال يربطون جيادهم في العوارض الخشبية المتآكلة . كان دكان الحلاق يقع عبر الشارع وقبل أن يعبر تحسس غدارته ونفخ منخريه الحمراوين وهو يتنفس بعمق وقد استنشق رائحة البارود الطازج . ووقعت عيناه على علبة صفيح لمرآته ملقاة في التراب فأطلق عليها ثلاث رصاصات . تطايرت العلبة على جانبي الطريق مصممة ورجعت اذانها . عبأ بندقيته مرة أخرى واقتحم باب الحلاق بحدائه .

كان داخل الحلاق هادئا رائحة تراتبي تنقر و يجلس منتظرون والمجلات في أيديهم والمرايا خلفهم تعكس الجو المريح والصمت الكسول الذي يتقاطر من الحلاقين الأكفاء . وعلى طول الحائط المقابل جلس ستة رجال منتظرين دورهم لإزالة وعثاء الجبال والصحراء . « تفضل بالجلوس » قال أحد الحلاقين . « سأفعل » رد جيمس مقون وأشار بغدارته إلى المقعد الأول . « انهض يا سيد وإلا سيركلك في مكانك » . هلعت الدهشة في عيني الرجل ، تبعه الغضب ، ثم الخوف . وبعد تردد نهض بصعوبة ماسحا الرغوة البيضاء من ذقنه بالفوطة . قذف بالفوطة على الأرض وتعثر ليجلس في صف المنتظرين . قهقه جيمس مقون ورمى بنفسه إلى المقعد الخالي متحسسا غدارته « مثلي لا ينتظر أبدا » . قال غير موجه حديثه إلى أحد بعينه وللجميع في ذات الوقت . وتعلقت نظراته فوق رؤوسهم واستقرت في السقف .. إذا كنت تعيش حقا فلا يتوجب عليك الانتظار . يجب أن تحرقه هذا الآن » . انكمشت نظرات الرجال إلى أرضية الحجرة . تنحنح الحلاق ووضع الفوطة على صدر مقون . وانتصبت غدارته في حزامها وهو يشير مخاطبا الحلاق دون أن ينظر إليه « أريد حلاقة نقشي أولا الشعر بالحكة والقذارة ، وبعد ذلك عليك أن تقص شعر رأسي . وأنتم هناك ، اغمروا الجو بالنكات . أود أن أتسلى أثناء الحلاقة . لم أتلكه لشهر خلت . أنت . إبدأ » . ذاب الجليد بمطه في

عيني الرجل المعلى . وأدار هما في وجوه رفقه وشرع يتحدث كانت صفعة أحدهم على فمه . « كنت أعرف رجلا ذات مرة .. » تمتم وقد ابيضت سحنته . « ومشى يحكي » كان ذلك الرجل .. » قال جيمس مقون للحلاق : « إسمع أريد حلاقة نظيفة

ـ حلاقة جيدة .. إنني أملك وجها وسيما خلف هذه القاذورات الشعثاء .. لقد قضيت في التلال زمنا طويلا ولم أستطع حقا حسنا في التنقيب عن الذهب لذا أشعر بأنني على شيء من الوضاعة وأحذرك بشأن شيء واحد . إذا حدث وخدشت وجهي بموسك . فعليك السلام .. أفهم ! أعني ذلك تماما .. قطرة دم واحدة ، ستخترق الرصاصة قلبك .. أتسمع ؟ » هز الحلاق رأسه مؤمنا .

وغرق المحل في بحيرة من الصمت . امحت النكات والضحكات . « لا قطرة واحدة من الدماء ولا خدشة . احذره . إنك السيد جيمس مقون وإلا فستكون من الهالكين بعد ثانية » . « إنني متزوج » توسل الحلاق . « لا أهتم لذلك إطلاقا حتى ولو كانت لك ست زوجات وسبعة وخمسين طفلا » . على طفلان ، تمتم الحلاق « فتاة صغيرة حلوة وصبي » . بصفاقة مكشوطة أجاب مقون وهو يريح ظهره في المقعد ، مغمضا عينيه . انهمك الحلاق في إعداد الفوط الساخنة ، ولفها على وجه مقون . ومن خلالها كان الأخير يسب ويلعن ويداعب غدارته تحت المريولة البيضاء . وعندما نزع الحلاق الفوط وغمرت الرغوة ذقنه كان لا يزال يبث تهديداته وقد شمر الرجال المنتظرون في مقاعدهم بوجوههم الطباشيرية وكف الحلاقون الآخرون يتوقفون عن الحركة ويجمدون كالتماثيل قرب زبائنهم . كان الدكان مفعما بالبرودة بالنسبة ليوم صائف . « ماذا جرى .. أين حكاويكم ونكاتكم ؟ » قال جيمس مقون « حسنا اهتفوا .. أنتم هناك . ترنموا بشيء (حبيبتي كلمنتين ؟) .. أسرعوا .. أسمعتم ؟ » . قال الحلاق يسن موسـاه ببطء وبيد مرتعشة : يا سيد مقون ... » « اخرس واشتغل » . أمال مقون رأسه للخلف محملقا في اللاشيء . رفع الحلاق موساه مرة أخرى . وينظر إلى الرجال .. تنحنح وابتدر « أيها السادة هل أصغيتم كلكم لما قاله السيد مقون ؟ » هز الجميع رؤوسهم ـ صامتين ـ بالإيجاب . « هل سمعتموه يهدد بقتلي ؟ » تساءل الحلاق . « إذا سالت قطرة واحدة من دمه ؟ » هز الرجال رؤوسهم « وهل ستحلفون على ما حدث في المحكمة ، إذا كان ذلك ضروريا ؟ » استفسر الحلاق . وأومأ الرجال برؤوسهم للمرة الأخيرة . « أوقف التشكي .. الآن .. واشتغل » قال السيد مقون . « ذلك ما أردت التأكد منه » قال الحلاق . رفع موساه بهدوء فتألقت في الضوء المنهمر . وأحنى عنق السيد مقون إلى الخلف . ووضع الموسى البارد في حلقه المتشعر : « سيد ! من هنا ! من هنا نبدأ » .



دولة قطر
وزارة الإعلام
إدارة الثقافة والفنون
يسر إدارة الثقافة والفنون بوزارة الإعلام
أن تقدم لأطفالنا الأحباء
القصص الآتية
٤
قصص
جميلة
مفيدة
مسلية
الخيمة السوداء
الاتفاق
ثعلوب يتعرف على الأرنب
أجمل من قوس قزح
تجدونها في جميع المكتبات...
بسعر رمزي ٣ ريالات
مع تحيات إدارة الثقافة والفنون

إشراف: خديجة الصفار

كم أنت فريد أيها الإنسان!



بفضل التطور العلمي والمعرفة تزداد مهاراتنا وقدراتنا

هناك عشرات الخصائص التي تميز كل واحد منا عن الآخرين

مع ازدحام المدن الكبرى بالسكان ، وانفراط العقد الاجتماعي ، وازدياد محاولات الجهات الرسمية لفرض النظام والقانون والتخطيط وا بيمنة المركزيين ، يستشعر كثير من الناس نوعا من ضياع تفرد هويتهم ، ويحسون بوطء تغليب الكيانات الكبيرة على حساب الافراد .

عصر فقدان الهوية

لقد دخلنا عصر فقدان الهوية ، وقد يستعر بنا الشوق لذواتنا ، ونناضل لتبقى فرديتنا متميزة ، تسلب كلا منا سمته ، وتصنعه كيانا أجوف بلا وجه .. وربما أصبحنا بعد حين مجرد وحدات في ماكينة ضخمة - مجرد رقم أو كسر عشري أو أصغر تنقل القرع من شخص آخر .

هذا الاتجاه المتدرج نحو مسخنا الى مجرد أشياء قد أيقظ كثيرا من الناس على ضرورة البحث عن سبل جديدة لاستعادة وتأكيد فرديتهم .. سواء كان ذلك بالبحث عن جذورهم العرقية أو بصنع واختلاق هوايات لهم عبر الأزياء الغريبة او ممارسة الهوايات الشاذة .. او بالسعي وراء كل ما يرمز الى مكانة اجتماعية متميزة . ويجد آخرون في اقتناء الأشياء منفذا الى التفرد ، إذ يستعيضون من قدرتهم على الامتلاك نوعا من التمييز .. حيث يؤكدون ذواتهم عبر شيء لا يملكه سواهم .

خلاصنا بيدنا

وقد يبدو هذا الموقف باعثا للقنوط واليأس .. ولكن خلاصنا أقرب مما نظن وهو في متناول يدنا .. وكان في الحقيقة دائما هنا .. بايدينا .

فالخالق - عز وجل - قد أسبغ على كل واحد منا خصائص طبيعية متفردة لا يمكن لهذا العصر الصناعي ، او ما يعقبه من عصور ، أن يسلبنا اياها . وبفضل التطور العلمي والمعرفة المضطردة تزداد مهاراتنا وقدراتنا على قياس هذه الصفات واستجلائها ووصفها .

نطفة الأصالة فينا

لقد لاحظ العالم الراحل ثيودوسيس دوبزانكسي - من جامعة روكفلر ، القدر الهائل من الإمكانيات المضمرة في الجينات الانسانية . وكان يرى اننا لو جمعنا كل الخصائص التي يمكن تصورها ، فإن العناقيد المتآلفة منها والممكنة الوجود في الجينة الواحدة هي اكثر من عدد الأجزاء تحت الذرية والتي قدر علماء الفيزياء وجودها في الكون .

وهكذا نرى انه في الوقت الذي يدفعنا المجتمع نحو الاندماج في الكل ، وفقدان الهوية ، فإن خصائصنا الطبيعية تحثنا على التنوع والتغيير ، وبينما تحاول المؤسسات التي اقامها البشر إحالتنا الى وحدات اجتماعية ، فإن ما بنا من نطفة الاصالة يبقى لنا تفردنا واصالتنا ، ويحفظ لكل منا حقه في أن يظل غير مكرر واستثناء فريدا ..

وهناك عشرات الخصائص التي تساهم في التفرد الذي يميز كل واحد منا عن الآخرين - منها على سبيل المثال ملامح الوجه وشكل اليد ورسم القلب ، وحتى انتظام الدم في أوعيته في العين . وربما لم تتضح دلالة خصائص اخرى إلا بعد عشرات السنين .. ولكنها مستخدمة اليوم ، او هي على الافق تلوح ، وهذه الخصائص هي التي تمكننا من تمييز الأفراد بنفس القدر من السهولة التي تميز بها بين الماء والزيت ..

التباين البروتيني

إن اجسامنا مكونة من مواد عديدة ، أهمها البروتينات التي تشكل الخلايا وتبني وظائفها ، وهي مختلفة في الاشكال والصور التي توجد بها ، وينبىء معظمها عن سلسلة من التباينات التي يمكن تحديدها .

ولأن كثيرا من القبائل والاجناس والجماعات الدينية ، في مختلف انحاء العالم تميل الى عزل جيناتها بالتوالد فيما بينها ، فإن انواع التباين البروتيني





يمكن ان يستخدم فى تحديد هوية افراد تلك الجماعات .

وعلى سبيل المثال .. نجد ان خلايا الدم الحمراء تحتوى على بروتين وحامض الفوسفاتاز ، وهو خميرة فى انسجة الجسم تحلل المركبات المؤلفة من فحميات وفوسفات ، وهى خلطة من متغيرات متنائية هى ب(أ) و ب(ب) و ب(ج) . وهذه المتغيرات تظهر فى الافريق الاصليين كمجموعة على النحو التالى :

ب(أ) بنسبة ٢٣٪ ، وب(ب) بنسبة ٧١٪ ، وب(ج) بنسبة ٦٪ . اما الاسكيمو من اهالى الالسكا فان هذه المتغيرات البنائية تظهر فيهم كما يلى :

ب(أ) بنسبة ٥٦٪ ، وب(ب) بنسبة ٤٤٪ ، اما قبائل الاليانوملنا ، وهم هنود من فنزويلا بامريكا الجنوبية ، فلا يوجد فى دمائهم سوى المتغير البنائى ب(ب) وحده ..

وربما خطر لنا ان هذه المتغيرات البنائية لا قيمة لها إلا فى تحديد هوية مشرد اسيوى الملامح يوجد هائما فى شوارع مدينة بالاسكا . ولكن علماء الاجناس قد وظفوا هذه المتغيرات البنائية وغيرها من العلامات البيولوجية فى استقصاء انماط الهجرة والسلالات والتطور عند سكان العالم ، كما ان التصنيف البروتينى قد وظف فى تحديد الابوة الشرعية فى قضايا كثيرة عرضت امام المحاكم .

لكل جرثومته

ولان كل فرد منا جزيرة فريدة تطفو فوق بحر من الاجسام تحت المجهرية ، فان انواع الجراثيم يمكن ايضا ان توظف للتمييز بيننا . اننا محاطون منذ ميلادنا بالبكتريا والفطريات والفيروسات من كل الاصناف ، بعضها طفيلى يسبب المرض ، واغلبها يعتبرنا سكنا له ، ويتوالد فى سعادة وصفو ودون ضرر لنا فى عدد من المواقع التى يحتلها فى اجسامنا . ولان صفحات اجسامنا ومنافذها تختلف فى حموضتها وانسجتها وتركيبها وافرازاتها ، فان الرسائل والاشارات التى تبثها الغدد الموجودة فينا التى تحدد اى نوع من هذه الاجسام غير المرئية يمكنه ان يأخذ مكانه ويسكن فى اجسامنا ، والموقع الذى يمكنه ان يخلد فيه بنا ويتوالد .

وقد استرعت الطريقة التى تتوزع بها بعض هذه الاجسام تحت المجهرية انتباه الدكتور ملفين غيرشمان من جامعة ماين ، فاقترح تطوير فرع من علم الاحصاء يعرف بعلم الميكروبات الشرعى يقوم على انواع الجراثيم ، وبما ان هذه الاجسام تحت المجهرية مخلوقات حية ، فان كل نوع منها له متغيراته الخاصة به فى داخله ، ولكل جرثومة خصائصها التى تتميز بها ، ولذا يمكن التعرف علينا كافراد ليس فقط عن طريق توزيع الجراثيم التى تأهل اجسامنا ، بل عن طريق هذه الاجسام تحت المجهرية ايضا .

الرائحة هوية

تشترك الاجسام تحت المجهرية فى شىء واحد به يمكن التعرف على هويتنا وهو ما نتركه فينا من رائحة ، فالواحد منا لا يحمل رائحة مميزة فحسب ، بل انه يترك وراءه اثرا يدل على تلك الرائحة .. وهى حقيقة يعرفها الكلب بانفه . إننا نختلف كافراد بواسطة عدد لا حد له من الروائح المنبعثة من اجسامنا ، والتى

يتكون كل منها من اكثر من مائة جزء . ولذا داب المهندسون منذ سنوات على الاحتجاج بانه مادام بمقدور الكلب ان يميز بين نمط الرائحة عند شخص وآخر ، فإن الآلة يمكن ان تقوم بنفس الشيء .. دون ان تكلفنا تغذية او رعاية .

اننا نبث روائح عامة واخرى خاصة . فالنساء مثلا يطلقن مواد شفافة تختلف حسب دوراتهن الشهرية . وقد وجد احد المحققين ان الكلب الألماني من فصيلة الشيفر (الراعي) إذا ما شم الرائحة العامة للبروجسترون ، وهو هرمون في النساء ، فانه يستطيع ان يتعرف على كل ملامسة المرأة الحامل او المرأة في المراحل الاخيرة لدورتها الشهرية .

ويجرى حاليا استكشاف الروائح الخاصة التي تجذب الينا الناموس او تنفره منا ، وذلك بهدف تصنيع مواد منفرة . وربما كانت بعض القبائل في ادغال افريقيا حيث يكثر الناموس قد اكتشفت بعض تلك الروائح المنفرة في بول البقر الذي تمسح به ابدانها ضد الناموس ، كما يستخدم بعضها رماد روث الماشية . ويمكن معرفة رائحة شخص ما من ملابسه او مسكنه او مطعمه ، بالرغم ان كلا منها يمكن ان يفرض خصائصه ، اننا لا نستخدم حاسة الشم فينا إلا قليلا ، وفي امور مثل الحكم على رائحة شخص ما بانها طيبة او كريهة . ومع ذلك فان الاشخاص ذوي القدرة العالية على الشم موجودون بالفعل ، مثل خبراء العطور وانواع النبيذ .

وقد ذكر فرويد حالة الفارء الذي كان يميز بين معارفه من الناس بروائحهم وكان هناك طفل يتمتع بحاسة للشم قوية مكنته من معرفة رائحة الابدان ، ورائحة كل عضو بالجسم ، او مصدر الرائحة بالجسم .

وقد قادت مثل هذه الملاحظات العلماء الى وضع نظريات تقول بان البشر ربما كان بمقدورهم الاتصال فيما بينهم بطريقة تحت مستوى الوعي بواسطة مواد غير مرئية . وليس ذلك بمستغرب ، لان معظم الحيوانات تستخدم الرسائل الكيمائية وهي التي تحدد للحيوان اوان القتال او الرحيل لمنطقة اخرى ، او ميقات السلوك المطمئن المسالم نحو الآخرين ، او ميعاد التناسل .

وإذا كنا نستجيب للمواد الكيمائية التي تبثها اجساد الآخرين ، فربما كان استخدامنا للعطور واكثارنا من الاستحمام مضرا بقدرتنا على الاتصال .

وتجرى حاليا محاولات لتطوير اجهزة لقياس وتحليل انماط الابخرة العضوية التي يبثها الناس في الهواء . وقد تم بالفعل ، بواسطة التحليل ، التعرف على المواد الكيمائية حتى حين يكون تركيزها اقل من جزء من البليون .. وذلك يفوق قدرتنا الطبيعية في اكتشاف الروائح بقدر كبير للغاية . ومع ان هذه الطريقة مازالت في مرحلة التجريب والاختبار ، فالواضح اننا سنتمكن قريبا من تحديد هوية الافراد بواسطة ما يمكن ان نسميه امضاءاتهم بواسطة الرائحة .

رابطة الدم

هناك مثل قديم يقول بان شخصية الانسان مرقومة في دمه . وقد بين العلماء صحة ذلك ، فالدم يختلف من شخص وآخر . وعندما نتحدث عن فصائل دم الإنسان ، فاننا في العادة نشير الى الفصائل المعروفة طبيا . ولكن علماء الدم يصنفونه تصنيفا اكثر دقة ، فالمجموعات المعروفة من فصائل الدم (أ) (ب) (و) (رهـ) ، مثلا ليست سوى اثنين من اكثر من ٢٤ مجموعة .

إن معرفة فصائل الدم ضرورية بالنسبة لعمليات نقل الدم بنجاح ، ولمنع مرض الدم عند الاطفال حديثي الولادة ، وفي جراحة نقل وزراعة الاعضاء . وقد استخدمت هذه المعرفة في حسم التنازع حول الابوة وفي اثبات الابوة ، خاصة بالنسبة لقضايا الاختطاف والوراثة والخلط بين الاطفال في مستشفيات الولادة .

فوائد تطبيقية

ومن اهم الفوائد التطبيقية لمعرفة فصائل الدم مسالتا الانجاب والولادة . فقد وضحت الدراسات ان الزوجين اللذين لا تتفق دماؤها يغلب عندهما احتمال عدم الانجاب ، إذ ان النساء من فصيلة معينة من الدم يفرزن مضادات عضوية ضد خلايا الحيوانات المنوية التي من دم لا يتفق مع دمهن . وقد اجريت دراسات على بنات هوى يستقبلن بحكم حالهن انواعا مختلفة من فصائل الدم ، فتبين انهن يفرزن مضادات عضوية كابحة للحيوانات المنوية ، وهذه الطريقة البيولوجية لمنع الحمل قد نبهت الباحثين الى التفكير بان الوسيلة المثلى لمنع الحمل ربما كانت بالتفاعلات التي تتم بواسطة مولدات الاجسام العضوية المضادة . وفي ظنهم ان الحيوانات المنوية تعتبر في هذه الحالة بمثابة اجسام غريبة غازية للجسم ، وان الحمل نوع من المرض يمكن تلافيه ، فإذا اعتبرت الحيوانات المنوية للرجل كنوع من الجراثيم ، فان التطعيم هو العلاج الواضح ضد التلقيح .

مولدات المضادات العضوية

إن كل خلية ادمية تحمل في سطحها مؤثرات بيولوجية للتعرف على الفردية . وتنقسم هذه المؤشرات ، التي تعرف بمولدات المضادات في عملية نقل الاعضاء وزراعتها ، وذلك للدور الذي تقوم به في مقاومة نقل وزراعة الاعضاء جراحيا ، الى اربع مجموعات اساسية . مع احتمال ما يقرب من ٢٢ ذرة في كل مجموعة ، وبما ان الانسان يرث ثمان من هذه المولدات المضادة ـ اربع من كل والد ، وواحدة من كل من المجموعات الاربع ، فان عدد المجموعات الممكنة هو بالتقريب عشرون مليونا .

وتقوم مولدات المضادات هذه بمثابة كلمات السر للمرور . وإذا فان عمليات نقل الاعضاء جراحيا لا تنجح إلا إذا كانت مولدات المضادات عند المتبرع هي نفس مولدات المضادات عند المستقبل ، فالجسم حين يتعرف على الانسجة التي نقلت اليه كجسم غريب يقوم برفضها . وتقوم بعض الانسجة في الجسم بعملية رفض حاد للانسجة الدخيلة ، كالطحال مثلا .

ومن سخرية الاقدار ان الانسجة التي لا تستدعي رد فعل رافض حاد من الجسم المنقولة اليه ، وبالتالي يمكن استيعابها .. هي بالضبط تلك الانسجة التي لا يرغب المرء في نقلها اليه كالشحم مثلا ، او تلك التي لا يمكن نقلها من ناحية ع.ل.ع .. كخلايا المخ !



قضايا الأبوة والميراث

وقد أصبح لمولدات المضادات مؤخراً دور جديد في المجتمع ، وذلك في المحاكم . إن احتمال وجود مولدات للمضادات الشبيهة في أي شخصين أمر بعيد ، ولذا فإن فصائل الأنسجة مثالية في الفصل في قضايا الأبوة . وكل ما على المحامي أن يفعله هو أن يثبت أن الطفل لا يتمتع بتركيب به أربع مولدات للمضادات (الانتيجينات) ، هي تلك التي يرثها عن الأب المدعى عليه .

وفي قضية تم الفصل فيها مؤخراً في النمسا تقدم استخدام هذه الانتيجينات خطوة جديدة ، فقد ادعت إحدى السيدات أن ابنها وريث لضيعة رجل مات . ولكن المحامين قاموا بجمع أبناء الرجل ، ودققوا في انتيجيناتهم .. ومن ثم تمكنوا من معرفة نوع تركيب أنسجتهم ، وأثبتوا بذلك أن ابن المدعية لا يمكن أن يكون من صلب الرجل المتوفى .

في مجال السرطان

إننا نجهل تماما السبب في أن تولد وتنا انتيجينات النقل هذه في المقام الأول .. وهناك نظرية طرحها عالم حائز على جائزة نوبل ، هو السير ماكفارلين بيرنت ، الذي يرى أن مولدات المضادات قد طورت في الجسم لتمكنه من التعرف على الخلايا التي تشوهت وصارت خلايا سرطانية . ووفقاً لهذه النظرية فإن السرطان يحدث عندما تصبح كل أجهزة الرقابة في الجسم عاجزة تماماً عن اكتشاف الخلية غير الطبيعية ، وبالتالي إبادتها .

ويجري العلماء حالياً أبحاثاً على هدي نظرية السير بيرنت ، وذلك في محاولة للكشف عن الأسباب الأساسية للسرطان وطبيعته .

التمييز بين الذكر والأنثى

وربما كان النوع الفاصل من أنواع تحديد الهوية هو ذلك المعروف باسم «الكاريوتايب» ، ويعتمد على صورة الكروموزومات التي تحمل الجينات الآدمية .

ويظهر الكاريوتايب عادة كصورة فوتوغرافية بها ٤٦ كروموزوما آدميا ، وقد صبغت من أجل الفحص المجهري ، وهي مصفوفة في خطين ، بكل منها ٢٣ كروموزوما تبعاً لحجمها وشكلها . ويشار إلى أطوالها برقم (واحد) ، وأقصرها برقم (٢٣) . وتكون هذه الكروموزومات أزواجاً متشابهة في النساء .. عادة .. ولكن الزوجين رقم (٢٣) في الرجال ، وبهما كروموزوما الجنس ، غير متماثلين ، ويظهر ذلك بشكل واضح . ولذا فإن الكاريوتايب يفرق بشكل حاسم بين الذكر والأنثى .

وهذه الطريقة قد أثبتت فائدة قصوى في الألعاب الأوليمبية للتأكد والتثبت من أنوثة النساء المشتركات في الأوليمبياد وفي الأفراد العاديين . ليس هناك كبير اختلاف في الحجم بين الكروموزومات الزوجية إلا في حالة كروموزوم نوع الجنس ، ويختلف طول هذه الكروموزوم بشكل خاص بين المجموعات المختلفة من الذكور ، فهو أطول ما يمكن عند [illegible] ، وأقل ما يكون عند [illegible] ، ولا يدري أحد بعد إن كانت هناك ثمة أهمية خاصة لطوله أو قصره .

وقد تمكنت دراسات الكاريوتايب حتى الآن من تحديد السمات العامة والأنسجة الشاذة . ولكن المهم هو أنها دقيقة في تحديد الاختلافات الكروموزومية في ٪١ من السكان . وسيتم بفضل الأساليب المتطورة في الصبغ والوسائل المحسنة في تحديد الأنماط المصبوغة المسماة فرق الكروموزومات رفع كفاءة اكتشاف الاختلافات الدقيقة في تركيب الجينة ، وسيأتي يوم نستطيع فيه تحليل الكروموزومات الجينة الواحدة . وذلك منتهى المطلب في تحديد هوية الجينات .

ورغم الانتفاع المحدود من كل هذه الأساليب فإن العلماء قد أصبحوا يستخدمونها في تحديد الهوية ، بعد أن كان ذلك في الماضي وقفاً على البصمات وحدها .

الأسنان .. لمعرفة الهوية

في ٢٤ سبتمبر من عام ١٩٧٤ حوكم رجل بكاليفورنيا بتهمة القتل بعد أن ثبت أن نظام أسنانه مطابق لآثار عضة في أنف المرأة القتيلة . ولقد قرر ممثل الاتهام أن الآثار الخمسة الأكثر وضوحاً في الأنف التي عضت يمكن أن تبرز ٥٩,٤٩ شكلاً محتملاً من أشكال انتظام ودوران الأسنان . وعندما أخذ عن طريق الصدفة ٧١٠ نموذجاً لأسنان المتهمين ، وقورنت بالآثار التي كانت على الأنف ، كانت أسنان المتهم وحدها هي التي طابقتها تماماً .

إن نظام الأسنان في الإنسان له تفرد التفرد الذي تختص به بصمات أصابع اليدين . ولما كانت كل سنة بفم الإنسان ذات سطوح خارجية خمس .. فإنه يمكن تصنيف ١٦٠ مساحة مختلفة للأسنان ، وفقاً للتكوين الوراثي والتغيير التطوري والتغييرات الطبيعية أو حسب الإصابات وما تحدثه أساليب علاج الأسنان أو استبدالها . وهناك أكثر من ٢,٥ مليون احتمالا لهذه الخصائص والسمات في بصمة الأسنان .. وذلك وفقاً لنماذج أحصاها العقل الإليكتروني . كما أن التحليل بالأشعة السينية للفك يضيف بعداً آخر لعملية تحديد الهوية عن طريق الأسنان .

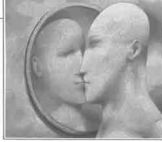
وليس تحليل نظام وأنماط الأسنان بالعلم الجديد فقد اعتمد السيد بول ريفيري على نظام الأسنان ليتعرف على جوزيف وارن ، وهو أمريكي قتل في بنكر هيل . كما أن هوية جون ويلكز بوث الذي اغتال الرئيس الأمريكي أبراهام لنكولن قد تم التثبت منها عن طريق أسنانه بعد أن أحرق جسمه .

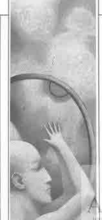
طب الأسنان الشرعي

وقد أدى التحليل المتطور في أيامنا هذه إلى تخصص جديد هو طب الأسنان الشرعي ، الذي يقوم بوظيفته خير قيام في حالة إصابة بقية الجسم بشكل يجعل أنواع التعرف الأخرى على الهوية غير ميسورة .

ولأن مينا الأسنان من أشد المعادن المعروفة صلابة ، فإن أسنان الإنسان هي أكثر جزء في جسمه قدرة على البقاء . وهي وحدها التي يمكن أن تبقى بعد الحرائق والكوارث .

وقد استخدم طب الأسنان الشرعي مؤخراً في تحديد هوية بقايا ركاب طائرة تهشمت في مطار شيكاغو . كما استخدم





لقد اكتشف الناس مشكلة تحديد الهوية منذ أن أخذوا يتجمعون فى أعداد كبيرة مختلطة

فى التحقيق فى مقتل عدد من الشبان ، وفى أعقاب مذبحة جماعة جونز تاون الشهيرة .

وفى حادثة الطائرة بسانتياجو قبل ٢٦ شهرا ، حيث توفى ١٤٤ شخصا ، تم التعرف على ٩٠ منهم عن طريق بصمات الأسنان فقط .

التوقيع أيضا

إن كل توقيع متفرد ، لا يشبهه أى توقيع آخر . وقد أقيم حديثا نظام يعتبر التوقيع أكثر دقة فى تحديد الهوية من صفحة كاملة بخط اليد ، وأنه محصن من العبث به أكثر من بصمات اليد .

لقد ظل تحديد الخطوط عملا مضنيا ودقيقا ، فالعوامل الطارئة كتغيير المزاج أو اختلاف أداة الكتابة ، يمكن أن تموه أية كتابة باليد ، ويمكن لمزورى الخطوط أن ينقلوا أى أسلوب خطى بشكل دقيق حتى ليصعب تحديد النسخة الصحيحة الحقيقية من عشر وسايا منسوبة لأى مليونير .

أما الآن فقد استحدث الأستاذ الجامعى جاكوب استيرنبيرج نظاما فى تحليل الخطوط يتغلب على عوامل الصدفة ، ويفوق ذكاء أمهر المزورين ، ونظامه الإليكترونى لا يقيس شكل أو مظهر الخط ، وإنما (نظام الضغط) والتغييرات التى تطرأ على الصفحة أثناء الكتابة ، وقد توجد [illegible] الخط والتوقيع ، [illegible] كانا متشابهين ومتطابقين معدنين من أسلاك مكتسبة ، [illegible] التوقيع بحكم تكراره يصبح مجرد فعل منعكس أو لا إرادى ، ويصبح تلقائيا ومثله منغرسا فى ذاكرة العضلات .

وقد طبقت الجوات الأمريكية طريقة استيرنبيرج هذه فى الرقابة على المناطق المحددة للغاية والتى لا يراد لأحد الوصول إليها ، ووجد أن نسبة الخطأ ضئيلة جدا ، مما جعلها مبشرة بفوائد جمة عسكريا وتجاريا .

والسبب وراء نجاحها هو أنها لا تحكم على خاصية يمكن تكرارها ، فبصمات اليد التى يمكن أن تطبع على قفاز من المطاط ، وإنما تقوم بتحليل الأفعال الباطنة لإنسان يقوم بعمل معقد ، وبذا فهى تحدد عددا من خصائص الفرد الجنية ، كشخصيته ، وطبيعته الجسمانية ، ونظام أفعاله .

الأسماء فقدت قيمتها

لقد اكتشف الناس مشكلة تحديد الهوية منذ أن أخذوا يتجمعون فى أعداد كبيرة مختلطة ، وكانت أول المحاولات فى إطلاق الأسماء على الناس والأشياء ، وظلت تلك التوقيعات اللفظية خاصة به فى المجتمع .

أما هذه الأيام التى تسرقنا شخصياتنا فإن الأسماء قد فقدت قيمتها ومعناها .. وإن أى شخص شاء حظه له أن يسمى محمدا أو جورج أو هانز هو بالضرورة ضائع وفاقد الشأن بين جيش جرار ممن يحملون نفس الاسم .

إن الحكومات مثل معظم العقول الاليكترونية تفضل أن تتعامل مع شعوبها كأرقام . ولها فى ذلك دوافعها وضروراتها . ولكننا نشعر بالأسى وبعض الخوف إذ نجد هذا النظام يبنى لنا هويات على أساس تعسفى من الأرقام .

ولكن علم الأحياء سيوفر لنا الأدوات التى نبدل بها كل هذا . إن ما تذخر به طبيعة الإنسان من أسباب تحديد الهوية لهو أكثر دقة من الأرقام ، وأكثر شخصانية للفرد من الأسماء . وهى بدلا من أن تقذف بنا فى جب اللاهوية ، فإنها تحتفظ وبشكل فعال بتفردنا المطلق .



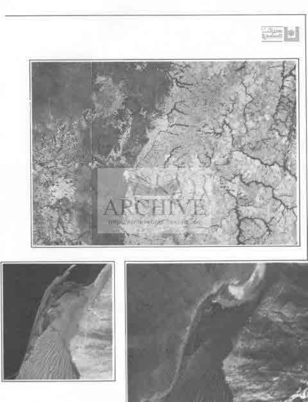
الأرض في عدسات الفضاء



من نقطة بعيدة في الفضاء الاسود كالحبر، تقوم آلات التصوير بالتقاط صور عن كوكبنا الأزرق الخضرة، وتختزنها وبشكل أوتوماتيكي تتحول تلك الصور المختزنة إلى جزيئات ثنائية يتم بثها إلى الحقول الالكترونية الأرضية حيث يعاد تركيبها وإبرازها صوراً مركزة، وذلك بواسطة مؤسسة المحطات الأرضية في واشنطون «دى. سى».

ويقوم بتصوير الأرض من ذلك الفضاء العريض القمر الصناعي لاندسات، الذي دحض بروعة انجازه كل معارضة استهدفت برامج الفضاء باعتبارها ترفاً في زمن تزدح فيه







الأرض تحت المشاكل والأهوال .

وقد استطاع فنيو العقول الالكترونية ، أن يبرزوا لنا بفضل مهارتهم وتقدم قدراتهم وفى تحديد جازم مواطن المعادن الثمينة ومصادر الغابات والأراضى الصالحة لزراعة المحاصيل .

وباستخدام الصور الملونة بالأشعة تحت الحمراء ، فقد أظهروا الملامح الجيولوجية الخبيئة فى هضبة ، تلال الأبالاش فى ولاية أوهايو ، كما فى الصورة رقم (١) بينما وضحت الصورة رقم (٢) أن الساحل الصومالى ومصارف المياه به مازال تحت التكوين .

إن الآثار العديدة تظهر نتائج مذهلة وخلابة عندما تراها العين من الفضاء . فما هذا الشكل شبه البهلوانى الذى نراه فى الصورة (٤) سوى شبكة الرى الزراعى فى واحة الكفرة فى ليبيا .

أما الصورة رقم (٣) فهى تظهر الخطوط الأساسية لسطح ما تحت مياه المحيط والترسبات المذوبة فيه على الساحل الاندونيسى . أما حوض نهر الأمازون الأوسط فقد أظهرته طريقة النسبة الرقمية التى تركب ثلاثا من موجات الطيف الضوئى التى تستطيع آلات التصوير بالقمر الصناعى (لاندسات) رؤيتها ، وعندما تم تكبيرها ومعالجتها وتنسيقها مع نتائج المسح الأرضى ، أصبح من الممكن بواسطة النسبة الرقمية تحديد الأماكن المحتملة للتنقيب عن المعادن فى غابات الأمازون .

وتبدو الأحوال الجوية كما فى الصورة (٥) حيث تطغى الأعاصير فى حوض قداميس فى الصحراء ، وتكون بذلك كثبانا رملية تشبه النجوم . كما نرى ذلك فى الصورة (٦) .

ولم تعجز عدسات القمر الصناعى عن قبض لحظات الجمال الطبيعى فى تغيرات الفصول ، فاظهر لوحة كلها جمال وروعة لفصل الخريف فى وادى شيناندوا فى فرجينيا الغربية بأمريكا

والصورتان الثامنة والتاسعة لصحراء ناميبيا بجنوب غرب افريقيا .. وقد عولجتا كل على حدة . فالتاسعة تظهر عملية اللون بالأشعة تحت الحمراء بطريقة خاطئة ، أما الثامنة فقد استخدمت فيها طريقة دمج أربع موجات مختلفة من موجات الطيف لتعطينا صورة واقعية ذات ألوان ثلاثة .

وكلما توغلنا فى تقدمنا فى الثمانينات فإن المعلومات اللازمة والضرورية التى يجب أن نعرفها عن محيطنا الحيوى ستبلغنا فى نقطة تمثل الموقع الأكثر إمتيازا للنظر الى أرضنا .. وهى الفضاء .



تساؤلات حول اللياقة

مع ازدياد مطالب الحياة العصرية ، يجد معظم الناس انفسهم وقد اندفعوا لاهثين وراء تكاليف الحفاظ على مستوى معيشي معين او تحقيق ما تدفعهم إليه وسائل الدعاية والإعلان في المجتمعات التي يغلب عليها طابع الإستهلاك . وفي غمرة كل ذلك ينسون انهم يستهلكون انفسهم دون انتباه الى ضرورة تجديدها ، والترويح عنها بشكل طبيعي ، والمحافظة على لياقتها وإيقاعها السليم .

ولكن بعد ان بينت الأبحاث خطورة الركون الى الحركة الفاقدة للايقاع ، وتزايد حالات امراض القلب وضغط الدم ، اخذ الناس يفطنون الى مخاطر السمنة وعدم التريض .

وازدحمت في اذهانهم الاسئلة حول الإستفادة المثلى من اللحظات القليلة التي تتيحها حياتنا المعاصرة لفعل اي شيء ليس له عائده المادي المباشر .

وقد اخترنا بعضا من هذه الاسئلة ، مساهمة منا في طرح كل ما من شانه بث الوعي بلياقة البدن وتجديده .





● الا تساعد التمارين الرياضية على زيادة تفتح الشهية للاكل ، وبالتالي تعوق محاولة انقاص الوزن ؟

هذا مجرد سوء فهم ، وإن كان شائعا مع الأسف . فالتريض المتزن لا يزيد من اثار تفتح شهية المرء بشكل ملحوظ . وقد اوضحت البحوث ان زيادة النشاط البدني خاصة بالنسبة لمن لا يقومون في العادة بمجهود كبير يكبت الرغبة في الاكل .

● الا يمكن تخفيض وزن الجسم باتباع نظام في الاكل ودون الحاجة الى التريض ؟

ـ ذلك شيء ممكن ، ولكن الجسم يفقد الانسجة العضلية في نفس الوقت الذي يفقد فيه الشحم . اما إذا قام المرء بتمارين رياضية فإن معظم الوزن الذي يفقده الجسم سيكون من الشحم المختزن في الجسم . ولذا فإن التريض المقترن باتباع نظام في الاكل هو السبيل المساعد على حفظ اللياقة الكلية للجسم . كما ان التريض واتباع نظام في الاكل حين يجتمعان معا يحققان تخفيضا دائما في الوزن لانهما يحدان من الشعور بالجوع ويضعان نهاية لانواع اخرى من الاجهاد النفسي .

● هل توجد انواع معينة من التمارين الرياضية لإزالة الشحم من مواضع معينة من الجسم ؟

ـ لا .. ولكن لأن التريض يزيل الشحم من الجسم كله بشكل متوازن ، فإن الجذع يفقد شحمه قبل الاطراف ، اي ان شحم البطن يزال قبل شحم الفخذين .

● هل يمكن نقص عدد خلايا الشحم في الجسم ؟

ـ من سوء طالعنا اننا متى تجاوزنا سن البلوغ يتعذر علينا ان نقلل من عدد خلايا الشحم والدهن في اجسامنا . ولكن يمكن تخفيض حجمها ، وبذا تقل كمية الشحم في الجسم .

وتشير الابحاث العلمية إلى ان التغذية المعتدلة حين تقترن بالتريض في سن مبكرة تساعد على عدم انتشار خلايا الشحم في الجسم . ولذا يجدر بالوالدين ان يهتما بشكل خاص وباستمرار بنوعية الطعام الذي يتناوله الاطفال ، وبتربيتهم البدنية . فالرياضة التي يمارسها الطفل ، خاصة في فترة الدراسة ليست مضيعة للوقت كما يتوهم بعض الآباء والأمهات .

● هل يمكن تحويل الشحم الى عضلات ؟

ـ الشحم لا يتحول الى عضل ، كما ان العضل لا يصبح شحما . فاذا اكل المرء كثيرا وقل تريضه فإن اية وحدات حرارية تزيد عن حاجة الجسم سيختزنها الجسم في شكل شحم بغض النظر عن كونها دهون او بروتينات او كاربوهايدرات

وإذا قلت هذه العضلات دون ان تستدعى لعمل تقوم به ، فإنها تضمر ، ولكنها لاتتحول الى شحم . وعندما تمارس رياضة فإن انسجة العضلات تنتفخ وتكبر ، بينما تتقلص انسجة الشحم .

● هل نفقد وزنا اكبر عندما نتصبب

عرقا علينا اثناء التريض ؟

- إننا نفقد وزنا بعد التمرين مباشرة ، ولكن ذلك يعود الى اننا نفقد السوائل وليس لأن انسجة الشحم قد ضمرت . ويتم تعويض هذه السوائل بعد زمن قصير عن طريق العطش العادى . فلا يخدعنك ذلك . ويجب ان نحرص على شرب الماء قبل واثناء وبعد اى تمرين ضعيف حتى نتجنب فقد سوائل الجسم.

● اليس من الافضل لنا ان نتريض فى الايام الحارة الرطبة التى تجعلنا نعرق بكثافة اكبر ؟

- إن العكس تماما هو الصحيح . فعندما يكون الهواء عالى الرطوبة لدرجة لا تساعد على تبخر العرق فان حرارة الجسم قد ترتفع فوق معدلها الطبيعى ولذا يستحسن ان نعتدل فى التريض عندما يكون الجو رطبا .

● هل لحبوب الملح فائدة ؟

- يجب علينا ان نبتعد عن تناول حبوب الملح بانتظام تحت كل الظروف . فقد اتفق الخبراء ان اسهل و افضل طريقة لتعويض الملح فى الجسم ، والذى نفقده بسبب العرق اثناء التريض ، هو ان نتناول ملحا اضافيا فى طعامنا . فالاكثار من الملح يزيد من حدة ارتفاع ضغط الدم ، ويهيج المعدة ، ويخلق نوعا من الخلل والاضطراب فى توزيع الماء فى الجسم .

● ما هى افضل سبيل لاستعادة النشاط بعد التمارين الرياضية ؟

- لا تركن الى عدم النشاط ، ولا تجلس فور الانتهاء من التمارين تمش قليلا .. لمدة خمس او عشر دقائق فان ذلك يساعد فى تقصير المدة التى تستعيد فيها حيويتك .. وتتيح للقلب والدورة الدموية العودة تدريجيا الى حالتهما الطبيعية .

● هل للفيتامينات اهمية تكسب شحنات مفاجئة من الطاقة ؟

- نعم .. وهى ايضا مهمة بالنسبة لطاقة الاحتمال اذ انها تساعد فى عملية تحويل الطعام الى طاقة .

ولكن الفيتامينات فى حد ذاتها لا تحتوى على اية طاقة . وإذا تناول المرء غذاء متكاملا ومتوازنا فان ذلك يوفر لجسمه الفيتامينات التى يحتاجها .

إن تناول الحبوب وحدها لا يمنحك بطاقة اضافية ، كما ان الاكثار من تناول فيتامين (أ) و فيتامين (د) قد يسبب ضررا .

● ما هو مدى اهمية البروتينات بالنسبة للتريض ؟

درج الرياضيون على تناول شريحة من اللحم بالبيض ، وربما كانت كافية لتزويدهم بالبروتين ، ولكن فائدتها بالنسبة للاداء امر مفتوح للنقاش . وفى الواقع يمكن لمثل هذه الوجبة الصغيرة ان تكون ضارة بالنسبة للاداء الأمثل ، إذ ان البروتين هو اقل المواد الغذائية التى يحولها الجسم الى طاقة .. والافضل لتوليد الطاقة فى الجسم هو الكاربوهايدرات والدهون ، ولكن يجب ان تكون نسبة ٥٠٪ من تلك الدهون من اصل نباتى .

● ما دور الكاربوهيدرات فى التمارين الجسدية ؟

- إنها تمدنا بالطاقة بسرعة ومن ثم تقلل من استهلاك الاوكسجين مما يساعدنا فى الانخراط فى تمارين مكثفة . وهى ايضا ذات اهمية كبيرة بالنسبة للتمارين المكثفة ولمدى طويل .

إن الانهيار الذى يصيب عدائى المسافات الطويلة ليس بسبب نقص فى الدهون ، وإنما لأن احتياطى الكاربوهايدرات فى اكبادهم وعضلاتهم يكون قد شارف نهايته . وبالمثل فان الغذاء الذى يحوى نسبة ضئيلة من الكاربوهايدرات يؤدى فى الغالب الى فتور مزمن . ولذا يجب ان نتأكد من ان ٥٠٪ الى ٦٠٪ من الوحدات الحرارية التى نتناولها مكون من كاربوهايدرات ، وخاصة النشويات المركبة كالخضراوات والغلال والمكرونة .

● هل تسبب الكاربوهايدرات الزائدة السمنة ؟

- قطعا لا . ولكن فقط اذا تناول المرء وحدات حرارية اكثر من استهلاكه .. لأن الجسم فى تلك الحالة يحول الكاربوهايدرات الاضافية الى شحم .

● ما اثر التدخين على التريض؟

- إن التدخين المنتظم فى هذه العادة الضارة يظهر انخفاضا فى حجم الرئتين ولذلك اثره فى التريض الخفيف ، ويعوق التمرين العنيف لأن كمية الاوكسجين المتاحة للنشاط العضلى تكون منخفضة

● هل ينصح بلبس زى رياضى ثقيل للتمرن فى الجو البارد ؟

- ربما فى الدقائق الاولى القليلة فقط ، وحتى ينشط التحول الكيمى فى الجسم . ويفضل عداءو المسافات الطويلة ارتداء طبقات من الملابس الخفيفة بدلا من ارتداء قطعة واحدة ثقيلة ، ويخلعون تلك الطبقات قطعة تلو قطعة عندما يصبح الجسم دافئا .

● الا يضر الهواء البارد الثلجى بالرئتين ؟

- يحدث التريض فى الجو البارد نوعا من الجفاف فى الحلق ، وهو امر غير مريح ، وذلك لان الهواء الذى يدخل الرئة بارد وجاف ويمتص الرطوبة من شعب التنفس . ولكن ابرد هواء يصبح دافئا فى الانف والحلق قبل ان يصل الى الرئتين . ولذا فهو لا يشكل مشكلة صحية .

● ما اثر التمرين الجسدية على القلب والدورة الدموية ؟

- إن التريض يؤدي الى خفض ضغط الدم في قمة لحظات الاجهاد ، والى مستوى اقل في نسبة الدهن في الدم – كالكلسترول والترايغليسرايد – مثلا ، والتي تؤدي الى امراض الشرايين – والتريض يطيل المدة التي يتخثر فيها الدم ، ويزيد قدرة عضلة القلب على التحمل ، كما انه يقلل الوزن الزائد والشحم ، وكلاهما يعتبر من العوامل الخطرة بالنسبة لضغط الدم العالي وبعض انواع امراض القلب .

* هل يمكن للتريض ان يعكس او يعوق سلبة الشيخوخة الطبيعية ؟

- إن شخصا يتريض بانتظام هو في الغالب افضل صحة في الاربعين من عمره من ابن العشرين الذي لا يمارس التمارين الجسدية ، ومع ان التريض ليس ينبوعا للشباب ، فان الكثير من كل الاعمار الذين يتريضون بانتظام يستطيعون تحسين قدراتهم على الاداء

الإجهاد وأضراره

تقول الدراسات التكنيكية ان مراقبي الحركة الجوية في المطارات يتلقون الطائرات بضغط دمهم ، وكلما ازدحمت سماء المطار ، ارتفع ضغط دمهم بأكثر من خمسين نقطة فوق معدله العادي . كما ان ثم ابيلوه تعمير . ولكن ادمجهم عددا اكبر من الكمبيوترات المبنية للاعصاب ... مثل الايمبلوز ... ومميزة اخرى ... بشعور عضوية شوحدية من الاجهاد النفسي ... [illegible]

ابرازها ذات صلة وثيقة بالاجهاد . وفي مقالب الاخر كله الى الاصابة بالسكتة القلبية لمن تزوج حديثين ولكن المدهش في الامر ان هذا ... صحيحا كما تتوقع الدراسات التقليدية ، بل بالعكس : ... مراقبي حركة المرور الجوي اكثر صحة من ... اخرى ولكن هذه الدراسة ... الجوية بسيطة ولا ... ما توصلت اليه الدراسات التقليدية .

الاجهاد والاضطرابات

ظل الاجهاد في نظر المختص في الصحة في امريكا هو السبب وراء عدد كبير من الاضطرابات .. ابتداء من الارق وانتهاء بامراض القلب ولذا فالمطلوب من الشعب ان يخلد الى تهدئة النفس وان يتجنب الناس الوظائف والاعمال ذات الصلة بالضغط وان يختاروا اساليب جديدة للحياة .

ولكن الخبراء قد بدأوا يشكون باستمرار في الافتراضات التي طال قبولها والخاصة بالاجهاد النفسي وما يسببه من امراض ... لان تلك الافتراضات لم تتم اقامة البراهين عليها كما يقول د . روبرت رز رئيس شعبة الطب النفسي بجامعة تكساس .

الارضية

كانت الفكرة السائدة هي ان الاجهاد قوة تنخر الجسم حتى ينهار احد الانسجة مثل مفصل من الجلد

المعقد . وقد اتضح الآن ان المسألة اكثر تعقيدا من ذلك ، فالاجهاد ذو آثار خفية ومعقدة على الاندوكرين بالجسم ، وعلى الجهاز العصبي وجهاز المناعة الطبيعية بالجسم ، ولذا لم يعد كافيا ان نقول ان الاجهاد يسبب المرض ، وكأنما هو نوع من البكتيريا .

وقد اخذت الابحاث على ايامنا هذه تركز على معرفة الكيفية التي يسهم فيها الاجهاد بجانب عدد من العوامل الاخرى في خلق الظروف التي تمهد للمرض فتعمة على الجسم .

خصوصية الاجهاد

ان الاجهاد مسألة خصوصية في البيئة والمزاج وما زالت معرفتنا شحيحة فيما يختص بالاجهزة التي تبث بها حادثة ذهنية موجات كالمد والجزر من الهورمونات في مجرى الدم وتغير عمليات نفسية اخرى . ولكن الواضح انها تتباين كثيرا عند الافراد . وقد اخضع بعض من الذين نجوا من معسكرات الاعتقال النازي – وهو اقصى حالات الاجهاد – للدراسة من قبل احد الباحثين ، فاتضح ان ربع الذين اخضعوا للدراسة لم يظهروا اية اعراض جسدية لها علاقة بالاجهاد .

القرحة

كانت التجارب المبكرة التي اجريت على الحيوان في الثلاثينات ، واشتملت على تعريضه للعذاب الجسدي القلبي ، والانهاك ، قد







[illegible]

الفهرت رؤوه افعال مهمة – منها القرحة المعوية . كما ان ابحاثا جديدة يجريها الدكتور روبرت أور من جامعة روتشستر قد بينت ان انواعا معينة من الاجهاد اقل حدة من تلك التي ذكرنا مثل معاملة الناس للفئران ، تؤثر على قابلية الفئران للاصابة بالمرض في ظروف معينة وقد كانت النتائج غير متوقعة . فالفئران التي تقع تحت يد الانسان قبل فطامها تقل لديها حالات الاصابة بالقرحة عندما تكبر – ولايتم ذلك الا اذا حبست في اقفاص مع غيرها من الفئران . اما الفئران التي تولد لامهات تكن في يد الانسان فانها اكثر قابلية للتعرض للاصابة بالقرحة ، ولكن فقط اذا حبست في اقفاص منفردة بعد مولدها .

وكما يوضح ادر فان التجربة المبكرة والبيئة الاجتماعية يؤثران فيما يبدو على قابليتها للاصابة بالمرض وهو يربط ايضا بين نوعية التجربة والامراض . فقد وجد ان الحيوانات التي تحتفظ في مجموعات هي اكثر قابلية لمرض السكر والتهاب المفاصل وداء الشعرية (الترخينة) . اما تلك التي تعيش منفردة فهي اسرع الى التعرض للاصابة بالملاريا والاورام الخبيثة .

الاجهاد والمناعة

وكانت ابحاث اخرى على الحيوان قد ركزت على دراسة علاقة الاجهاد بنظام المناعة في الجسم ، فاوضحت تجارب الدكتور مارفين شتاين من مركز الابحاث الطبية بنيويورك ان الاجهاد في الفئران يمكن ان يسبب انخفاضا في انتاج الليمفوسايت ، وهو احد انواع خلايا الدم البيضاء ، المناط به مكافحة الاصابة بالعدوى .

واوضحت دراسة اخرى ان انتاج الليمفوسايت يقل عند النساء اللائي فقدن ازواجهن حديثا ، ويعتبر علماء النفس اكثر انواع الاجهاد التي يمكن ان يمر بها المرء حدة ، وحالات موت الزوج الآخر هي ضعف حالات موت من هم في اعمارهم . ويمكن ان يكون لكبت جهاز المناعة في الجسم – والذي يغير قابلية الشخص ليس فقط للاصابة بالعدوى وانما للاضطرابات مثل داء روماتزم المفاصل ، هو احد التفسيرات .

الاجهاد وفرط الضغط

اما البحث حول العلاقة بين الاجهاد وفرط ضغط الدم الشرياني خاصة ، فقد قاد الخلط في التعبير في اللغة المعروفة ... الضغط . والى حين ... ان الضغط قد ... ترجمة العبارة الى ... .

وقد ... جامعة ... ان ... الخ . وهو انها تعمل الى تحويل الدماغ عن الاستجابة للمؤثرات غير السارة وفي حالة الاجهاد . فان الجسم ربما يحث عن هذا المخدر الطبيعي ، وذلك بان يزيد ضغط الدم وبذلك يثير منظمات الضغط . ومن هنا يمكن لفرط ضغط الدم ان يكون اثرا جانبيا للاجهاد ، وليس نتيجة مباشرة له .

من التجارب التي اجراها الدكتور روبرت روز وزميلان له وبامت ثلاثة اعوام اتضح ان فرط ضغط الدم عال بين ٤١٦ ضابطا للحركة الجوية الذين ترسم لهم يتراوح بين ضعفين وثلاثة اضعاف ما هو عليه بالنسبة لمن هم في عمرهم من الرجال ، ومع ذلك فان حالات المرض عندهم ليست اكثر مما هي عند غيرهم ، وهو الامر الذي لم يكن متوقعا ، وفي الحقيقة ، فان نسبة الامراض الخفيفة كنزلات البرد مثلا هي اقل بينهم مما هي عليه عند غيرهم . اما السبب الذي يؤدي الى زيادة حالات المرض النفسي والجسماني بينهم فهو موقفهم من عملهم . الا ان من ظهروا عدم رضا بعملهم كانوا اكثر اصابة بالمرض ، كما يقول الدكتور روز .

وسائل مهدئة

ان حدة الاجهاد ، فيما يبدو ، هي اقل اهمية من الطريقة التي تعالج بها . فقد اتضح ان الفئران تكافح ... بالسيمة التوصيلة اذا ما ... للتحكم في توقيت الصدمة . واهمية التحكم ... تعد ... مع الحماة ... التدريب ... في المستويات العليا ... بدرجة عالية بنسبة ٤٠٪ اقل من المديرين في المستويات الوسطى في نفس الاعمال . اما الذين لاقدرة لهم على التحكم في المواقف التي يجدون انفسهم فيها فان الوسائل المتاحة امامهم هي خداع النفس ، والابتعاد عن الآخرين ، واللجوء الى حمى العقيدة الدينية او تناول العقاقير المهدئة .

وقد اشتهرت هذه الوسائل بسمعة سيئة لدى كثير من الاطباء النفسانيين . ولكن فوائدها ينبغي الا تبخس حقها كما يرى الدكتور ريتشارد لازاروس الذي يعتقد ان لب مشكلة الاجهاد هو القدرة على المواجهة . وكما يقول فان قليلا من خداع النفس يمكن ان يكون ذا فائدة للفرد ويورد ان دراسة حول من اصيبوا بنوبات قلبية اوضحت ان من مارسوا قدرا من الانكار لما وقع لهم كانوا اسرع الى البرء من اولئك الذين حرصوا على تأكيد مرضهم .

وليس المراد من هذا ان نخدع انفسنا دائما وانما لانه ثبت ان لتخفيف الآخر على النفس فائدته .

الاعترابات

ويرى بعض الباحثين ان المفتاح لعلاج الاجهاد هو تقوية الاواصر العائلية والاجتماعية فاذا ما ضعفت تلك الروابط ، كما في حالة الطلاق مثلا ، فان حالات امراض القلب والامراض المعدية ، كالسل مثلا تميل الى الزيادة .

ويمكن للوحدة ان تكون قاتلة كما يرى جيمس لينش من جامعة ماريلاند ، وهو يرى ان ارتفاع معدل حوادث فرط ضغط الدم بين الرجال السود في امريكا ، والذي يعزو عادة الى اسباب وراثية ، ربما كان بسبب الاغتراب الاجتماعي .

ومع عدم وجود دليل يثبت ان الاجهاد يؤدي الى المرض ، فان هناك من الامور ما هو كفيل بالحد منه . فاطباء العلاج الطبيعي يجربون الآن استخدام التأمل والاسترخاء المنتظم او اسلوب تطوير التحكم الواعي في عمليات حركة الجسم .. كضغط الدم مثلا .

ضرورة الاجهاد

ان الاجهاد لن يزول من وجه الحياة ، ولاينبغي له ان يزول ، فالتجارب والمواقف الحادة جزء لايتجزأ من الحياة . فاذا ما نشأ الاطفال محرومين من تلك التجارب ، فانهم لامحالة يفقدون فرصة تطوير اساليب القدرة على التعامل مع الحياة .

ان التحدي الذي يواجهنا هو ان نفهم كيف يتفاعل الاجهاد وعوامل اخرى تؤثر على صحتنا ، وقد بدأ العلماء يتلمسون دربا الى بعض الحلول لتلك المشكلة .

د. حسين مؤنس

صلاة المغرب حاضرا..



المؤذن يرفع الأذان لصلاة الظهر. الساعة الآن الثانية عشرة إلا قليلا. الشيخ حسن سالم عبد الواحد جالس على هذا الكرسي الخشبي المتهالك في غرفة الانتظار من الثامنة والنصف صباحا ينتظر سعادة المدير. قال له الفراش عم رجب إن المدير يأتي مبكرا فأتى مبكرا جدا. ثلاث ساعات ونصف وهو في جلسته تلك حتى تعب منه الكرسي وتعب هو منه. هل يصلي الظهر أم ينتظر المدير؟ استقر رأيه على أن ينتظر المدير فإن موعد الصلاة ممتد إلى قرابة الثالثة بعد الظهر أما المدير فمن الممكن أن يأتي في أية لحظة. لم يسترح لهذا القرار فإن داعي السماء مقدم على ما عداه، ولكن هذا حال الدنيا. والله سبحانه وتعالى غفور رحيم أما سعادة المدير الحالم فلا يعرف الرحمة أو الغفران.

ولكن عم رجب الفراش يستأذن ليصلي الظهر، ورجب هذا هو الخيط الممدود بينه وبين الأمل، إنه هو الذي سيقدمه للسيد المدير. وما دام رجب ذاهبا للصلاة فلا مقابلة مع المدير. إذن فليذهب للصلاة ليكون قريبا من خيط الأمل. من الصباح وهو يعطي رجب سيجارة بعد الأخرى حتى بلغ ما أعطاه تسع سجائر. هذا استثمار محترم لا ينبغي أن يضيع هباء. ليذهب للصلاة إذن فالصلاة هي البقية.

حمل سقطه ومضى خلف رجب. السقط مليء بالطعام: هنا دجاجتان وبيض وجبن وخبز ومخلل. كان في نيته أن يتركه بما فيه للمدير فيز يلميله وهو يحب هذه الخرائف.

* * *

وصلى الظهر في المسجد القريب من الإدارة صلى بغير وضوء حتى لا تفوته الصلاة مع رجب. زعم لرجب أنه لا يخرج من بيته إلا على وضوء ليرتفع مكانه في عينيه. سيغفر الله سبحانه وتعالى ذلك له أيضا. فهو سبحانه أدرى بالحال: والولد ابنه مقدم للتحقيق لأنه متهم بالاختلاس من صندوق الادخار في الإدارة التي يعمل فيها في المحلة الكبرى. الأولاد هذه الأيام كوارث وهموم ومتاعب ومصاريف. وقد أتى إلى هنا لكي يرجو المدير بأن يكتفي بطلب رد المبلغ وإنذار الولد فهذه هي خطيئته الأولى. الحقيقة أنها لم تكن الأولى ولا الثانية ولا الثالثة فإن هذا الولد لم يفعل في حياته إلا خطايا. وملفه في الإدارة المركزية في لون الهباب: كله إنذارات وخصومات ولكن مدير عام إدارة العاملين وهو الذي سيقابله الآن رجل هائل يستطيع الكثير بما يريد والملفات بين يديه وتحت رحمته، يمكن فيها إذا شاء ويمحي عما فيها إذا شاء. وما دام الولد سيرد ما اختلسه فماذا تستفيد الدولة من حبس المتهم أو فصله لكي يتحول إلى لص عتي بعد ذلك.

قال رجب قد الله له ذلك. وكان هو قد وعد رجب بحلاوة محترمة إذا تم الأمر على هذه الصورة. كان قد سمع أن رجب يفعل المعجزات والكرامات كل يوم. ولكن معجزاته وكراماته تتوقف على أحجام حلاوات تليد المؤمنين به،

وهو الشيخ حسن سالم عبد الواحد — قد ضمن حشو حافظته. وأخرجها مرة بعد الأخرى وهو يقدم السجائر للسيد رجب العظيم. ولمح رجب الحافظة ورق قلبه ومضى يستميله حتى يأتي سعادة البيه المدير.

* * *

بعد الصلاة عرف أن البيه المدير ذهب للحج وأن يأتي لا اليوم ولا بعد شهر. هكذا ألقاها رجب على بلاطة بعد الصلاة وهما جالسين ظهريهما إلى جدار المسجد وفي جوارهما سقط الزاد والزواد.

وقال رجب:

— بيني وبينك، المدير لا يصنع شيئا، محسوبك يفعل كل شيء.. لقد خففت على قلبي منذ رأيتك ورأفت بحالك وقررت أن أقضي لك حاجتك وما دام أخونا في الحجاز فإن كل شيء ممكن، والإدارة تتكون في النهاية من السيد المدير والسيد الفراش. وما عدا ذلك مكملة عدد.

وقال الرجل:

— الله يعمر بيتك يا حاج رجب ويزيدك من نعامه أنا في عرضك، واطلب ما تريد.

— ذلك يتوقف على الملف. إذا كان رهيبا مليئا بالمصائب فربما لن نستطيع شيئا، ولا يقدر على القدرة إلا الله سبحانه وتعالى. على أي حال لن تخشى أن ... ...

— ولكن السيد المدير...

— ... قلت لك ... ... إذا ... ... ولكن ... ... السقط ... ...

— وسعادة البيه المدير

— السقط ... جدا ... إنه ... ...

فقال له رجب

— هات السقط وتعال.. سننتظر في غرفة الانتظار حتى ينصرف الناس، ثم نتغدى بهذا السقط ثم نرى.

* * *

وانصرف الناس وخلا المكتب وقال رجب لمساعده أو زميله محمود سعفان الفراش مثله:

— اذهب أنت يا محمود فسآخذ أنا نوبة الظهر والمساء.. لا أريد أن أرى وجه «الحرمة» اليوم. شربتها وشتمتني فأقسمت ألا أعود إلى البيت اليوم.

وقال الفراش:

— أعانك الله على هذه العقرب..

فرد رجب:

— وأعانك أنت على الحيتين في بيتك

وكان هذا الفراش الثاني محمود سعفان متزوجا من اثنتين وضعهما في مسكن واحد. فهو لا ينجب. وكان أمله عريضا في الثانية، ولكن الأول حلف وقال عقرا. تحدث المراثي عليه.

وأقفل الحاج رجب الفراش الباب وفتح السقط وأقبل يلتهم يلتهم كل شيء كأنه لم يأكل من أسبوع.. أكل دجاجة كاملة وثلاث بيضات وجبنا ونصف الخبز، وأكل معه صاحبنا أكل المقتصد. ثم أعطى رجب السقط وحمله بما بقي فيه، أصبح

ملكه وقال الشيخ حسن سالم عبد الواحد

— ورائي.

— إلى أين؟

— لا تسأل: ورائي ولا تتكلم

* * *

كانت الساعة الرابعة بعد الظهر عندما انحدر إلى الدور الأرضي في الإدارة الخشبية الواقعة خلف المبنى الرئيسي للوزارة. هذا المبنى العتيق خال الآن من الناس تماما.

لقد أخذ رجب نوبة بعد الظهر من زميله ولم يعد هناك خوف من أن يمر أحد. هناك شاويش الحراسة ولكنه دائما هناك عند مبنى الوزارة.. إنه نادرا ما ينظر إلى هذا المبنى العتيق وإذا حدث وأتى فإن سيجارة تعيده إلى مكانه. وإنه يعرف عم رجب. كل الناس يعرفون عم رجب. هبطا سلالم كثيرة وانتهيا إلى باب. أخرج رجب حلقة مفاتيح وفتح الباب. بيده مفاتيح الإدارة كلها.. هذا باب الأرشيف. هنا الملفات كلها — بعد انصراف الموظفين يبدو مخزن الأرشيف وكأنه قبر فرعوني عقب زيارة لصوص.

كانت النوافذ مغلقة والظلام دامسا. أدار عم رجب مفتاح النور وانتشر في القاعة الواسعة ضوء باهت ينبعث من مصباح عجوز.. على الضوء الباهت الكابي رأى الرجل منظرا رهيبا. دواليب تغص بالملفات. كل شيء مغطى بالتراب كأن هذه الغرفة أغلقت من أيام تحتمس الثالث. وأثناء انسياق الشاغل تراءى في أذنيهما أذان العصر فقال رجب:

— صلاة العصر قبل كل شيء.. إلا وأنت على وضوئك يا حاج..

— أنوه يا حاج رجب:

— أما أنا فمتوضئ دائما.. لا أخرج من بيتي إلا طاهرا.. وإذا نقض الوضوء أسرعت فجددته. هذه سنة.

وبعد لحظة صمت قال لصاحبه:

— نصلي العصر.

— على بركة الله.. وفي خشوع صليا العصر.. قام رجب بدور الإمام..

بعد الصلاة أشعل رجب سيجارة وقال:

— هذه هي ملفات الوزارة. ثم ضحك وقال: تصور يا سيد أن هنا ملفات العاملين جميعا من الوزير إلى الخفير.. كل ملف هنا بالتمام.. كلنا هنا ملفات. كل موظفي الوزارة ملفات.. أليس هذا شيئا مضحكا أن تكون في هذه المقبرة أسرار الوزارة كلها.. هنا لابد أن يكون ملف ابنك. الشيطان نفسه لا يعرف كيف يستخرجه. مدير الأرشيف لا يستطيع أن يستخرج ملفا إلا بعد أيام.

— إذن من يستطيع؟

— رجب.. محسوبك رجب.. إيداد على ثلاثين جنيها..

وتردد الرجل. فقال رجب ثابتا كالجبل واثقا من أن الجنيهات التي طلبها ستصير إليه. وأخرج الرجل الحافظة وناوله الثلاثين جنيها وهو مبهور وسأل رجب:

— تقول إن ابنك كان هنا في الوزارة قبل أن ينقل

الى الارياف كلها هي حسنات الاطباق في المديرية ؟

ـ قليل .. مثل من هنا في شبشير ونحن الآن في ذي الحجة ..

ـ وفي هذه المدة القليلة استطاع ان يختلس .. إنه انه مجوم اصيل .

والتفت رجب :

ـ في اية ادارة كان ... ؟

ومد الرجل في جيبه واخرج ورقة ناولها لرجب وقال :

ـ خذ هذه الورقة ... فيها وظيفته وعمله ..

ونظر رجب في الورقة فلم يرى شيئا .. فسار حتى اصبح تحت المصباح الكابي والخرج النظارة ومسحها باصابعه ثم بمنديله القذر ثم قال :

ـ محمود حسن عبد الواحد ... هذا اسمه ؟

ونظر رجب في الورقة وقال :

ـ الوظيفة مساعد في قسم المقابلات ..

ـ هذا كان عمله هنا قبل ان ينقل الى المحلة .

ونظر رجب الى تلال الملفات ، ثم اتجه نحوها والى هنا وهناك .. انطلقت اسراب الصراصير تجري هنا وهناك .. رجب لا يخشى الصراصير .. إنه يربيها في رفق .. كان يبحث كانه حلوى من الرقاعية يستخرج ثعبانا من بيت .. بعد نصف ساعة اتجه الى ركن وتناول ملفا وقال :

ـ هنا ملفات الثلاثينات .. بسم الله الرحمن الرحيم

ـ يامعين .. بعد نصف ساعة اخرى اخذ ملفا واقرا ..

ـ محمود حسن عبد الواحد .. هذا ملف ابنك ..

ـ الحمد لله .. ما اكرمك يارجب ..

ـ ووضع رجب الملف تحت ابطه والتمس سيجارة وقال :

ـ ابدأ على ثلاثين جنيها اخرى ..

ـ ليس معي إلا عشرون ..

فكر في وقاحة :

ـ ارني المحفظة ..

وناوله المحفظة بكل ما فيها ..

ـ دع لي عشرة جنيهات ابيت بها حتى اعود الى البلد .

فاعطاه رجب عشرة جنيهات والمحفظة الخاوية ودس الباقي في جيبه وهو يقول :

ـ تصدق بالله .. هذه النقود اجمعها للعمرة .. إنه تقليد في اسرتنا : نحج مرتين ونعمل ثلاث عمرات .. إلى الآن اتممت الحجتين وعمرتين .. بقيت العمرة الثالثة .. انت عملت الآن عملا يحسب لك حسنة .. وانا ايضا ساعمل لك خدمة إنسانية والناس بعضهم لبعض .. تعال ياحسن انت رجل طيب وربنا يحبك .

وجلس رجب على الارض تحت النور .. واخذ يتصفح الملف .. ثم نظر الى الرجل وقال :

ـ هذا ملف قاطع طريق .. هذا لا امل في اصلاحه

ـ في عرضك ياعم رجب ..

ـ ثلاثة انذارات .. غياب متكرر بدون إذن وخصم من المرتب .. ثم هذا الاختلاس المهيب ..

ـ في عرضك ياعم رجب ..

ـ لوجه الله .. تعال معي ..

سار رجب والرجل وراءه منبسط في بدنه كانه غلام يسير خلف كاهن عظيم .. اخرج الكاهن حلقة المفاتيح وانتقى منها واحدا وفتح بابا ..

هذه غرفة مدير الارشيف ..

جلس رجب على مكتب المدير واضاء مصباح المكتب ، وفتح الادراج واخرج اختاما واوراقا وقال :

ـ ما رايك في ان نعمل لابنك ملفا جديدا .. التوقيع هنا لا ينفع .. سنحتفظ بالغلاف وشهادة الميلاد وامر التوظيف ثم نعيد باقي الملف .. علمتني التجربة ان التوقيع لا ينفع .

وقال الرجل :

ـ ما رايك في ان تطهر الملف تماما ... ؟

ـ يا عبيط ... في هذه الحالة تدخل ادارة الارشيف كلها في سين وجيم .. وتتعلق مسالة ابنك حتى يعثروا على الملف الضائع ..

وجعل هو رجب يعمل كانه كيميائي يحضر تحوية .. يطيل النظر في كل ورقة ثم يمزقها او يعمل فيها .. قد يضع اخرى مكانها .. كان يعمل في ثقة وصبر وخبرة ..

مسح كل السيئات .. لم يبق في الملف إنذار واحد ولا لفت نظر ولا جزاء .. مقابل كل ورقة وضع رجب ورقة اخرى اخرجها من الادراج وملاها وختمها ومسحها بالتراب لتبدو قديمة .. استغرقت العملية اكثر من ساعة حتى نعس الرجل وهو جالس .. ثم اعاد رجب تركيب الملف ورقة ورقة ثم نظر الى الرجل الناعس على الارض وقال :

ـ انتبه يا [illegible] ..

وبدأ [illegible] عن الامور له الرجل ..

ـ [illegible]

[illegible] الاخير ..

ـ [illegible] رجب [illegible] ان [illegible] ..

ـ [illegible] يا عم رجب ..

[illegible] يطلب [illegible]

لابنك ؟

وصمت الرجل :

ـ في عرضك يا عم رجب دع الولد في حاله .. كفاية كده .. الولد سيرته كالهباب ولو طلبنا له مكافاة سينكشف الموضوع .. ماذا فعلت في اوراق التحقيق معه ؟

ـ مضى وجمعها على مكتب مدير الارشيف والشرت عليها بالحفظ والاكتفاء برد المبلغ وتوجيه لفت نظر ووضعتها في الملف .. وبذلك يكون الموضوع قد تم .

وقال الرجل :

ـ ولكن الناس ينتظرون قرار الوزارة ..

ـ اية وزارة يا سيد ؟ .. هذه بوابة بدون بواب .. ها انت ترى : مدير الادارة ذهب للحج ولن يعود قبل شهر ، ووكيل الادارة مريض في بيته وقد اعطوه اجازة طويلة ، ووكيل الوزارة المساعد ذهب في مهمة الى الخارج .. للتوقيع على عقود وتجهيز المحروسة ابنته التي ستتزوج إبن الوكيل ، ومدير الارشيف سيحال الى المعاش بعد شهرين ووكيله ذهب الى الحج مع مديرنا .. هذه دنيا لا يعلم بها إلا خالقها .. فهل في هذا كله سيفكر احد في امر ابنك الذي سرق ثلاثة تعريفة .

ـ إذهب انت وقل لهم ان الوزارة تدرس الموضوع وستوسل إليهم القرار ..

ـ ولكن هذا القرار لن يصل ؟

ـ طبعا لن يصل .. وبعد شوية ينسى الناس الموضوع كله ويواصل ابنك العمل كان شيئا لم يحدث .. هذه طريقتي في معالجة هذه المسائل ..

ثم سكت قليلا وذهب الى المكتب وجلس إليه وكتب شيئا في ورقة وناولها للرجل وقال :

ـ خذ .. قل لهم هذه هي تاشيرة الوكيل نقلها لك واحد غير منك من واقع الملف .. إنها تقول حرفيا (يقرا) بعد الاطلاع على التحقيق تقرر ان يكتفى برد المبلغ وتوجيه لفت نظر للمذكور (الامضاء : وكيل الوزارة) ..

وناول الورقة للرجل وقال :

ـ تصدق بالله ياشيخ حسن .. ما في هذه الوزارة إلا العبد لله .. كل شيء اعمله بدقة واحكام ولو كان معك مئة جنيه لعملت قرار ترقية ..

ثم اعاد النظر الى الملف وجمع كل ما نزع منه من اوراق وناولها للرجل وقال :

ـ هذه تحرقها .

ثم اخذ الملف ومسحه بالارض ليبدو وكانه بدا لم تلمسه من شهور ، ووضعه حيث كان وقال :

ـ يالله يا حراسير الارشيف .. عودوا شغلكم ..

ومشى والسقط في يده والرجل خلفه .. قبل ان يخرج تاكد من انه لم ينس ورقة او شرلة الا واطفا الانوار كلها ثم اغلق الباب بالمفتاح وضعها الى خلف الارض وخرجا الى الشارع .

وقال الرجل :

ـ يعني .. اطمئن ياعم رجب .. ؟

ـ عيب يا رجل .. معك كل ما يمحو أي اثر لما فعل إبنك وعندك بالخيرة وكيل وزارة تساوى الف جنيه ...

واشعل سيجارة ثم مضى يقول :

ـ اسمع ياشيخ حسن بعد ان نفترق الآن لا انا اعرفك ولا انت تعرفني .. إياك ان تقول لاحد إنك رايتني او عرفتني .. إذا سالوك عنك قل ان رجلا من مكتب الوكيل هو الذي اطلعك على قرار الوكيل ونقله لك على هذه الورقة ليطمئن قلبك حتى يصل القرار رسميا الى المحلة .

انت لا تعرف اسم هذا الرجل .. وإذا سالوني عنك فانا لم ارك في حياتي ولا اعرفك .. بهذا وحده تنجح المسالة .. حذار ان تفتح فمك الكبير هذا وتقول شيئا .. فهمت ؟

ـ نعم فهمت ..

ـ ماذا فهمت ؟

ـ إنك صاحب فضل وربنا يعمر بيتك ..

ـ وانت ربنا يخرب بيتك .. الم اقل انك حمار ؟ حمار .. يا بلدي مع انك لك إنني لا اعرفك ولا تعرفني انت لم ترني وانا لم ارك .. فهمت ؟

ـ ايوه .. الآن فهمت ..

ـ دنيك على جانبك .. لقد حذرتك

ـ ربنا يستر ..

ـ خليها على الله ..

وسلم الرجل واراد ان ينصرف .. ولكن رجب ناداه وقال :

ـ الا تصلي المغرب يا رجل ؟ لقد وجبت من دقائق .. ان المغرب جوهرة يلتقطها من يصليها في وقتها .. تعال نلتقطها قبل ان تفوت .. وسار الاثنان على مهل نحو الجامع ..

رجب يحمل السقط في جيبه والرجل منكس ذليل يسير خلفه خلف العنين والحيب ودخلا المسجد ووقفا في الصف خلف الامام .





الوفــــاء لذاكرتنــا

يقول شيخي المجذوب - متعه الله براحة البال ويسر الحال والعافية - يقول ما يفيد بأن القديم وحده لايجدي، والمحدث وحده لاخير منه. وجماع ما يختزنه الفكر من أصالة، وما يحققه لنفسه من معرفة تتصل بعصره هو ما ينجز إضافة ثقافية جديرة باعتبارنا.

إن رؤوس الفكر لايمكن تكرارها، ولكن استدعاءها معلن، والتشبع بالثابت والمتحول من رؤاها ميسر، وتجاوزها ضرورة، حتى يتم تمكين جدوى اتصالنا بها، ومعرفتنا لها ونمونا بدءا منها نحو تمس الفكر بكر.

إن الحساسية الثقافية المعنية في بيانات تلك المشيعة يحتم هذا العصر دون اغفال للمضي هذا الزمان ومشاغل ومتاعب وافراح ونضال اتسم بها العصر، ويحمل في أوطاننا زمان تحول كبير في الاخلاق والعلاقات، ويتحدى في نوعية المشاعر والافكار والقيم، لايفيدها كثيرا أن تكرر الماضي، ولايحسن بها أن ترابط عند التقليد الأعمى المنقول عن آخرين، يومها هو يوم كريهة الابداع ووحشة منفى الإيمان بضرورة تغيير وجه الحياة لتنبيه الغافلين عن قيم الانسان والحياة.

إن الموقف الأصيل تجاه الموروث الانساني يؤكد أن الشجرة الحصيفة لاتنحني لالتقاط ما سقط عنها من أوراق بل تعتمد الجذور المخصبة الحية لتثبت في وفاق مع الشمس والموسم والرياح المخصبة ما يجنوها مثمرة .. معطاءة.

لقد فتح علم الوراثة والابحاث الجارية فيه الآن بابا علينا أن نتدبر انطلاقا منه موقفنا من مسألة التراث والتقليد الفكريين العربيين.

فالموقف الفكري العربي في بداياته المشرقة قد اتسم بتفهمه العميق للحوار والاخذ والعطاء وفق منطلقاته السمحة، وكان سريع التعرف على ما يغذي قناعاته - جذوره فافاد من علوم نشأت في غير تربته، ولقح علوما ومعارف زكت في وعي غير أهله، والحر علوما تغذت بها جذور القدرات الفكرية والعلمية عند غيره.

ولذا فان البحث عن الهوية الفكرية والثقافية لابداعنا لم يعد مجديا في منطق الحفاظ على ما تم انجازه، أو من اندفاع نحو هجره ونبذه، والانحياز لشكل أو آخر من ذلك الكم الهائل مما يظن بعضنا بابرازه كنتاج انساني رائع لانكتم فرحنا به لاتصاله بعصر الطاقة الكبرى وثورة المواصلات والسيبرنتيك والانطلاقة غير المحدودة عبر الأكوان لمعرفة أصل الوجود الفكري والجيني للعالم.

طويل مدخلي الى ما أريد الاشارة العابرة اليه: أزمة التوزع بين الاصالة والتجديد.. والبحث عن مهارة ابداعية تفضي بنا الى تجويد ما يترجمه المثقف العربي في الخمس الأخير من القرن العشرين ميلاديا.

لقد انتقد بما فيه الكفاية التراث دون أن نجتهد قليلا في الاشارة الى استحالة ذلك، لايمكن لفعل خارجي ارادي أن يقدم لنا أو يلغي:

إن ما لدينا هو ثمرة ذلك التراث الذي نبغي احياءه.. هو تلك الشجرة بالتراث.

ربما لم يرشدنا ما صالح أعيننا حين نظرنا ملامحنا وتداخلنا في مرآة العصر، أي عصر التكنولوجية كما يقول المتكسبون من وراء نقلها الى العالم الثالث، ربما نسينا أن هذه النعمة - الآلة الحديثة هي نتاج دهور من الصراع والاستغلال والاستلاب مارسها جزء معين من العالم ضد بقية شعوب وحضارات العالم.

وهذه الحقيقة نفسها تنطوي على كوننا شاركنا - ايجابا وسلبا - في صنع العالم الحديث بكل ما يفاخر به غيرنا من انجاز في مختلف المجالات. وإن كنا ننكر بعض قواعد ومظاهر ما انتهى اليه ذلك الانجاز فذلك لاننا - دون وعي بصير - نحس بأن البناء الفوقي والأثر النهائي لمردود ذلك الانجاز لايمت الينا بصلة، وإن عصارته في التحليل الأخير لاتحمل لشعيرات جذورنا الرحيق الذي يغذي شوقها الى الشمس والطلع الطيب.

وإن كنا نبرمج للتحديث عوالمنا للتكيف مع طفرة التقدم في هذا المجال لكي لانوصم بأننا غير متمدينين، فذلك لن يعفينا من الانتباه الى ذاكرتنا وذاكرة خصائصنا، وذاكرة الأشياء فينا.

إن احياء الذاكرة والانجذاب نحو بؤرة حقيقة تكويننا هو ما ينبغي أن نستهلك أوقاتنا فيه للوفاء لأنفسنا بحقها في فسحة من النقاء في زمن التلوث الحضاري المعاصر وضروب استهلاكه الفارغة.

نعمان عاشور

لقاء مع

محمد مندور

القلم المناضل

زهد مندور في الحياة الأكاديمية الجامعية بعد أن جذبته الحياة العامة والكتابة الصحفية

بعد حصولي على شهادة البكالوريا وهي مايعادل حاليا في شهادات التعليم عندنا ما يسمونه بالثانوية العامة .. صمم والدي رحمه الله أن يدخلني كلية الحقوق .. وبالفعل صحبني للقاهرة وقدمت أوراقي لالتحق بها وادرس القانون وأمضيت بضعة أسابيع في الحقوق كانت من أتعس أيام حياتي التعليمية .. ولأني كنت أقيم بالقاهرة وحدي وأقطن في الجيزة مع بعض التلاميذ من أبناء بلدنا .. أتيح لي أن أعتقه بالسيد من العاملين بالجامعة .. جامعة فؤاد وكانت هي الجامعة الوحيدة في القطر كله وذات مساء جلست احتسي الشاي على الرصيف الواسع لقهوة عبدالله الشهيرة .. وكان يجاورني مسجل كلية الآداب الذي يقطن في نفس الشارع الذي يقع فيه مسكننا .. وكنت قد لقيته أكثر من مرة وأنا أشتري حاجياتي من البقال وكان يعرف أنني من طلبة الجامعة الجدد ولكنه لايدري أنني في كلية الحقوق .. أيامها كان عددنا قليل جدا .. لايتجاوز مائة طالب جديد في كل كلية .. ويبدو أن الرجل لاحظ على الوجوم والحزن وأنني أفرط في التدخين .. واقترب مني ولكنه لم يحاول أن يسألني عن كليتي وإنما عن البلد الذي أتيت منه فقد كان من الواضح أنني لست من أبناء القاهرة .. واتضح أنني جئت من بلد قريب لقريته وأنه يعرف عمي وبعض أقاربي وفي الحال ربطتنا صداقة مفاجئة .. كان من نتيجتها أنه راح يستكشف سبب حزني ووجومي وسر تعاستي ..

الظل الوارف لطه حسين

كانت المفاجأة الأولى حين عرفت أنه مسجل كلية الآداب .. والمفاجأة الثانية أنه من أقرب المقربين لعميد الدكتور طه حسين وفي الحال صارحته بما أعانيه فقد أجبرني والدي على دخول كلية الحقوق ودفع لي المصاريف وسجلت وأصبحت طالبا فيها .. ولكني لا أطيق الجلوس إلى مقاعدها والاستماع لمحاضرات الأساتذة فيها .. فأنا لست صاحب عقلية قانونية وحياتي وكل أمالي معلقة بدخول كلية الآداب .. وأخذ الرجل الطيب الكامل والسند [illegible] الذي [illegible] في كلية الحقوق يطلب أن أقاعد مباشرة في كلية الآداب .. [illegible] في صباح اليوم التالي [illegible] إلى مكتبه [illegible] [illegible] [illegible] سجل كلية الحقوق وقدمته عمي ومن حسين وحصل الله على [illegible] العلوم المختلفة في شهادة البكالوريا وأخبرني أنها تتناسب مع وجودي أو على الأصح التحاقي مباشرة بكلية الآداب خاصة بالنسبة إلى درجات اللغات والفلسفة والتاريخ .. وأنه فليس هناك عقبة وأن في إمكانه تحويلي للآداب لكنه لايستطيع إلا إذا حصلنا على موافقة والدي .. واسقط في يدي فشاب أملي من جديد ولكني لم أيأس فأفهمته بأنني سأقدم على تحويل أوراقي ثم أخطر والدي فأنا لست صغيرا وهذا هو مستقبلي .. وأذكر أنني بكيت .. كان الرجل في غاية الطيبة والسماحة فربت على كتفي في حنان وقال إنه سيتحمل المسئولية أمام والدي مستعينا بعمي الذي يعرفه والذي كان زميلا وصديقا له في الدراسة الابتدائية بمدرسة بلدنا .. ثم تركني إلى الغرفة المجاورة ولكنه لم يغب طويلا وسرعان ما عاد وأخذني من يدي فإذا أنا وجها لوجه داخل الغرفة التي يتصدرها مكتب العميد .. الدكتور طه حسين يسألني لماذا أريد أن التحق بكلية الآداب وماهي الكتب التي قرأتها من كتب الأدب كانت مبادئة مذهلة ولكني لم أتلعثم فلما أنهيت إجابتي قال طه حسين كلمته الحاسمة التي قالها والتي لم أنسها طوال عمري .. يقبل فورا بين طلبة الكلية

نصيحة مندور

على ضوء هذا الاستطراد أدخل بكم إلى لقائي بمندور .. ففي العام الثاني مباشرة من التحاقي بالآداب كان المرحوم الدكتور مندور أو الأستاذ محمد مندور لأنه لم يكن قد حصل على الدكتوراه بعد .. كان يدرس لنا الترجمة من الانجليزية إلى العربية وقد اختار لذلك المرثية الشهيرة للشاعر جراي وكنت أنا كثير الكلام وكثير الشغب .. فلما انتهت الحصة استبقاني أمام المنصة لينصحني لا بأن أكون أكثر هدوءا ولا بأن أكون أكثر طوعا .. ولكن بأن أسارع إلى ترك كلية الآداب والالتحاق بكلية الحقوق لأنني أستطيع أن أكون محاميا ولايمكن أن أصبح مفكرا أو أديبا .. ذكرته بذلك بعدها بسنوات فضحك ساخرا وكشف لي سبب نصيحته فقد كان هو نفسه طالبا بالحقوق وقد أرسل في بعثة لدراسة القانون ويحصل على شهادة تبيح له اشتهان المحاماة ولكنه وبفضل طه حسين أيضا مدت له البعثة في باريس بعد لمدن لدراسة الآداب .. غير أن وقوع الحرب العالمية الثانية اضطره للعودة إلى مصر وقطع البعثة هو وعدد لابأس به من المبعوثين كان بينهم .. الدكتور علي حافظ والدكتور محمد القصاص وغيرهما .. وكانوا مجموعة من الشبان الجدد أخذت العالهم كمعيدين بكلية الآداب بضغط من طه حسين وفي مقابل أجر بالحصة إذ لم تكن خصصت لهم درجات في ميزانية الجامعة .. أحدث دوياكبيرا في الدوائر الإدارية بالجامعة .. فعاشوا في



محمد مندور

سنواتهم الاولى اقرب الى الطلبة منهم الى الاساتذة واندمجوا بالفعل فى الحياة الطلابية سيما وانهم كانوا يعيشون معنا فى نفس المساكن والحجرات بحى المنيل والجيزة

صديق واستاذ

وهكذا عرفت مندور صديقا اكثر منه استاذا .. وكان مندور هو الوحيد بينهم الذى لم تسعفه الاقامة فى باريس للحصول على درجة الدكتوراه فى الآداب .. ذات مساء فوجئت به يجلس بيننا فى مقهى عبدالله بالجيزة ويشارك معنا عشاءه من سندويتش الفول والطعمية .. ثم يدعونا انا والصديق الراحل انور المعداوى لزيارته فى منزله . وكان قد وقع على شقة فى الدور الأول بعمارة جديدة على الشارع الرئيسى الذى يسير فيه الترام بجوار حديقة الحيوان .. كان ايجارها ثلاثة جنيهات ولكنها تقع فى المنطقة الارستقراطية من الحى .. ولم يكن مندور يكبرنا الا بسنوات قليلة او هكذا كان يبدو لنا بشخصيته وبساطته وكأنه زميل وليس استاذا يدرس لنا فى الجامعة بل اكثر من ذلك انتى كنت دائما وفى هذه السنوات الباكرة التى عرفته فيها استغرب ان يكون قد عاش فى لندن وباريس .. وهو على ما هو عليه ريفى كأنه لم يخرج من القرية التى ولد فيها بالشرقية وكذلك استغرب حين اسمعه يتحدث بالانجليزية او الفرنسية لانه كان ينطقها بلهجة فلاح أصيل .. وكأنه تعلمها فى كتاب القرية ولم يدرسها فى السوربون او السوربون .

الشعر المهموس

شىء آخر عن مندور فى تلك الفترة .. انه كان يحب المناقشة وكثرة الحوار كما لو كان يريد أن يعرف ما فاته معرفته عن خبايا حياتنا الثقافية والاجتماعية اثناء غيابه فى

بدأ أنشطته الأدبي بصحفى الوفد ... والثقافة ، ثم شغف بدراسة الشعر المهجري ... ومن خلال كتاب الشعر المهموس ، الذي أحدث ... الحديث

الخارج بوصفنا اكثر منه احتكاكا بالبيئة .. وفى تلك الفترة ما بين اعوام ١٩٤١ الى ١٩٤٥ ورغم الاحكام العرفية واستمرار الحرب العالمية .. بدأت تظهر فى مصر دعوات عصرية جديدة وجريئة تتبلور فى جماعات مختلفة تنادى جميعها بالاشتراكية وكان مندور مضطرا ... الأدبية واستقراء ... الشرق والشعر ... الروضة ... الكلف والاصطناع ... الفكرية والثقافية ... الأدب ... والثقافة ... شغف بدراسة الشعر المهجرى فكانت النتيجة ان نشر عنه كتابة الشهير (الشعر المهموس) الذى احدث دويا غير منكور فى الاوساط الأدبية حينذاك فلفت اليه الانظار كناقد متجدد خلاق .

الكتابة الصحفية

وهذ مندور فى الحياة الاكاديمية الجامعية بعد سنوات قليلة وشجعه نجاحه فى الكتابة بالصحف والمجلات ونشره لاكثر من مؤلف وكتاب ان يحاول الانفصال عن الجامعة والاشتغال بالحياة العامة والكتابة الصحفية . ولكن عقبته انه لم يكن قد حصل على الدكتوراه بعد .. ولذلك ظل ملتصقا بالجامعة حتى اجيزت رسالته فى الدكتوراه عن (الجرجانى) باشراف استاذه طه حسين .. بعدها كان من السهل على مندور ان يترك الجامعة غير نادم وغير آسف وجاء ذلك نتيجة لانغماره فى الحياة العامة وتأثره بالتيار الاشتراكى القوى الذى غير الحياة الثقافية على نهاية الحرب العالمية الثانية .

عن الاصلاح الاجتماعى

ولذلك لم يكن غريبا أن يحل عام ١٩٤٥ ومندور يرأس تحرير جريدة (صوت الأمة) المعبرة عن حزب الوفد ... ويصبح فى نفس الوقت على رأس الجناح السياسى التقدمى الذى برز داخل الوفد . انشغل مندور تماما بالنشاط السياسى والعمل الصحفى وهجر الكتابة الادبية والنقدية ... ونجح فى الكتابة السياسية نجاحا غير مسبوق . كان الوفد بعيدا عن الحكم وقد اشتد الصراع بينه وبين السراى والانجليز ... وبدأ النشاط الثقافى الذى يغمر الحياة العامة فى القاهرة وكانت تضم ايامها عشرات الروابط والاندية الثقافية بدأ يتحول الى نشاط سياسى يطالب بجلاء الانجليز بعد اقرار السلام وانتهاء الحرب ويدعو الى الاصلاح الاجتماعى وهى دعوة كانت تلتف كلها حول الأخذ بمبادىء الاشتراكية ... واحتضن حزب الوفد هذه الدعوة وكان مندور يبلورها فى كتاباته السياسية الواضحة وبأسلوب مشرق يعتبر ابسط وارشق الاساليب فى الكتابة السياسية على حد ما وصفه يوما ... وهكذا اتسعت دائرة شهرته ومكانته حتى ان باعة الصحف انفسهم كانوا يناودون عليها فى كل مكان بهذا النداء ... (الدكتور مندور) اقرأ مقال الدكتور مندور بدون ذكر اسم الجريدة التى يكتب فيها المقال ومن المؤسف ان هذه المقالات الرائعة التى طرق فيها مندور معظم القضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية لم تجمع حتى الآن رغم اهميتها وقيمتها ورغم أن معظم هذه القضايا لاتزال تكون الاساس الفعلى لكثير من المشاكل التى لاتزال معلقة فى حياتنا العامة الى اليوم وتخصها قضية الحرية والديمقراطية والاصلاح الاجتماعى فضلا عن القضية العربية الكبرى .. قضية فلسطين .. اصبح مندور من هذه الفترة يعرف بانه وفدى ولكنه فى الواقع لم يكن كذلك وكان دائما يشكو من أن تلصق به هذه الحزبية لانه كان يؤكد دائما (انا اشتراكى ومع الاغلبية ولان الاغلبية مع الوفد .. فانا وفدى بهذه الصفة فقط) ... وبتلك العبارات دافع مندور عن نفسه حين حاولوا استبعاده عن الكتابة بعد قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ واعتبروه مع رجالات الاحزاب البائدة المحرمة

السياسى الأديب

زاد التصاقى بمندور فى تلك الفترة لانى كنت قد انغمست فى الكفاح السياسى

شأن كل المثقفين واقف مع الجبهة التي تنادي بالاشتراكية وبات ليلة وكان ذلك عام ١٩٤٥ اشتاق مندور الى جلسة ادبية فقدا به يهل علينا ونحن جلوس في المقهى العتيد (قهوة عبد الله) وكانت جلسة استمرت حتى الصباح تقريبا ... أيامها كنت اكتب في مجلة (الفجر الجديد) سلسلة مقالات محاولا تفسير أدبنا الحديث على ضوء جديد وكاشف عما فيه من مضمون تقدمي . وهذه المقالات استرعت نظر مندور فما كان منه الا ان دعاني للكتابة في (صوت الامة) ولما صودرت مجلة (الفجر الجديد) احتضن مندور كتابها وانا منهم ... كانت جريدة (صوت الامة) تصدر في ورقتين من ثمان صفحات فبدات انشر في صفحاتها الاخيرة المخصصة للكتابة الادبية والثقافية بعض قصصي القصيرة ثم تلوتها بتلخيصات لعديد من الروايات العالمية

في غياهب السجن

في عام ١٩٤٦ كان الصراع السياسي في مصر بلغ اشده فانفجرت الهبات السياسية داخل الجامعة وتكونت لاول مرة مايسمى بالجبهة الوطنية للعمال والطلبة وقامت الاضرابات في المصانع والمظاهرات في الجامعة ... وكلها كانت تطالب بما عادت تطالب به بعد ذلك وتحاول تحقيقه ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ إنهاء الاحتلال الانجليزي وتحقيق العدالة الاجتماعية وهكذا وقعت مذبحة كوبري عباس الشهيرة وتولى صدقي باشا الوزارة وبضربة واحدة اغلق كافة الصحف المعارضة واولها (صوت الامة) وقضى على جميع الهيئات والروابط والجمعيات الثقافية ثم القى القبض على اكثر من مائتي كاتب ومفكر وصحفي منهم بالطبع مندور وسلامه موسى وزكي عبد القادر ... وكنت من بين المقبوض عليهم واودع اغلبنا في سجن (الرميدان) في ساحة القلعة ... كانت حملة غريبة وجريئة للقضاء على الحركة الوطنية والحركة الثقافية التي تساندها وتدعمها فكريا ... وكان المقصود بها لا مجرد تكميم الافواه وانما الغاء الدستور والتفاهم مع الانجليز وتشتيت الوحدة التي اخذت تتكون بين الطلبة والعمال ولكننا سرعان ما خرجنا من السجون بعد اسابيع قليلة بفضل رجال


أحمد حسن الزيات
ارثر ميللر
نجيب محفوظ

العدالة وتمسك القضاء نفسه بما تتيحه القوانين من ضمانات للحرية .

[illegible]

خرج مندور مرفوع الرأس ليتولى رئاسة تحرير جريدة (الوفد المصري) التي حلت محل صوت الامة المغلقة ... وغشيا لكتابه [illegible] ... اكثر من عام ثم تمت بأمر عسكري نتيجة لاعادة فرض الاحكام العرفية على البلاد بعد الهبة الجارفة التي قامت في الجامعة وقتل فيها الكثيرون فيما عرف بمعركة (كوبري عباس) بعدها دب الخلاف في داخل حزب الوفد وانقسم الى جناحين تزعم مندور الجناح اليساري هو والشاعر المحامي المرحوم عزيز فهمي وخرج على القيادة الوفدية التي اخذت تسعى الى التفاهم مع السراي واحزاب الاقلية ... وبذلك حاربت مندور في رزقه فحرموا عليه العودة الى الجامعة ومنعوه من الاشتغال بالصحافة . وكان مندور كما قلت قد عاد من الخارج وهو يحمل شهادة في القانون تؤهله لان يكون محاميا . ولذلك سرعان ما فتح مكتبا واشتغل محاميا ... لكنه لم يوفق في هذه المهنة الجديدة فعاد الى الكتابة الادبية والنقد واياما اخرج العديد من الدراسات عن شعر شوقي والبارودي ومسرحيات عزيز اباظة وغيرها . كانت سنوات قليلة اقتصر خلالها نشاط مندور على ما كان يستطيع نشره من بحوث ومقالات نقدية وادبية ... وظل به الحال على

هذا الوضع حتى قيام ثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ واتخذت منه في البداية موقفا برغم انه من رجالات عهد الاحزاب ومن اتباع النظام البائد

النقد المسرحي

كانت ليلة قوية ولكنها لم تقعد الرجل عن الكتابة ... إذ ان مندور يتميز الى جانب الصلابة والعناد برحابة الافق ... وفي هذه المرة راحت تتفتح طاقاته النقدية المستمدة من ماضيه الثقافي وسعة إطلاعه وكثرة قراءاته ... وسمح له بالكتابة في المجلات الادبية ، وشيئا فشيئا اخذت مقالاته تتفتح عن اتجاهات جديدة في تفسير الادب وملاحقة الانتاج الادبي الذي واكب ثورة ١٩٥٢ من بدايتها فلما قامت الحركة المسرحية الجديدة التي ازدهرت في اواخر الخمسينات ظهر مندور على رأس الحركة النقدية المساندة للنهوض المسرحي .. وكان من نتيجتها انه قام بالتدريس في معهد الفنون المسرحية ... واصبح من الاعضاء الدائمين في اللجان المسرحية واحتضنت وزارة الثقافة جهود مندور في الكثير من نشاطها الثقافي لكن النظرة اليه كواحد من رجالات الاحزاب السياسية القديمة المنحلة ظلت عالقة به حتى عام ١٩٦٠ حين انضم الى هيئة تحرير جريدة الجمهورية ليصبح واحدا من كتابها الانبياء ... لانه كان قد هجر الكتابة السياسية نهائيا

النقد .. فن خالص

وطبيعي ان اتصلت بمندور في هذه الفترة كما لم اتصل به من قبل إذ كانت بي اتجاه للكتابة للمسرح وكان هو اول المشجعين لي

والمدافعين عنى .. كما نلتقى دائماً وقد تعودنا فى أغلب الأمسيات أن نتعشى معاً فى مطاعم الكباب المشوى . وذات ليلة وبعد الثالثة تسللنا صعدنا بسيارته الى ربوة الهرم . وجلسنا على حافة مرتفع من نتوءاتها تطل على القاهرة وراح يبدى عجبه من القدر الذى جعلنى اكتب للمسرح . وكيف فكرت فى ذلك ؟ لم يكن ينكر على موهبتى فى الكتابة وقدرتى على الترجمة والجلدى القصة لكن ما الذى جعلنى اسبق التيار الادبى والكتب المسرحية .. ثم انفرد بالكتابة وحدى لعدة سنوات .. ولم استخرج الاسئلة المتلاحقة . ولكنى ذكرته بتمثيلياتى الاذاعية التى كان كثيراً ما يعجب بالاستماع اليها . غير انه لم يقتنع الا بعد ان اضفت ان الكتابة للمسرح جاءت بقلمه بعد التفكير بأن الكلمة الاذاعية مجهود ضائع فى الهواء . وشجعنى عليها ايمانى بالكلمة المكتوبة الثابتة وما اكتشفته فى نفسى من موهبة درامية كامنة ... وذات مرة كان يناقشنى فى حلقة من حلقات البرنامج الثانى فى الاذاعة عن مسرحيتى (الناس اللى فوق) وحاولت ان أرد على بعض ملاحظاته .. فأسكتنى (اسمع ارجوك .. انت لست واحد فى الدفاع عن اعمالك لانك لاتدرى قيمتها .. اتركنى اشير الى ما اسميه بموهبتك) .. ولم اغضب لهذا الردع لانى كنت اثق دائماً فى سلامة تقديره وحسن نواياه .. فالرجل كان دائما موضوعى النظرة ويرعى الانتاج الادبى الذى يتصدى لنقده بحرص كبير وكان دائما ما يردد (ان النقد الحقيقى فن خالص ولذلك فلابد للناقد ان يكون صادقاً لان النقد خلق مكمل للانتاج الفنى ..)

وفاء مندور

كان من المحال ان احاول الوقوف فى وجه هذا العنف فلم ابرح البحث عن عمل وقبعت فى البيت . كانت الفترة عصيبة وهناك صراع حاد بين قيادات الثورة .. وكنت انا وغيرى من ضحاياه .. وانفض عنى الكثير من اصدق الاصدقاء بل ومن اقرب الاقارب خوفاً من ان ينالهم الاضطهاد .. ماعدا رجلين اثنين الصديق الصادق الكبير نجيب محفوظ ومحمد مندور العمل بى نجيب محفوظ تليفونيا بالمنزل

من مكتبه فى الوزارة وكنت زاملته فى الوظيفة وراح .. يشجعنى على التماسك ويطلب الى برقته المعهودة أن اسمح له بزيارتى ليرى كيف يمكن مساعدتى وطمأننى على انها زوبعة فى فنجان وانها عابرة عن وشاية حقيرة ضدى . وبعد يوم واحد فتحت الباب لسائق سيارة مندور وكنا نطلق عليه لقب (السنى) واعطانى خطاباً موصلاً من الدكتور مندور ويطلب الى ان افتحه عاجلاً بداخله شيك موقع من مندور وقال السنى ان الدكتور يرجونى ان اقبله واسحب به المبلغ الذى احتاجه من حسابه . فلما سألته عن الدكتور قال انه ينتظر فى الشارع تحت داخل السيارة .. وهرولت مسرعاً ورأى السنى لأجد الدكتور مندور يحتج على استمالة الصمت فى مكتبى لانى الذى فى الدور الخامس .. فخرج من السيارة واقبل على يحتضننى ويقبلنى فى وليمة وجمعته تحت هذا الأسبوع .. وحملا خوفى ان المهنة انتهى واستقبلنا تقبلنى لبلاد شرعت الشكر وانا ادرك ... وانا .. ورحت مشاعرى تضوع الحصوة وبرجة وقد اوقفت الوان ان اوحى المتحدة لى مسكونة لانى الذى كثيرا منهم حسيبا

الرعاية الادبية

اما انا شخصيا فلم اخذ المسألة على هدم الصورة المأساوية التى طافت بخيال نجيب محفوظ وسيطرت على وهم مندور فلم اكن وحدى الذى تعرضت ايامها لهذا الموقف . وانما الذى اثار سخط مندور وشغل فكر نجيب محفوظ الخوف من ان اصاب بصدمة وان امتنع عن الكتابة للمسرح .. إذ كان مندور يعتبر نفسه دائماً حارساً للمسار الادبى . وبعد شهور التقيت بمسئول كبير اعتذر الى عما وقع وطلب الى ان اقبل العمل فى جريدة الجمهورية بمرتب يفوق مرتبى فى الوزارة اكثر من ضعفه .. ولكن بشرط الا أوقع بامضائى على ما اكتب إلا بعد فترة حددها بستة شهور واستشرت اكثر من عالم .... وذهبت الى مندور استشيره فنصحنى بالقبول .. وانهم لابد سيضطرون فى النهاية الى الافادة من اسمى الادبى وشهرتى الكتابية ...

محاولة كسب مندور

الشىء الغريب بعدها مباشرة ان طلب الى هيئة الاشراف على جريدة الجمهورية أن احاول اقناع مندور بحكم ما عرف عن صلتى به وصداقتى له بأن ينضم الى هيئة تحرير الجريدة .. ولم يكن فى ذلك اكثر تناقض لأن ما حدث كان نتيجة لما أسفر عنه صراع القيادة الحاكمة على السلطة وتغلب الجناح الذى يقوده عبد الناصر من أجل تحويل الثورة الى مسار جديد للأخذ بمبادىء الاشتراكية وأصبح مندور استاذى وصديقى وزميلى فى العمل . وتقبل مندور وضعه الجديد بصدر رحب برغم انهم حددوا له مساحة صغيرة ليكتب فيها لا تتناسب مع مكانته واستاذيته ... وكان مندور ايامها يعانى من قلة الدخل والاعتماد على العمل بالقطعة أو بالمكافأة سواء فى معهد التمثيل أو فى الاذاعة أو فيما يكتب فى المجلات من مقالات نقد ... وباع سيارته والتمع فى محاولة الحصول على دخل يكفل له متابعة نشاطه ورعاية اسرته

صريع العنت والارهاق

وقد اخذ عليه الكثيرون ايامها ان كان يقبل كافة ما يعرض عليه من اعمال ويكتب فى كل مجال ... ولكن الحقيقة انهم كانوا لا يدرون من دخائله ما كنت اعرفه . فالرجل فى مثل هذا العمر المتقدم كان يعيش من دمه ورغم ما قرر له مرتب ثابت فى جريدة الجمهورية إلا انه كان مرتبا ضئيلاً لا يكفيه وهو قد خرج من الجامعة منذ سنوات بعيدة دون ادنى معاش .. ولعل هذا كان السبب فيما اصابه من ارهاق مبكر ادى الى وفاته وهو لا يتجاوز الثامنة والخمسين .. تاركا الى جانب ما صدر له من كتب العديد من البحوث والدراسات والمقالات التى لا يدركها الحصر وتحتاج الى من يجمع شتاتها كرصيد من القيم والحق وأصدق ما صدر فى حياتنا من كتابات على مدى اكثر من ربع قرن . لقد عاش مندور الى نهاية عمره ورغم ما اثاره حوله من عداوات من جانب اعدائه السياسيين وغير السياسيين من اثبت من حملوا القلم فى عصرنا دفاعاً عن الحرية والسياسية والعدالة الاجتماعية والقيم الادبية والفنية الجادة القائمة على الالتزام برسالة الادب والفن والفكر كأعظم المقومات لبناء الانسان العربى .

نعمان عاشور

كمال عمار

المقامة الوجودية

مقامات عبد الشكور المشهور بمعرفة الأنام والدهور



عزى الجريدة وقال لى تصور ؟ مات سارتر ... مبهوت ... كنا سنموت ... فقال ... فقلت لايستعصى على عزرائيل ، فقال يرحمه الله ... كان يؤمن به ، فقال لقد تعمدوا حضوره الى جنازته ... ذاتى ، وأوقعنى ذلك فى حكايات ... تريد أن تسمع ، أو لديك ما يمنع ، فقلت له كلا ، ... فقال ... عرفت سارتر ربع قرن ، وكانت وقتها مشطوشا بداء الفن ، وقد ملكت الوجودية على الدرب ، ... من عمرى ، خاصمت فيها الحلاق ، ولبست بنطلونا ملتصقا بالساق ، وسار خميس مذكور معبودى ، باعتباره أشهر وجودى ، بل هو الداعية الأول لهذا المذهب المبجل ، حيث فيه ، ... الى خوالية ، ووجدتنى فى العام الخامس والخمسين ، من جملة الوجوديين ، منخرطا فى رموزهم ومرتبطا بعقيدتهم ، بل كنت ملكيا أكثر من الملك ، وفلسفيا من النوع المنهمك وأهملت دراستى ، واصطدمت بأسرتى ، ولكنى وقفت كالطود ، وقلت لامفر ولاعود ، فقد من الله علينا بالوجودية ، وأكرمنا بالانتساب الساترية ، وأما منع أبى عنى المصروف ، تصرفت كما ينبغى لفيلسوف ، وأعلنته انه أبى التقليدى وليس الحدودى ، وانطلقت عن أبوة الاجيال واتصرفت الى سارتر أبى بالاختيار ، وصرت لا أجد نفسى ، إلا فى المركز الثقافى الفرنسى ، أذهب اليه كل يوم ، محاولا الالتصاق بالقوم وأشم فيهم ريح سارتر ، باعتبارهم أبناء العم ، ولكن القوم ازدروا عنى بلباقة ، ولم يجدوا جسور الصداقة ، ومعهم حق والف ، فأنا لا أعرف من لغتهم إلا بونكواه ، معناها ماذا أو شيء قريب من هذا ، فلما رأيت انصرافهم ، أردت إيلافهم ، فلاعش كما يعيشون ، وأصنع ما يصنعون ، فلازمت الكونياك ، حتى أشرفت على الهلاك ، ودخنت الجلوان باعتبارها نوعا من الاختيار ، بل

واحضرت بعض المتقارع من الترعة ، وسلقت واحدة بسرعة شهيدا لأكلها محمرة ، كما يفعل الباريسيون العباقرة ، ولكنى لم أفلح الى الآن ، فقد علانى الغثيان ، وضحك الإبلى القذرة وهذا من الفكرة ، وإن ظللت على الطريقة الوجودية ، وأكل الضفادع لايفسد للود قضية ؟

وكنت أسير فى الطريق ، متسم التعليق ، وهوحينا درويه وأحيانا بدعية ، من نوع الظارف لمن شرقوا ، وتشبهوا بالنساء فى الهيئة والكساء ، وأطلقوا الشعر ، ولبسوا القلادة من النحور وتحضروا المتسلقيات ، كلها جولات ، أخضر الف أحضى عليك أيها الشخص ، وكنت أقابل هذه الاهانات بالابتسامات ، فقد أتوا من قبلى (سقراط) وأرغموه على شرب السم ، حتى لايفتح آذان الصم ، واتهموا (جاليليو) بالكفر وهددوه بخلع الظفر ، واضطروه الى انكار ما قاله ... الارض كالبرتقالة ، ومهما كان الجديد ... القديم ، حرصا على سلطانه واستبقاء ... الجديد هو المنتصر ، ... ، كما يؤكد كتاب (العدم والوجود) ... هذا الفحش من القول ، ... دليلا على شهرتى الحكيمة ... ، وتدل عليهم ... ، الشهوة ، فقفزت كالمهرة ، متخليا عما ... (وجودى) .

وكنت أعتبر ... ، العارق والعش ، ففيها الشاى والفول ، ويشعر ... معقول ، وهكذا أكل وأحيى وأجادل أعوان (ماركس) فقد كانت هذه القهوة تضم الشلة والصفوة ، وزبائنها ... ، لايغيبون عنها ولايتأخرون وكانوا (زبائن) غرباء فى الافكار والازياء ، فهذا وجدى ، وذاك لاحدى ، والثالث البدين ، من أتباع لينين ، والرابع يكتب القصة ويبحث عن فرصة ، أما الخامس ... يأتى أسلاك شعاة التجديد ، فكتب كلاما أغير معهد ، معدوم الوزن والقافية ومحروما من الايقاع والعافية ، زاعما أنهم هكذا يكتبون فى أوروبا ، ... (بوهية) ، والسادس رسام ... ، يلبس قميصا من قماش الدمور ، صبحا ومساء صيفا وشتاء ، لانه لايملك غيره ، كما أكد هو أكثر من مرة ، ... رسام مجيد ، وإن بالغ فى اظهار التصاعير ، والسابع ... يزعم أنه ناقد ، وما هو بذلك ... ، ... وكراهته للمدارس بادية ، والثامن يهوى الموسيقى ، وقد اتخذها لنفسه طريقا ، ولايعزف بل يتكلم فقط ... والتاسع من ... ، من عشيرتى وعائلتى ، والعاشر ... ، ... ، يسجل ما يقال ويعمل ما لايقال ، وكنا نعرف أنه مخبر ، إلا هو ... التنكر والفهلوة ، وكنا لانحفل به ... البطوس ... ، استهلكه ... واستجابة لدم ساخن يجرى فينا ، واعتدنا عليه ... ، واعتبرناه من لوازم القعدة ، بل وصرنا نطلب له الشاى والينسون ، فوشى

وهو مسئول ، ثم يتصرف كركاب قينا التقارير ، ويحشوها بالغش والخطير .

قهوة مريبة ، وروائح غريبة . ولكن الأغرب من كل هذا الوكر ، هو الخواجة إيرافتش ، يوغسلافي الجنسية ، ومعدله لاتهضم الاشتراكية ، غادر بلده ... لما رآها تخالف معتقده ، وجاء إلى القاهرة ، وانشأ فيها هذه القهوة العامرة ، وظن أنه اطمأن ، ولكن الذهن هبيب الظن ، فرغم مغادرته البلاد والعباد ، فإن تيتو كان له بالمرصاد ، وذلك انه كلما زار مصر ، عرف إيرافتش لوعة الأسر ذلك انه كان يعتقل ، حذر من باب الاحتياط إياه ، ومنعا لحدوث ما لا تحمد عقباه ، فإيرافتش يبرالي ، وتيتو اشتراكي بشملي ، وكلما حدثت زيارة تاريخية يعتقل (إيرافتش) بالتبعية !

وهكذا جمعتنا القهوة ثبرة ، كالأعداء والأخوة ، وما العداوة إلا أصحاب التبديل والمطرقة ، والذين يريدون للعالم الطريقة ويصبح أن التعارض بينهما ، لكن الهدف يقطعنا ، فشربنا الشملي ، ويشربهم لطيف ، يريدون تغيير العالم بالقوة ، ويحس

سعى لتغييره من نحوه ، وكان النقاش يطول وكأنه قرع الطبول ، ويروع شمائل المتكلم ، فنحن في نظرهم يهالم ، رغم في نظرة عبدة أوثان ، تاهيك بتهم بالقلال للوجدان ، فأنت عميل لموسكو ، مادمت لا تؤمن بسارتر ميوسكو ، وعميل للمخابرات الأمريكية إذا لم تأخذ جانب الطبقات الكادحة » .

ويحدث هذا كل يوم ، دون أي تغيير في أسلوب الهجوم ، حتى أصابني الملال ، ورغبت في تغيير الحال ، وفكرت في حامل شعلة النور ، الأستاذ خميس مذكور معبودي الأوحد ومثلي الطيرة ، إنني لم أره على الإطلاق ، رغم ما بيننا من التساق ، وفكرت أن ينتقي التلميذ والأستاذ ، وكان تفكيري مشغولا بالتفاؤل ، وارتديت أردأ ما عندي من ثياب ، قميص كالجلباب ، وبنطلون ضيق من أعلى ، متسع في السفلى ، وحذاء مكعب طويل ، كأنه خرطوم فيل ، بالإضافة إلى شعر منكوش ، وعينين بلا رتوش .. وبالجملة حرصت قدر الطاقة ، أن أكون غاية في الأناقة ، مثبتا وجوديتي ، وإخلاصي لعقيدتي ، وهكذا مضيت إليه ، أفكر في لحظة دخولي عليه ، بماذا أقول وماذا أدع ؟ وماذا سيقول منشيء البدع ؟ حتى وصلت وسألت بصوت جهور أين الأستاذ خميس مذكور ، فنظر إلى البواب يمنتهى الاستغراب وكان البواب ، لم ير وجوديا من قبل ، وكررت السؤال ثلاثة ، فهز رأسه في حماقة ، وأخيرا قال بعض اللباقة ... أحرف ... لا ... لا تحمد عقباه ، فكظمت غيظي ، وقلت لو سمحت ... إنني بحث ... وتأكد أنه سيطلب لقائي ، وانفتح البواب حتى ... رأسي ... ودمش من غير سبب وقال : إمش من ... يافندي ... رمي ... بصرعبنى ، حتى تقابل خميس بك ... الخطير الذي ربطني بالصراصير ... ثلاث ... الجامع ، فكتمت السهم في ... تحقيق غايتي ، ولكن الله يضرب بينه ... المحترم وأمكن فيه لمدة عام ، وبعدها ... أسمح له بالكلام !!

... الكارثة ، والداهية الدهماء ، أهكذا يعامل الوجوديون الوجوديين ، فيم إذن اشتراكنا في الملة والدين ؟ ثم كيف يسمح يسمح خميس مذكور ؟ باستخدام البواب المذكور ؟ إنه سلطان لا عقد نعم وحق (سيدي كيركيجورد) ، هل لو ذهب إلحمي للقاء الحد العمراء ، يقابل بمثل هذا الازدراء ؟ !

لا ، فالوالد أبو المكارم ، يقول بشكل دائم ، إنه قائم من عند مسعود أبو سالم ، ومسعود معدود في قمة أهل الحركشة ، وله اتباع ومدرسة وأنظمة الجدال مع نفسي ، وأنا غارق في بحر يأسي وتملكني غل فظيع ، فقلت لعنة الله على الجميع .

وانقطعت عن إيرافتش ، وبحثت عن مصدر شريف للعيش ، وهجرت جلاسي إياها ، التي كنت بها اتباهى ، وتبت وأمنت وتزوجت وانجبت ، والفرق ما بين الوجودية ، بل وكل فلسفة أوربية وإذا كان لديهم البير كامي ، فنحن عندنا أحمد رامي ، وإذا كانوا يتباهون بوميش وسارتر ، فعندنا الغزالي وأبو معشر ، وإن فطنوا الفرانسواز ساجان فعندي نهال لاسباني ، عندنا ما عندهم بالاختصار باستثناء سيمون دي بوفوار ، فضحكت وقد أدركت ما يعنيه وضحك هو لبراعته في التشبيه !

وانصرفت عنه ، وقد بلغ مني العجب حده ، لمواهبة عبد الشكور متكلميا بها عن الجمهور .

وانتهت أقوال عبد الشكور .

جحوتيات

زوجتي والبغل



حين ماتت زوجه ثم بكيتها
وطواها اللحد في صمت مبين
جاءه القوم يعزون فما
وجدوه ذلك الباكي الحزين
فرأى إكرامهم إلا يرى
عابس الطلعة معقود الجبين
فلا يرى فيهم خطيبا فإلا
يوفل الصفحين العارفين
هكذا الدنيا تساوي من قضى
بعض يوم مثل الألف المسن
والذي عاش بها في حفرة
كالذي في القصر والحصن الحصين
هكذا الدنيا وما من حكمة
إن رضينا أو كرهنا أجمعين
فمضوا عنه وقالوا قاتلا
يتعزى بكلام السابقين
ثم عادوا وتنادوا إننا حضنا
عندنا أو شئت أخرى ذات دين
وجمال لا تكلفك سوى
عيشها والله يجزي الصابرين
ردهم عنه بلطف شاكرا
فضلهم والفعل فعل الأفضلين

ثم لما مر عام بعدها
نفق البغل الحصاوي المتين
صاح وا بغلاه من فرط الأسى
وبكاه يومها الدمع السخين
عجب القوم وقالوا يا حجا
قد عرفناك أخا عقل ودين
رحلت من نحو عام زوجة
لك لم تحزن عليها بعض حين
نفق البغل فأكثرت البكاء
[illegible]
[illegible] الزوجة كم
قد عرضتم غيرها إلى طائعين
[illegible] ثم عجبتم
[illegible] يا مسلمين
[illegible] الذي أركبه
[illegible] مثلي ويعين
[illegible] خوف الثرى
[illegible] خير الراحلين
لم يقل لي واحد خذ يا حجا
غيره بل كلكم كان ضنين
ولهذا إنا أبكيه دما
وأناجي صاحبي البغل الأمين



أي لا فـ ... قيس!

... ولا تراه إلا في مسلسلات التلفزيون، ولم نسمع أن عشاقا ... ولا أن ليلى دخلت على ...

المجنون فقالة: أي لا أبو قيس!
والذي سبحانه أن خلق الحب وخلق الف
حرب خلق يحظى برضاه واحدة، لا شغل لها ولا
فلوس، تختلي في خيمتها نائمة البال ولا عليها
أن بيوت حفر أو نصب ويصبح من مشوهي
الحروب والخراب!
والذي سبحانه أن فقر حين ... الجيش
حية، ... على ... كم تزوجت ...
وشبعت البقية الباقية من هذا العقل وقلنا!
أحب الفقر ... علينا
وعلى الفضلات ... الذيل.

البحتري وشوقي

يقول البحتري في وصف وجه حسن يشبه ... الأسود
إنه كالفجر ... على سواد الغيهب
ويقول شوقي في الفتنة التي ... المطرب عند ...
والفجر تنفس واقف على سواد العتمة
أيهما أقرب إليك؟

السمكة [illegible]



في جزر الدومينيكا .. توجد السمكة البكاكة .. سميت كذلك [illegible] على صيد الذباب والحشرات الطائرة قريبا من سطح الماء .. فلذا [illegible] هذه السمكة [illegible] وهي على بعد متر منها .. فلذا تبخ عليها من فمها قطرات الماء بقوة فتلتصق القطرات بالحشرات وتعوقها عن الطيران فتسقط في فم السمكة البكاكة المفتوح ... ويحلق لها [illegible]

السكر الهندي

الهند أول بلد عرف السكر وأقام [illegible]

لو عاش!

[illegible]



هذه القبة داخل صحن أحد المساجد الشهيرة في العالم الإسلامي .. يتميز هذا المسجد بمئذنته التي لا نظير لها إلا في أحد مساجد سامراء [illegible] والصورة على سلم المئذنة الخارجي .. الصورة لمسجد أحمد بن طولون .

هي وأزواجها



الإسم : عاتكة بنت عمرو بن نفيل .

في المعدودات من جميلات قريش [illegible] أول المستجورين : عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ، كان جميل الوجه حسن الصوت [illegible]

[illegible]

رسالة مهرجان كان السينمائي

فصل جديد من المباراة المثيرة — رءوف توفيق

السينما تهاجم التليفزيون بقسوة

المباراة مازالت مستمرة .. ومثيرة بين التليفزيون والسينما ..!

وفي الجولة الدائرة الآن .. تحاول السينما ، بعد أن استعادت جزءاً كبيراً من جمهورها بنوعية الأفلام التي اتجهت أخيراً تحاول أن تسدد اللكمة القاضية للتليفزيون .. وذلك من خلال موضوعات الأفلام التي تدين تأثير التليفزيون على المشاهدين وعلى المجتمع !!

والجولة ساخنة ومليئة بالمفاجآت .. فالسينما بكل تاريخها الفني ، ولتجارب روادها الكبار ، وابتكارات شبابها المتدفق .. تحاول أن تدافع عن أرضها التي اكتسبتها عبر سنوات طويلة .. بالجهد والعمل والصراع المستمر ، حتى أصبحت السينما من أكثر الفنون شمولاً وتأثيراً

والمتأمل لبعض موضوعات الأفلام الحديثة ، والتي عرضت أخيراً في مهرجان "كان" السينمائي الدولي .. سواء داخل المسابقة الرسمية ، أو في فروع المهرجان المختلفة .. سيجد هناك خيطاً واضحاً يكشف عن اتجاه الهجوم على التليفزيون وتحديد أضراره وسلبياته على السلوك الإنساني .. وعلى حركة المجتمع ككل !!

● أمريكا .. وفيلم « أن تكون هناك »

ولنبدأ أولاً بهذا الفيلم الأمريكي الساخر (أن تكون هناك) إخراجه (هال آشبي) والذي اشترك به في المسابقة الرسمية لمهرجان كان .. ومن قبل دخل به التصفيات النهائية لجوائز الأوسكار لعام ١٩٨٠ ورشح لعدة جوائز هامة .. ولكنه لم يفز إلا بجائزة الممثل المساعد والتي حصل عليها الممثل الأمريكي العجوز (ميلفين دوجلاس) عن دوره في هذا الفيلم .. كرجل المال القوى صاحب النفوذ السياسي

وفيلم (أن تكون هناك) مأخوذ عن رواية بنفس العنوان [illegible] عام ١٩٧٨ [illegible] [illegible] [illegible] العمل [illegible] [illegible] المجتمع الأمريكي [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] .. [illegible] بعيداً عن الواقع [illegible] [illegible] [illegible] تعدى الخمسين من عمره .. والذي عاش طوال عمره داخل بيت لم يغادره مرة واحدة ولم يخرج للشارع .. ولم يتعلم القراءة أو الكتابة .. ولا علاقة له إطلاقاً بالعالم الخارجي .. وهو في داخل هذا البيت يعمل جنايناً يرعى حديقة البيت ثم يقضي بقية يومه أمام شاشة التليفزيون .. يأكل ويشرب وينام مع التليفزيون .. يتنقل بين قناة وأخرى .. يتابع البرامج ببلادة واضحة وانبهار شديد .. بطيء الحركة .. ولا ينفعل .. ولا يتوتر .. وعندما يتكلم تخرج الكلمات متقطعة ، وبلا معنى .. ولا تتعدى حدود معرفته بالعمل في الحديقة ، ورغبته الدائمة لمشاهدة التليفزيون !! (لعب الدور باقتدار رائع الممثل بيتر سيلرز)

وفي بداية الفيلم .. تواجه هذه الشخصية موقفاً شديد التعقيد بوفاة مخدومه ، صاحب هذا البيت .. ويصبح عليه أن يجمع أشياءه ويرحل بعد أن صدر قرار الحكومة بغلق البيت !

عليه الآن أن يواجه العالم الخارجي لأول مرة .. وحيداً تماماً .. ويسير في شوارع واشنطون .. المدينة التي تدور فيها أحداث الفيلم .. وينتقل من رصيف إلى آخر حاملاً حقيبته ، مرتدياً كامل ملابسه في أناقة ووقار يبدو عليه أنه أحد كبار القوم ، ولكنه يتحرك بدون هدف محدد .. بينما في حقيقته لا يلوي على شيء .. ولا يقلقه شيء سوى إحساسه بالجوع .. ورغبته لمشاهدة التليفزيون !!

إنه مشغول برؤية العالم الحقيقي بعين [illegible] وبإدراك ناقص .. فجأة تصدمه سيارة فاخرة .. وتصيبه بكدمات بسيطة في ساقه .. ولكن في هذه اللحظة تكون حياته قد تغيرت تماماً .. صاحبة السيارة تدعوه لتمريضها العناية الطبية .. ويلتقط اسمه خطأ وتلصق مهنته باسمه .. وهكذا تحول اسمه من (مستر شانس) إلى (مستر شانس جاردينر) .. وكأن كلمة (جاردينر) وتعنى البستاني .. هي لقب العائلة !!

وهو لم يدع هذا .. ولم يقصده .. فهو لا يعرف الكذب أو الخبث .. ولم يسع لانتهاز الفرصة أو الاستفادة من الحادث البسيط الذي جرى له .. ولكن هكذا عاملته السيدة باحترام شديد

وعندما يركب السيارة الفاخرة .. يعلق بأنها المرة الأولى التي يركب فيها سيارة !! وعندما يصل إلى القصر الهائل ويجد استقبالاً مذهلاً من الخدم والحاشية ، ومقعداً متحركاً في انتظاره للانتقال إلى الطابق العلوي بواسطة المصعد الكهربائي .. يعلق بأنها المرة الأولى التي يركب فيها مصعداً !! وعندما يدخلونه إلى غرفة الكشف الطبي المجهزة بكل المعدات الحديثة .. يعلق في ذهول بأنه لم ير مثيلاً لهذا في التليفزيون !!

ويتعرف عليه صاحب القصر ، ذلك الرجل

فجأة تصدمه سيارة فاخرة
لكن في هذه اللحظة تتكون حياته
قد تغيرت تماما بعد أن صحبته
صاحبة السيارة إلى قصرها



بيتر سيلرز في دور البستاني .. لقطة من فيلم (أن تكون هناك)

الممثلة الفرنسية (روس شاوي)

العجوز الفاحش الثراء، رجل المال القوي وصاحب النفوذ السياسي الهائل .. والذي تتدهور صحته بسرعة ويقترب من حافة الموت .. ويجد في هذا الضيف (مستر شانس جاردينر) الود والبساطة .. ويزداد إعجابه به عندما يستنكر (مستر شانس) فكرة اقامة دعوة قضائية بسبب اصابته .. وبهذا يدعى لعشاء عائلي .. يضم صاحب القصر وزوجته فقط .. ويظهر في هذا اللقاء مدى تلقائية مستر شانس .. والتي يعتبرها صاحب القصر نوعا نادرا من الصراحة والديبلوماسية .. ويقرر أن يتخذه صديقا يستعذب الاجتماع به والتحدث إليه.

وبعد أيام يصل إلى القصر، الرئيس الأمريكي لزيارة صديقه رجل المال القوي، ليطمئن على صحته، وليبادله المشورة في المأزق الاقتصادي الذي تمر به البلاد .. ويدخل صاحب القصر متكئا على كتف صديقه (مستر شانس) .. ويقدمه للرئيس الأمريكي كصديق عزيز .. ويدور الحديث حول الأزمة الاقتصادية ويطلبون من (مستر شانس) أن يقول رأيه .. وببساطة شديدة وبطريقته الواثقة .. البطيئة الايقاع يقول مستر شانس:

- في الحديقة .. الأشياء له فصول .. هناك ربيع وصيف .. ولكن هناك أيضا خريف وشتاء .. ثم ربيع وصيف مرة أخرى .. وطالما كانت الجذور سليمة .. فكل شيء مضمون .. وكل شيء يصبح جيدا في الحديقة ».!!

والكلمات لا علاقة لها اطلاقا بالاقتصاد. انها بعض معلوماته عن العمل كبستاني .. ولكن وقع هذه الكلمات يصبح شديد الايحاء للرئيس الأمريكي وكأنها خلاصة فلسفة عميقة .. وبهذا ينقل نص هذه الكلمات في خطبته إلى الأمة من خلال التليفزيون .. ومن تلك الليلة أصبح مستر شانس أهم شخصية في أمريكا .. الصحف تتصارع من أجل تقديم مستر شانس .. والتليفزيون الأمريكي يسرع للاتصال بمستر شانس لتسجيل حديث معه .. ويلبي الدعوة .. ويواجه بأخطر الأسئلة بكلمات عن الأرض والزرع والشمس والجذور .. ويهلل المشاهدون إعجابا بهذا الفيلسوف .. لقد أصبح (مستر شانس) أسطورة

رسالة مهرجان كان السينمائي

حتى التليفزيون .. التافه يطاردونه بعقود نشر مؤلفاته .. وهو في الحقيقة لا يعرف القراءة أو الكتابة .. ولا يتنكر هذا وأكثرهم يحتضونها سعداء مكافأة والسلوية لكنا للهرب منهم !!

والمخابرات الامريكية والسوفيتية تحاولان البحث في تاريخ هذا الرجل والأهم من هذا كله أن الفلوويين القوي المتعرض .. يعرض عليه مشاركته في امبراطوريته المالية .. وأن يرعى زوجته بعد وفاته !!

ويموت هذا الفلوويين .. يؤول اليه كل الثروة .. والقوة .. ويتحول مسار حياتي الى حقيقة ثابتة لا يمكن انكارها .. بينما هو في حياته لا يدري ولا يعي كل ما حدث .. ولا يعنيه في شيء .. فهو مازال هذا الرجل الذي يهتم بالارض والنباتات .. ويتحسب ميهورا ومأخوذا أمام شاشة التليفزيون !!

وهكذا يبين فيلم (أن تكون هناك) مدى تأثير التليفزيون على حياتنا .. كالطريقة التي تحريها التليفزيون في إدراكنا الحسي للعالم .. ويكيف احياننا ذلك .. والاستعداد لقبول وجهات النظر الجاهزة دون أن نكلف انفسنا مهمة البحث والتحري وتأمل ما .. هذا الانسان الذي حوله التليفزيون الى مسخ مشوه .. لايفكر .. ولا يتعقل .. ولا يستطيع أن يقرر شيئا بمحض إرادته .. فهو في النهاية نموذج شديد السخرية تخيله المؤلف عندما قرأ تلك الاحصائيات التي توضح أن الطفل الحديث الناشئ .. قضى في فترة طفولته ومراهقته وتكوينه الفكري الاول ما يزيد عن ١٨ الف ساعة أمام التليفزيون !!

وهذا العدد الهائل من الساعات بالغ التأثير .. فهو يشكل سلوكا شاذا في مواجهة الحياة العملية ..

ويضيف المؤلف في تصريح له .. وفي الحياة العملية .. يصبح التليفزيون أخطر وسيلة لاتصال وجهات نظر المرشحين لمنصب السياسية الأكبر في البلاد .. وكل منهم يحاول أن يكون سلطا وشجاعا وجادا وظريفا .. وعندما تظهر لسنتر شالس على شاشة التليفزيون مارس هذه الصفات بتلقائيته وبساطته وطيبته الواضحة .. وهكذا تحول الى أهم شخصية أمريكية ..

إن كل أصابع الاتهام في هذا الفيلم الساخر الجريء .. تشير الى التليفزيون !!



اللقطة الرئيسية (الاولى) التي تبين نقطة البداية .. لقطة من فيلم (السوبر الإجباري)



لقطة من الفيلم البرازيلي (..) بكاتيك

● فرنسا .. ومراقبة الموت ..

ومن فرنسا .. يطل ذلك المخرج الشاب (برتراند تافيرنيه) ليقدم بشاعرية السينمائي الفنان الذي يعرف كيف يلتقط أصغر التفاصيل في الحياة اليومية ليصنع منها نسيجا رقيقا ومتماسكا ومحكما .. وفي نفس الوقت يقول كلمته بقوة ..

إنه في هذا العام .. يقدم فيلمين نالا اهتماما كبيرا .. الفيلم الاول بعنوان (مراقبة الموت) الذي عرض في مهرجان برلين السينمائي .. ثم أعيد عرضه في سوق مهرجان كان السينمائي .. لينال نفس الدرجة من الاهتمام .. فهو يطرح قضية إنسانية ومعالجتها برهافة الشاعر ..

فهذه الممثلة المسرحية (تلعب الدور الفنانة رومي شنايدر) تصاب بحالة انهيار عصبي مفاجئة نتيجة بعض التحليلات والاستنتاجات أنها لم تحت بضعة شهور جديدا في لنها .. وتلتقط هذه الحالة .. ذلك المخرج التليفزيوني .. الذي يبحث لتحقيق سبق تليفزيوني جديد .. فهو يتفق مع طبيبها المعالج على أن يتولى إبلاغ مريضته بأنها ستموت بعد ثلاثة أسابيع .. وفي هذه الفترة سيقوم بتصوير تحركاتها وانفعالاتها من خلال عدسة تليفزيونية مثبتة في رأسه .. ليسجل لحظات الاقتراب من الموت .. ليكون بعد ذلك فيلما كاملا بالصوت والصورة يعرضه التليفزيون !!

إنها الفكرة لا أخلاقية .. وغير انسانية .. ولكنها تعطي الرقود لهذا الجهاز الوحشي الذي يجري في كل الاتجاهات بحثا عن الجديد والمثير الذي يقدمه للمشاهدين !!



(احدى المجموعة) ... والسيارة التي تحمل الفتيات تتهاوى في فيلم (واغا - نوكاي)

ARCHIVE
http://Archive.beta.Sakhrit.com

هذا العدد الهائل من الساعات بالغة التأثير تشكل أسلوباً شاذاً في مواجهة الحياة العملية

وأحداث الفيلم تدور بشدة هذا الاستغلال الذي من التلفزيون لحالة انسانة معقدة تواجه الموت ... وحيدة تماماً ... وتتمنى النجاة من الموت ... ومن هذه الكاميرا التي تلاحقها!

إن هذا المنتج المصور التليفزيوني الذي يقبل على المهمة بوحشية وتجرد انساني ... يبيد نفسه تدريجيا في حالة تعاطف وحب مع هذه المريضة ... وتتنازعه المشاعر المتضادة ... في يحقق هذا السر التليفزيوني ... وفي نفس الوقت تهاجمه المشاعر الخاصة والرغبة في الارتباط بهذه المريضة!

والفيلم اذا كان يلجأ الى اسلوب الخيال العلمي في هذه الرؤية المستقبلية لمدى تدخل التليفزيون في الحياة الخاصة ... وانتهاك أدق الأسرار والمشاعر الانسانية باستخدام أدق الكاميرات الغير مرئية واجهزة التسجيل المختفية ... فهو يضع متفرج الفيلم في حالة كراهية ورفض وخوف أيضا ... من بشاعة ما يفعله التليفزيون ... وما قد يصل به التطور الفني بعد ذلك!

● اسبوع الاجازة

ثم يأتي الفيلم الثالث لنفس المخرج (برتراند تافيرنيه) والذي يحمل عنوان (أسبوع الاجازة) ... وقد دخل هذا الفيلم الى المسابقة الرسمية لمهرجان كان هذا العام.

حيث يقدم حالة هذه المدرسة الشابة التي تعاني من الاكتئاب ... والتي تستيقظ ذات صباح وهي غير مستعدة نفسيا على الاطلاق للذهاب التي عملها في المدرسة ... وتحدث الى صديقها ... انها تشعر بانتكاسة بلا سبب حقيقي واضح ... فهي تعمل في مهنة تحبها ، ويجوارها صديق ترتبط به ، ولا توجد في حياتها أية مشاكل مالية ... ولكنها هكذا وجدت نفسها ، ذلك الصباح ... انها غير قادرة على الاستمرار ... وتطرق باب الطبيب الذي يشير عليها بأن تأخذ اسبوعا اجازة للتتريح ... وتستجيب لنصيحة الطبيب وتبدأ الاجازة ... أو بمعنى أدق تبدأ في مراجعة نفسها ... وحياتها كلها ما الذي تفعله ... وما الذي تريده؟!

وكأننا أمام قصيدة شعر يصوغها هذا المخرج البارع ... وتؤديها الممثلة الرقيقة (نتالي باي) وكأنها خلقت لتؤدي هذا الدور ... فهي عندما تخلو لنفسها لتتذكر كيف بدأت التعاسة تزحف الى مشاعرها ، تتوقف عند ذلك الصباح حينما دخلت فصلها المدرسي فوجدت على السبورة عبارات بذيئة كتبها بعض تلاميذها ... وهناك تلميذ يعارك مع زميله ويقذفه بالشتائم الجارحة ... وهي تقف امامها مذهولة ومتوجه بالغضب ، لامية ذلك التلميذ الهائج لتقول له في حدة «لا تنسى ان تغسل فمك قبل ان تأتي الى هنا»!

وتتوالى خواطرها وذكرياتها .. عندما كانت طفلة لم تفكر أبداً أن تكون مدرسة .. ولكن عندما عملت بالتدريس أحبت المهنة أما الآن فهي تعيسة .. وتلتقي بجارها صاحب المقهى الذي يشكو من أبنه فهو يلح لشراء دراجة بخارية .. تسأله أن يشجعه على القراءة .. يقول بأسف انه لايقرأ أبداً .. ويكتفي بالتليفزيون .. وتشن الآن هجوماً على التليفزيون وما يفعله بالأبناء .. وهي تؤكد على كلامه .. وتتذكر عقب تلاميذتها المعقول من التليفزيون .. وتشاهد تلاميذتها والأسلوب اليومي في التعلم المأخوذ عن التليفزيون !! والتعليم في المدارس عاجزاً عن الاصلاح !

إن سر تعاستها الحقيقية .. إنها خائفة من الغد .. وما يخبئه لها المجهول ! .. انها تريد أن يكون لحياتها معنى .. وقيمة .. ولكن هل تستطيع ؟ ويعزف الفيلم على تنويعات القلق والتوتر .. والبحث عن الطمأنينة والسعادة .. وسط بدور الفوضى والعنف والانقباض .. مزروعة في كل مكان .. في مستقبل الجميع ..

● وداعا .. برازيل

وتقدم البرازيل .. فيلما بعنوان (وداعا .. برازيل) لمؤلفه ومخرجه (كارلوس ديجيس) يحكي من خلاله عن رحلة بعض الفنانين المتجولين عبر قرى ومدن البرازيل القديمة .. انهم يتحركون داخل سيارة نقل .. منهم الساحر .. ولاعب الاكروبات .. وراقصة الرومبا .. ثم ينضم إليهم في الطريق هذا الشاب اليائس من حياته في القرية ويريد أن يرحل إلى أي مكان بعيداً عن الهموم وارتباطاته وفقره .. ويعرض عليهم أن يعزف الاكورديون .. ويوافقون على طلبه فيتسلق السيارة مع زوجته الحامل !

وتدور الاحداث بين هؤلاء .. فيها الحلم .. وفيها الثروة .. وفيها الحب .. وفيها أيضا الشر !!

وتمر الأيام عليهم مليئة بالقسوة .. فهم يحاولون أن يعرضوا عروضهم البسيطة الحية .. ولكنهم يفاجأون بأن الجمهور الذي يسعون إليه ؟ يلفت أنهم .. أن الجمهور مشغول بالتليفزيون .. انهم يتكومون بالساعات أمام شاشات التليفزيون العريضة المقامة في الساحات لكي يشاهدها من لا يملك جهازاً خاصاً !!

ويحاولون أن يجتذبوا الجمهور إليهم

المباراة مستمرة ومثيرة .. لكن هل يستسلم التليفزيون لهجوم السينما ..؟ الأيام القادمة ستشهد فصولا أكثر إثارة!

بالغناء والرقص والنداء بالميكروفونات .. ولكن لا أحد يقترب منهم .. فيجمعون مهماتهم وينطلقون بالسيارة إلى مكان آخر .. ويصبح هدفهم أي مكان لا ترتفع فيه هوائيات التليفزيون على المنازل !! ولا يعثرون على ... [illegible]

[illegible]

والفيلم يعبر من خلال هذه الرحلة [illegible] الفن [illegible] والرقص [illegible] الصاخبة .. والآلات المتطورة .. والايقاع العصري ..

وما بين القديم والجديد .. لاينسى المخرج أن يشير بالاتهام إلى التليفزيون الذي تحول إلى مرض عصري أصاب المشاهدين بالكسل من طول الجلوس أمام شاشات التليفزيون .. وأصاب الفنون التقليدية بالتوقف والاندثار ..

وفي مشهد بالغ السخرية .. يقدم المخرج صالة جديدة للرقص والموسيقى العصرية حيث تقف الفرقة الموسيقية تعزف بينما أجهزة التليفزيون مرصوصة أمامهم على خشبة المسرح .. والجمهور يتابع التليفزيون .. وهو جالس أو يرقص .. بينما الفرقة تعزف في الخلفية دون أن ينتبه إليها أحد !

ويؤكد المخرج في النشرة الصحفية الخاصة بفيلمه على التعريف بالبرازيل .. فيقول أن تعدادها ١٦٠ مليون نسمة .. وأن هناك أيضا ٦٠ مليون تليفزيون .. أي جهاز واحد لكل ستة أشخاص !

● تونس .. وفيلم «عزيزة»

ويقدم المخرج التونسي (عبد اللطيف بن عمار) بالاشتراك مع الجزائر .. فيلمه الصغير (عزيزة) .. الذي عرض في برنامج (أسبوع شهر المخرجين) بمهرجان كان .. واستقبل بحفاوة بالغة ! للتقدم أن التفوق هذا الفيلم في حد ذاته .. ولكن ما يهمنا في هذا المجال .. أن المخرج يتعرض في مشاهد سريعة وحية للمسلسلات العربية التي يعرضها التليفزيون التونسي .. حيث يتسمر أفراد البيوت أمام أجهزة التليفزيون في صمت .. ويرتعي ساكتين بأحداث المسلسل .. الذي تتعدى حلقاته المائة وأكثر .. والتي يقول فيها الممثلون أي كلام .. ويتحركون في أي اتجاه .. وأحيانا في بلاهة .. لا يحفظون أدوارهم .. ومخرجو هذه المسلسلات لا يعرفون أبجديات الفن .. فالممثل يظهر على الشاشة وينظر إلى الكاميرا حتى يشير إليه المخرج ليتكلم .. فيتكلم ..

ومع كل هذه البدائية والتخلف الفني والفكري .. نجد شوارع المدينة خالية في وقت اذاعة المسلسل .. ولا صوت يتردد إلا صوت الممثلين وهم ينطقون بكلمات الحوار ..

ولعل (عزيزة) يقدم هذه الادانة لما يفعله التليفزيون .. وسط ادانات أخرى يحفل بها ما حدث في المجتمع التونسي .. أو المجتمع العربي عموماً !

● ●

وهكذا تحاول السينما رد الاعتبار إلى نفسها .. والقاء القفاز في وجه التليفزيون !

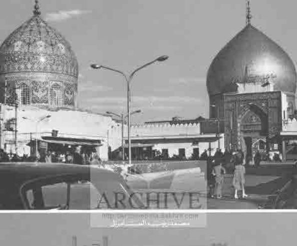
وربما كان من الطريف الاعلانات التي نشرت في مجلات السينما التي صدرت خلال المهرجان .. مهرجان كان لهذا العام .. اعلان عن فيلم امريكي جديد تحت الاعداد .. تقول أحد عناوينه البارزة

(الفيلم الذي يضع التليفزيون .. في مكانه الحقيقي) .. وتحت هذا السطر رسموا صفيحة قمامة كبيرة ممتلئة بأجهزة التليفزيون !

والمباراة مستمرة .. ومثيرة ..

ولكن هل يستسلم التليفزيون لهجوم السينما ؟؟ لا أعتقد .. والأيام القادمة ستشهد فصولا أكثر اثارة عن هذه المباراة التي تدفع ثمنها من أعصابنا .. وعقولنا !!

رءوف توفيق



سامراء
مدينة وامعتصماه

بناها سام بن نوح .. ودعا الا يصيب اهلها بسوء

سامراء مدينة عرفها الزمن فصاغها قلادة علقت على صدر التاريخ .. فما يدان تطوقان الارض .. واحدة تتجه الى التاريخ .. والاخرى صوب المستقبل .. وبين الذراعين تسكن سامراء بهية بوجودها .. ويوجهها الملوي بحركة الالتفاف .. بالجامع الكبير والقصر الكبير .. كلاهما يتطاولان للمتأمل بقيتهما دجلة .. وخطوات المعتصم تسمع .. وحدقة المتوكل تتجول التي سحلتها ابدا تمر الى في المخيلة والذاكرة خضراء باثوابها السندسية الفواحة ..

احدوثة الزمان

وبدأ توغلنا في بحر سامراء الاول مع كلمات ناطقة وشهادة تقدير في رجل خدم التاريخ والحضارة .. انه الباحث العراقي الدكتور احمد سوسة إذ قال عنها في شهادته الناجحة : (اذا افتخر الرومانيون بمدينتهم روما ، واذا تبجح البابليون بعروس الشرق بابل .. واذا افتخر الاكاسرة بطيسفون .. والمناذرة بالحيرة .. فحقيق بالعباسيين ان يفتخروا بمدينتهم العظيمة سامراء التي كانت احدوثة الزمان في ماضيه الايام ...)

وتعد هذه المدينة القديمة معروفة قبل الفتح العربي ، ويحدثنا صاحب معجم البلدان ان ابراهيم الجنيدي قال سمعتهم يقولون : (ان سامراء بناها سام بن نوح ـ ع ـ ودعا أن لايصيب أهلها بسوء) .. وقد اظهرت التنقيبات الاثرية في اطلال سامراء ان موقعها كان آهلا بالسكان منذ أدوار ما قبل التاريخ .. واثبتت التنقيبات ان هذه المدينة كانت مدينة قديمة يعود تاريخها الى ٦٠٠٠ ـ ٧٠٠٠ سنة قبل الميلاد .

وقد اكتشف المنقب الالماني البروفسور

سامراء.. مدينة وامتداد

هرتسفلد الذي عمل في سامراء مقبرة كانت قاخرة للعيش قرب نهر دجلة في سامراء .. أثبت هرتسفلد أن كلا من القبور الفخار المصنوع الذي وجد فيها يعود الى زمن الدور الحجري المتأخر أو العصر الحجري الحديث (العصر النيوليثي) .

شيدت هذه المدينة كما هو معروف في عهد الخليفة العباسي المعتصم بالله (أصغر أبناء هارون الرشيد) ، وذلك سنة ٢٢١هـ-٨٣٦م في غضون القرن التاسع الميلادي أي بعد تأسيس بغداد - دار السلام بنحو خمس وسبعين سنة .

قصة بنائها

ونرجع مستعينين بالمصادر التاريخية لنتصفحها ونقرأ على صفحاتها المنقوشة بالحبر قصة بناء عاصمة الخلافة الاسلامية والعباسية سامراء لكي نتعرف سوية على الأسباب التي حدت بالخليفة المعتصم الى بناء عاصمة له من بعد دار السلام ، في حين نعلم أن الأخيرة لم يكن قد مضى على إنشائها من قبل المنصور حوالي أكثر من نصف قرن من الزمان .

ونقرأ في بطون الكتب أنه بعد تحديد المعتصم واختياره لعاصمته الجديدة استقر به الرأي أخيرا على موضع يقال له إنه موضع مدينة « سام بن نوح » .. وبعد أن اتجه المعتصم الى موضع سامراء ، وبنى مدينته الجديدة حتى نجد الناس قد تبعوه ، وتركوا بغداد فكادت الأخيرة « أن تخلو من السكان إلا اليسير » كما ذكر ذلك المؤرخ اليعقوبي ، وبذلها بسبب تقريب العنصر التركي ومضايقتهم لسكان بغداد وتذمرهم منهم فكان بناء سامراء ...

وتراءت سامراء لقاصديها إبان بنائها كأنها عروسة مكللة بالورود والأزهار والرياحين ، حتى أدهشت الزائر الذي يمر بها ، وتجذبه بجمالها ولا يبرح المدينة أبدا ليبقى ملتقا بمناجيها في كل حين ، ولسكانها ما عطر من السنين بين رحابها .

وبعد أن ترعرعت هذه العاصمة الفتية حتى نجد أبوابها قد انفرجت على مصراعيها لترحب بالقادمين إليها من كل حدب وصوب ، لتضمهم على صدرها الحنون .. فهبط إليها الشعراء والأدباء وأصحاب الفنون والمغنين والمغنيات في العصر العباسي الثاني .

وعلى سبيل الذكر فقد عاش في سامراء من هؤلاء الوافدين نحوها : الشاعر أبو تمام الطائي والبحتري ملتقها الوليان وواصفها الفنان ، والحسين بن الضحاك ، وعلي بن الجهم ، وابراهيم الصولي ، وعبد الله بن المعتز ، وابن الرومي .. وإسحاق الموصلي ، ومخارق وعلوية وشارية ، وعريب .

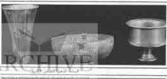
الرحلات العربية

مدينة سامراء بهجة الزائرين ومهبط القاصدين التي إزدانت ولا تزال بجامع الجمعة ومئذنة العجيبة «الملوية» وقصورها الزاهرة ومنشآتها الفخمة ، إستمرت عبر القرون لتمضي نقلة وأصولا اجتماعية ومواضيع علمية وفنية مدينة صارت مصدرا للوارثين ومعينا ومنهلا للدارسين واهتمام المؤرخين والآثاريين والرحالين في مختلف العصور .

وسامراء كاحدى الدول العربية التي قدم إليها الرحالة العرب وشدوا رحالهم صوبها للتعريف بها .. فها نحن الآن نشد رحالنا لنرحل معا الى كتب الرحالة ولنقف على ما دونوا عنها . فقد كتب

إيوان من الذهب

استمرت سامراء عبر القرون تفيض ثقافة وأصولاً اجتماعية ومواضيع علمية وفنوناً بديعة صارت مقصداً للوارثين ومنهلاً للدارسين





عن هذه المدينة العريقة ابن جبير وابن بطوطة وابن العبري واليعقوبي والمستوفي .. كما زارها من الرحالة الأجانب «تافرنيه» و «ممبري» و «ريج» و «جون أشر» و «ولمس مورج» .

ومن كتب بعض الرحالة نورد ما قاله ابن جبير عام ٥٧٨هـ (١١٨٢م) فقد ذكر عن سامراء في رحلته فقال : «ونزلنا في الصباح من يوم الخميس الثاني عشر لصفر على شط دجلة بمقربة من حصن يعرف بالمعشوق ، ويقال إنه كان متفرجاً لزبيدة إبنة عم هارون الرشيد ، وعلى قبالة هذا الموضع في الشط الشرقي مدينة سر من رأى وهي اليوم عبرة من رأى ، أين معتصمها وواثقها ومتوكلها ... » .

ويستمر في قراءة ما كتبه أبو الحسن علي الهروي عن ذكر سامراء حينما دخلها سنة ٦٠٠هـ (١٢٠٣م) ، فيذكر : ... مدينة سامراء وقيل سر من رأى بها الإمام علي الهادي وابنه العسكري ، وبها من الخلفاء ... المتوكل والمنتصر والمعتز والمهتدي والمعتمد والواثق وجامعها موضع شريف به المحجون كانت المرأة بمصر المتوجه الى القبلة الداخل والخارج من الشمال وبه المنارة وعمارتها تشاكل منارة ابن طولون في مصر وبها آثار تدل على عظمتها ...» .

وأما الرحالة العربي المعروف ابن بطوطة فرحل معه في رحلته فدون عنها : «سر من رأى ويقال لها سام من راه ومعناه طريق سام وبراه مختصر الطريق ، وقد استولى الخراب على هذه المدينة فلم يبق منها إلا القليل ، ووصف هواءها بأنه معتدل وهي رائقة الحسن على بدعها ودروس معالمها ...» .

طراز سامراء

لكل مدينة طراز تعرف به وتشتهر ، والذي يزور اليوم متحف سامراء أو المتحف العراقي في بغداد فإنه سيجد تلك الجدران الزخرفية التي كانت بيوتات سامراء آنذاك تنقش على جدرانها .

ونحن نجد أن الفنان قد ابتكر في العصر العباسي فناً زخرفياً له أسلوبه وطرازه ، إذ يمتاز تساويد هذه المدينة على طريقة الحفر المائل التي عرفت بطراز سامراء نسبة إليها ، إذ يمتاز هذا الأسلوب المائل بالزخارف النباتية التي تؤلف مراوح نخيلية وأنصاف مراوح . وقد عثر في حفريات سامراء على هذا الطراز الذي يتمثل في الزخارف الجصية على تيجان أعمدة من الرخام المعرق ، عثر عليها في مدينة الرقة .

وعندما نتأمل تلك الزخارف ونقف أمامها لكي نسترجع تلك الأنامل التي أبدعتها في تلك الأيام المنصرمات فإن هذه الزخارف ستفصح لنا عن الطابع الإسلامي الذي اعتمد على الفروع النباتية ، ولم يقتصر هذا الأسلوب على الجص والحجر والرخام بل استخدمه الفنان في الخشب ، وانتقل طراز سامراء الى مسجد أحمد بن طولون إذ وجد على الجدران والعقود والنوافذ وفي داخل العقود الخشبية لقصر ابن طولون ! .

أما بيوت سامراء فإننا نجدها كما يصفها لنا المؤرخون بأنها كانت تتألف من طابق واحد ، وتمتد في الغالب على ضفاف النهر كما هو الحال اليوم إذ نجد البيوت العامرة تمتد كشريط طويل بمحاذاة دجلة وهي ترتفع فوق طبقات الصخور الصلدة التي تتكون منها المدينة وتربتها الصالحة للزراعة .. وطراز البيت عبارة عن شكل مسقوف يؤدي الى فناء مستطيل ، وفي كل بيت قاعة كبرى على شكل حرف T في اللغة الإنكليزية ، وحجرتان في الركنين على جانب العرض .. كما يحتوي البيت السامرائي عادة على سرداب لتنام فيه العائلة أثناء فصل الصيف

إذ تكون درجات الحرارة منخفضة فيه ، ولا تزال السراديب منتشرة في البيوت القديمة البناء في سامراء حتى يومنا هذا إذ تلجأ الاسرة في وقت القيظ طلبا للبرودة .. والبعض الآخر تركها نظرا للتطور الذي حصل في الأجهزة الكهربائية ودخول أجهزة التبريد المكيفة المتطورة ..

أريف للمهن

إذ قيام عاصمة جديدة للخلافة .. يتطلب بطبيعة الأمر عددا كبيرا من العمال ، لذلك فقد شرع المعتصم بالكتابة الى البلاد والأشخاص الفعلة والبنائين وأهل المهن من الحدادين والنجارين وسائر المصنوعات .. وحمل من مصر من يعمل القراطيس وغيرها .. وحمل من البصرة من يعمل الزجاج والخزف والحصر ، ومن الكوفة من يعمل الخزف والأدهان ، ومن سائر البلدان من أهل كل مهنة وصناعة فنزلوا بعيالهم هذه المواضع ، واقطع فيها ، وجعل هناك اسواقا لأهل المهن بالمدينة ..

واليوم عندما نقف كعرب واتراك لهذه المدينة فلنه سيلقاك الشارع الأعظم وشارع الخليج الذي يمتد حقيا على شاطئ دجلة ومحلات فقد كانت السوق بإرسوقية وهي محملة بالتجارات والبضائع من مدن شمالي العراق وجنوبه ..

ونعرف معا انه لما بنى الخليفة المتوكل على الله المسجد الكبير الجامع ووسعه .. ملوية سامراء (المئذنة الحالية) فانه قد جعل على الطرق المؤدية له حوانيت فيها اصناف التجارات وتباع فيها مختلف الحاجيات كما انشأ المتوكل على الله في المدينة التي بناها شمالي سامراء .. المتوكلية ، سوقا كبيرة واسواقا فرعية متوسطة وصغيرة مثل التي انشأها في سامراء العاصمة ..

اسماء سامراء

إذا قرأت عن سامراء فستجد لها اسماء مختلفة ، في كتب التاريخ والجغرافية و .. ومن الشعر وكتب الأدب التي اسهمت في التغني بها .

ومن اسمائها :

● سر من رأى : وهو اول اسم اطلق عليها بعد ان بناها المعتصم لانها تسر الناظرين وتدخل الى الوجوه الغبطة .

● سرور من رأى ، وذكره ياقوت الحموي ، ولما عمرت وكملت واتسق خيرها واحتفلت سميت سرور من رأى .

● سر من را : ورد هذا الاسم في شعر البحتري وعبيد الله بن عبد الله بن طاهر .

● سر من راء : قال فيها البحتري :
لأرحلن وآمالي مطرحة
بسر من راء مستبقي لها القدر

● سامرا : قال ابن الرومي حينما كان يتردد على سامراء :

فلا تتركوا رد السلام إذا جرت
شمال على تلك المحل غريب
غريب بها نفسان : نفس بواسط
ونفس بسامرا ، ملاك حبيب

● ساء من رأى : يطلق هذا الاسم في بعض القواميس في معرفة الاقاليم للمقدسي .. وسميت بها .. ساء من رأى ..

● سامراء : وهو الاسم الذي نعرف به اليوم .. هذا الاسم .. الحالي .. ولم نعرف اول .. في الجغرافية القديمة ..

العلم والادب

وعلى الرغم من ان رحلتنا في مدينة سامراء لا تزال في منتصفها فلا بد من القاء حزمة من الضوء على جانب العلم والأدب فيها ، ولا بأس في ذلك ولا ضير علينا .. ونجد انه لما اصبحت سامراء موطنا وعاصمة للخلافة ، فقد تهيأ لها من ان تحتل المركز الاول بين المدن الاسلامية الكبرى حتى بغداد ذاتها ، فاصبح للأولى شأن وشأو واضح في الميدان السياسي والتاريخي والعمراني وفي مجال الفن ، بل كان لها شأن مطلق على بغداد من ناحية الحضارة والتجارة ، وعندما نستطلع ما دون عن سامراء من مؤلفات

يقينا فاننا نجدها قد خطت خطوات واسعة وحثيثة في مسارب الحضارة حتى غدت املا يراود العقل الكثيرين ، ومبتغى لذوي المطامح والمناصب .. وكان الناس انذاك إذا اصبحوا بشائقة ما او قل عنهم فهم كثيرا ما كانوا ينزحون مناطق سكناهم ويشدون الرحال نحو سامراء طلبا للعمل وتحصيل الرزق الحلال .

والأهمية هذه العاصمة ، فقد قال احدهم عنها بقوله : لو دخلت الى سر من رأى لما امتنعت منها إلا شهرا واحدا حتى تتكاثر عليك الأعمال ..

ولكن ماذا عن العلم والأدب في سامراء ؟ وهل نتحدث عنهما ولو بنبذة لامحة ؟ حسن ايها الكرام لقد كان العلم والأدب فيها يسيران كصديقين حميمين لا يبرح احدهما الآخر في هذه المدينة يعيشان ويترعرعان في اكناف الخلفاء وكان هؤلاء يقصدون العلماء والادباء ، ويمدونهم بجزيل العطايا وكثير من الهدايا ، مما دفعهم الى صبوب العمل الدؤوب والابداع الفني .

الى ان اصبحت سامراء مثابة للعلم ومهبطا .. بدون شك انها كذلك لانها اصبحت تشع العلم والأدب من بين جنباتها فاهتدى بنورها الرفاع من ضل الطريق .. ونظرا لكم ما روي عن الكندي الذي اهدى كتابه في الفلسفة الاولى الى المعتصم وكتابه .. ملامح الموسيقى في النغم ، و .. استعمال الحساب الهندي .. وأما الجاحظ فقد اهدى الوزير محمد الزيات كتابه الحيوان ، والبيان والتبيين لأحمد بن ابي دؤاد ، والزرع والنخل لإبراهيم الصولي .. في حين اهدى البحتري حماسته للفتح بن خاقان ، وفي سامراء اتم ابن السكيت كتابه إصلاح المنطق وعلي بن زبن «فردوس الحكمة» ..

ومن علماء اللغة والنحو فقد حفلت بهم سامراء وكانت منتجعا لهم ومرتادا يختلفون إليه وكان الخلفاء العباسيون يجرون الاختبارات عليهم في كل شهر .. وسمعت بأن ابا عثمان المازني بعد ان طلبه المتوكل السكن في سامراء .. ويرس فيها وناظر وجادل .. فانه لا يلبث ان طلق راجعا للبصرة وكان يتسلم راتبا شهريا مائة دينار حتى وفاة الواثق فقطعت عنه ، واقام فيها محمد بن يزيد المبرد النحوي وأبو العباس ثعلب ..

وامتحان

عندما تزور سامراء اليوم وتقف متأملا لتلك الآثار الباقية فانك لابد ان تسمع صدى يراود ذهنك ويأخذك معه الى خارج الأفق الواسعة لتتذكر قصة فتح عمورية والتي كان بطلها الخليفة المعتصم بالله ، وكذلك تذكرنا بقصيدة الشاعر العربي أبي تمام الطائي ، وبائيته التي تعد من روائع قصائد شعرنا العربي والتي صور فيها الطائي انتصار العرب بقيادة المعتصم على الروم البيزنطيين .. إذ وصل للخليفة المعتصم وهو جالس في مجلسه خبر عن رجل التقطه بأن

واجهة المعهد الاسلامي في سامراء

امرأة هاشمية في الأسر تلقت بقولها: وامعتصماه.. وامعتصماه..

أي عمل يقوم به الخليفة تجاه نداء «مغربي» هل يبقى في مكانه ويرسل النجدة؟ أم أيبقى الامرأة الهاشمية العربية تئن من العذاب حلالاً يحتملها جسدها الدامي؟ إن النخوة العربية والشهامة الحقة قد زعزعت كيان الخليفة فأمر بتجهيز جيش معد بالعدة والعدد فتوكل على الله مخترقاً حدود العراق متجهاً نحو عمورية وحاصرها.. رغم الجو العصيب الذي قاساه الجيش الفاتح.. بعدها تم بحمد الله فتح عمورية المحصنة وأطلق سراح الامرأة الهاشمية.

وصل الخبر بنصر الخليفة مع انسلام الهواء للناصر وجه سامراء عند أحد الصباحات الجميلة.. ووصل الموكب المنتصر.. وما جاء دور الشعراء الذي يهنئوا الخليفة على شكر الله والحمد له في العودة الحميدة.. فالقى في حضرته أبو تمام الطائي قصيدته الرائعة:

السيف أصدق أنباء من الكتب
في حده الحد بين الجد واللعب
بيض الصفائح لا سود الصحائف
في متونهن جلاء الشك والريب
والعلم في شهب الأرماح لامعة
بين الخميسين لا في السبعة الشهب

وهكذا تم الفتح الإلهي وحفظت الكتب برواية هذا الفتح المبين معونة تعطي بعد أن خرجت الجحافل من سامراء لعمورية في تركيا..

شواهد حضارية

والقادم من السامراء سيلوح له من بعيد عدد من الشواهد الحضارية الإسلامية والتي تحدت الزمن وصروف الدهر وبقيت خالدة الى يومنا هذا تذكر الأجيال القادمة بعظمة هذه الأمة وعطائها المرضي.

فبعد أن تجتاز الجسر الذي يربط ما بين ضفتي نهر دجلة والذي تتحكم سدته (سدة سامراء) بمناسيب المياه يقف الفيضان فانت ستدخل امام حديقة غناء وبناء مرتفع قديم.. وتطوف في الشارع المؤدي الى قلب سامراء لتستدير يسرة وتقف امام ضريح الامام علي الهادي وابنه الحسن العسكري (ع).. وترى القبة الذهبية والتي تعتبر اكبر قبة ذهبية في العالم إذ يبلغ عدد قطعها الذهبية اثنتان وسبعون الف قطعة.. اضافة الى الزخارف والنقوش والابواب ومرداب الغيبة.. والجامع الكبير في سامراء ويجانبه المعهد الإسلامي في المدينة حيث تدرس فيه العلوم الإسلامية والنحو والصرف واصول الدين..

وتنعطف قليلاً لتشاهد تلك الطرقات الضيقة القديمة والبيوت ذات الشناشيل والعقود والزخارف والتي اندثر اليوم أغلبها وبحتم قليلاً تتواجد الطريق البيوت الجميلة الطراز.. وتقف امام جدار يبلغ طوله حوالي سبعة امتار


مدخل المدينة



وارتفاعه عشرة امتار وبه فجوة.. وعندما تسأل على هذا الجدار، فيجيبوك بأنه جزء من سور المدينة القديمة منذ زمن المعتصم وقد هدمه اهل المدينة لكي تمتد مساحتها الى خلف الامتار البعيدة عن هذا السور الوحيد.. إذ كانت المدينة محاطة بسور يحتوي على اربعة ابواب والمدينة في وسطه..

وعندما تغادر هذا الجزء التراثي وتحت ظلال الاشجار وظلها البارد قليلاً ستشاهد السور الكبير وجامع الجمعة وتنعطف يساراً ويمنة لتقف امام المئذنة الخالدة (الملوية - ملوية سامراء) والتي عرفت بها.. والتي تقف شامخة كالطود بعد أن تكسرت على ادراجها موجات السنين الذاهبة الى غير رجعة..

وستمع الى صدى التاريخ ونحن نقف بمحاذاة امام المئذنة التي كان صوت الله اكبر ينطلق من قمتها خمس مرات يومياً منادياً لاقامة الصلاة في جامعها الكبير.. فستمع الى صوت يحدثنا بقوله: لقد انفق المعتصم خمسمائة الف دينار ذهب ويبنى حولة المنارة الملوية.. وارتفاعها اثنان وخمسون متراً.. ويرقى إليها (الملوية) بواسطة سلم من الاجر الاحمر بالمحاذاة عكس عقرب الساعة.. وتتكون المئذنة من ستة طوابق اضافة الى القاعدة المربعة وكانت جدرانها مزينة بالزجاج الملون والذي تنعكس فيه اشعة الشمس الذهبية فتبهر العيون وتخلب الالباب..

ويرى سامراء اليوم يستطيع أن يشاهد ملوية اخرى غير هذه التي في سامراء، ولكنها اصغر منها اذ يبلغ ارتفاعها حوالي تسعة عشر متراً وتقع في مدينة المتوكلية شمال سامراء وعلى مسافة عشرة كيلومترات.. في حين اكتشف في الاشهر القليلة الماضية من قبل الهيئة العامة للآثار على ملوية ثالثة في سامراء.

دار الخليفة

ونغادر سامراء متجهين عبر الشارع نحو لنشاهد أثر صحيحاً.. ونتعرف عليه بانه تل العليق، او ما يطلق عليه باللغة العامية المحلية في سامراء بقسم.. تل العليج.. وهو مخروطي الشكل يبلغ قطره حوالي مائة متر محاط بخندق واسع.. في حين يبلغ قطر السور المحيط بالخندق نحو اربعمائة وخمسين متراً..

واما سبب تسمية هذا التل بالعليق فيعلله الناس برواية يتناقلونها اباً عن جد، حيث يروون ان التل تكون من التراب الذي نقله الجنود الخيالة بعليق خيولهم!!

وننظر الى الجهة المقابلة للتل من جهة نهر دجلة فنشاهد اطلالاً واسواراً باقية.. فنتوجه اليها فنشاهد الجدران الباقية والاطلال الدوارس وتقف عند ثغرة صغيرة.. ونصل بعد دخولنا



ميدان سامراء وتظهر منارة جامع حسن باشا



قبة المهدي

الى شكل مستطيل وبه اعمدة واطئة .. ويعرف انه بهو السباع حيث كان الخليفة يعاقب المجرمين والمخالفين بوضعهم مع هذه السباع الجائعة .. ونخرج من هذا البهو سائرين ونغادره الى جهة النهر لنقف امام بناية مرتفعة يبلغ ارتفاعها سبعة عشر مترا وتتألف من ثلاثة اواوين راسية العقد اكبرها الايوان الوسطي وهو مستطيل إذ يبلغ طوله سبعة عشر مترا ونصف وعرضه ثمان امتار . وجداره الجانبيان يحملان عقادة راسية ترتفع قمتها عن الأرض حوالي اثنى عشر مترا .

ومن المكتشفات الأثرية عرف بان هذا البناء كان يفضي في الاصل الى عدة قاعات كبيرة . تؤدي الى غرف الخليفة المعتصم وقاعة العرش

ونلاحظ عن يمين الشارع خندقا واسعا نعرف انه البركة الحسناء التي وصفها الشاعر البحتري بقوله .

يامن رأى البركة الحسناء رؤيتها
والآنسات إذا لاحت مغانيها

ويقضي اهل المدينة اوقات العطل والمناسبات واثناء فترة الربيع حيث تكون الارض مفروشة ببساط اخضر وزجحة تغرد فيه الطيور وتسبح فيه الاسماك من اجل الحصول على قسط من الراحة والتمتع بهذه المناظر الخلابة . اضافة الى مقدم سامراء يوميا من مختلف انحاء العالم مئات من الزائرين والسياح الاجانب

قصر العاشق

وقبالة دار الخليفة وعبر نهر دجلة تلوح لنا اطلال اخرى وهي : قصر العاشق (المعشوق) بقية المسيحية . ويقع قصر العاشق او كما اطلق عليه المؤرخون (المعشوق) بعدد عشرة كيلومترات شمال سامراء من الجهة الغربية لدجلة . بناه المعتمد خلافة من ان يتركه مستقل؟ نهائيا ويرجع عاصمة الخلافة الى بغداد . وهو مستطيل الشكل يبلغ طوله مئة وواحد وثلاثون مترا وعرضه ستة وتسعون مترا ويدور حول القصر خندق واسع وذكره البحتري بقصيدته .

لازال معشوقك يسقى الحيا
من كل داني المزن وهي الطروق
لم ار كالمعشوق قصرا بدا
لاعين الرائين غير المشوق

وعن يمين قصر العاشق تنتصب قبة مثمنة الشكل تتوسطها قاعة مربعة .. اما عن اصل هذه القبة . فيروى : انها كانت ضريحا لاحد الخلفاء . فيما يعتقد الآخرون انها كانت قنطرة على رأس الجسر في الجهة الغربية . وهي في ذات الوقت قبة حراس الجسر لوقوعها امام الجسر مباشرة .

وسبب تسمية هذه القبة المثمنة بالصليبية . فهو مشتق من صلب بعض الاشخاص .. ولكن هرتسفلد يرى انها ضريح الخليفة المنتصر على رواية الطبري وهو اول خليفة عباسي فيما قيل عرف قبره . والله اعلم ؟

ومن شواهد سامراء الاخرى والتي لاتزال مطلة فوق تراب هذه المدينة تل الصوان والذي عد من اقدم المدن القديمة .. وفيها معمل للزجاج (يلي ذلك العهد .. وهناك اثار تسمى (القائم) وسور لقادة المعتصم قرب ملوية سامراء عيسى والشبشي وقصر بلكوارا ..

إضافة الى الشواهد الحضارية .. فتشتهر سامراء بمعرف من زراعة الرقي والبطيخ .. وخاصة بطيخ سامراء المعروف في كل مناطق العراق .. لخصوبة تربتها وطيب هوائها .. إذ كانت سامراء تصدر البطيخ عن طريق دجلة وذلك بوضعه في الكلك وهو عبارة عن وعاء من الخشب يشبه الزورق النهري وهو على شكل دائري .. .

والتونها ذكر عادات سامراء وهي عادات عربية اصيلة تشابه كل ما في المدن العربية وما يربطها من تقاليد موروثة .. فالزواج من عاداته انه قبل ان يزف العريس فانه يذهب في سيارات تطوف المدينة وشوارعها وسط الاغاني والاهازيج بعدها يذهب الى ضريح الامام علي الهادي لتؤدى الصلاة هناك وهي صلاة العشاء ويغادره محفوفا بالاحبة والاصدقاء .

وكانت النساء في هذه المدينة قبل سنوات يذهبن الى ملوية سامراء ويصعدن الى قمتها ومن فوقها يلقين بعباءاتهن السوداء وذلك طلبا للحظ والاماني فان انفتحت العباءة فتكون الامنية متحققة باذن الله . وإن لم تنفتح فقد تخيب امنيتها وهي اليوم زائلة .

وتغفو هذه المدينة بعد ان اعلن الشمس بالدخول الى مغيبها وتلتقي في خدرها الى الصباح الباكر .. وهكذا فسامراء اليوم تصبغه بالوجد والقصائد فهي ستظل معلقة بين مصابيح لا تنطفىء .. تملأ وجوهنا ووجوه زائريها يوميا من كل بقاع الدنيا برائحة الماضي وبضياء الامانين .. لكي تمتزج فوق اعمدتها واطلالها رياح الجهات الاربع .. وتبقى ملويتها اسيرة للقلب . وإذ تستحق نهاياتها . فلان بداياتها واسعة مثل عيني سامراء !

محمد رجب السامرائي



يعقوب الشاروني

دراسة في أدب الطفل

الحكايات: ماذا تقدم للأطفال؟

استقر رأى رجال التربية وعلماء النفس، على أن الاسلوب القصصي هو افضل وسيلة نقدم عن طريقها كافة ما نريد تقديمه للاطفال، سواء كان ذلك قيما دينية او اخلاقية، معلومات علمية او تاريخية او جغرافية، توجيهات سلوكية او اجتماعية.

إن حب الاطفال للقصص والحكايات، أمر شائع ومعروف. فالاسلوب القصصي، بما فيه من تشويق وخيال وربط للاحداث، يمكن ان يكون الوعاء الذى نصب فيه كافة ما نريد تقديمه للاطفال.

كذلك فان من اهم وسائل تنمية وعى القراءة، وتنمية مختلف القدرات اللازمة لجعل القراءة عملية منتجة ومفيدة، ان نقص القصص للاطفال، وان نعاونهم على قص القصص بانفسهم.. ان نقرأ لهم القصص، وان نشجعهم على ان يقرأوا القصص بانفسهم، لانفسهم ولغيرهم.

إن للقصص دورا هاما في التربية، سواء من ناحية توجيه السلوك، او تنمية الخيال، او تنمية الاحساس بالجمال، او ادخال المتعة، او ترقية اللغة.

كذلك فان توجيه الاطفال، بعد استماعهم الى قصة او قراءتها، لرسم احداث منها، او اعادة كتابتها، او تمثيل بعض مواقفها، يساهم كثيرا في تنمية خيال الاطفال، وقدراتهم الفنية واللغوية.

كذلك فان تشجيع الاطفال على اعادة قص القصة وروايتها، ينمى فيهم القدرة على التركيز، وسلامة التعبير، وقوة الملاحظة، كما ينمى فيهم الشجاعة والثقة بالنفس.

إن القصة هي الوسيلة الفنية

دراسة في أدب الطفل

الحكايات: ماذا تقدم للأطفال؟

المتلقية ، التي لابد من استخدامها ، لكي توصل الى الطفل كافة المعلومات والقيم

اختيار القصة :

ولكن ليست كل قصة صالحة للاطفال فكثير من القصص التي تقدمها الكتب او وسائل الاعلام للاطفال ، تتضمن مفاهيم ونماذج سلوك كبيرة الخطر على الاطفال وكثيرا ما نترك اطفالنا تحت تأثير مثل هذه القصص ، التي تقدمها بكثرة مجلات الاطفال في قصصها المسلسلة المرسومة (الكومكس) ، او التي تقدمها البرامج المرئية (التلفزيون) .

وهذه الدراسة محاولة للتنبيه لأخطر ما تتضمنه القصص الشائعة ، التي تقدمها عادة وسائل الاعلام الواسعة الانتشار ، والتي كثيرا ما تقدم للأطفال مفاهيم خاطئة .

إن القصص من اهم المصادر التي يعتمد عليها الطفل في معرفة حقائق الحياة ، ومن اخطر الامور ان نقدم لأطفالنا قصصا تؤكد لديهم قيما او نماذج سلوك خاطئة او منحرفة .

ويلاحظ في هذا الصدد ، ان هناك قصصا يمكن ان تعدل في احداثها ومواقفها حتى تناسب الاطفال ، فمعظم القصص الشعبية ، بها كثير من مواقف العنف ومنافاة الاخلاق ، ومع ذلك فقد أعيدت كتابة عدد كبير منها ، لتنقيتها من هذه الشوائب ، مع الاحتفاظ بما فيها من جاذبية وتشويق .

اما اذا تعذر تنقية القصة مما بها من شوائب ، فيجب استبعادها تماما من دائرة ادب الاطفال .

العنف كوسيلة لحل المشاكل :

ومن اكثر النماذج السيئة التي نقابلها في قصص الاطفال ، تلك القصص التي تمجد العنف كوسيلة لحل المشاكل ، او التي تجعل القوة البدنية هي العامل الاقوى في حسم مختلف المواقف ، وذلك مثل قصص «طرزان» او «سوبرمان» او «الجاسوسية» والتي لاتحتوى على اي قيم انسانية او اخلاقية .

إن تاريخ الحضارة ، هو تاريخ احلال العقل محل القوة ، وعندما نقدم للاطفال شخصيات مثل «طرزان» ، الذي تربى بين الحيوانات ، والذي لايعرف وسيلة لحل ما يواجهه من مشكلات إلا القوة البدنية فان الاطفال سيمحقون من سلوكهم كل ما قدمه لنا تاريخ الحضارة من وجوب استخدام العقل في حل المشكلات بدلا من القوة ، وهو امر يتنافى مع اهم اهداف التربية السلوكية للأطفال ، فاول ما نهتم بغرسه في اطفالنا ، هو تدريبهم على مواجهة المشكلات وحلها بنجاح ، وذلك عن طريق استخدام العقل ، مع استبعاد القوة البدنية بشكل شبه كامل .

إن «الاوديسا» عندما تحكي قصة «يوليس» مع «السيكلوب» ذي العين الواحدة ، تبين كيف استطاع الانسان الضعيف تحطيم القوي بحيلة .

إن يتغلب على ابن الآلهة ، القوي بجسده ، الضعيف في عقله ، [illegible] العقل ، [illegible] [illegible] على العقل بدل القوة ، ثم ماذا نحن [illegible] مهمة [illegible] [illegible] ، انقضى على اطفالنا بقصص طرزان وسوبرمان والجاسوسية التي اشرنا اليها ، فتلغى بها كل انجازات الحضارة عندما نؤكد بما نقدمه لاطفالنا من تلك القصص ، ان القوة هي الوسيلة المثالية الحاسمة لحل كافة المشكلات التي تواجه الانسان .

العطف على قوى الشر:

كذلك يجب تجنب القصص التي تتضمن اثارة العطف على قوى الشر او تمجدها مثل القصص التي يتغلب فيها الشرير على الشرطي او على ممثل القانون .

إن بعض من يقدمون مثل هذه القصص ، يدافعون عنها بقولهم انهم يعرضون صور السلوك الخاطئة ، لكي يقوموا بادانتها في خاتمة القصة .

لكن مااشد خطأ هذا التصور .

إن الاطفال يتأثرون بمختلف مواقف القصة التي يقرأونها او تحكيها لهم ، لما في تلك المواقف من حركة وتشويق ، فاذا كانت تلك المواقف تتضمن المجرم التي او تمجيده ، واظهار بطولته ، فان هذا هو الذي سيؤثر بعمق في الاطفال ، اكثر كثيرا مما يتأثرون بخاتمة تدين فيها الشر بعبارات عامة .. فما اقل تأثير الخاتمات على الاطفال ، وما اقوى تأثير مواقف الحركة والحوار والخيال عليهم .

السخرية بالآخرين :

كذلك يجب تجنب القصص التي تقوم على السخرية بالآخرين ، عن طريق تدبير المقالب لهم ، وايقاع الأذى بهم ، مثل موضوع الافلام المتحركة «توم وجيري» .

إن هذه الافلام وامثالها تجعل الصراع حتى الموت هو الوسيلة الوحيدة لانهاء التنافس بين الاطراف المتنازعة ، والموضوع الرئيسي المتكرر فيها ، هو ما يدبره كل طرف للطرف الآخر من اساليب للأذى . واذا كنا نضحك ونحن نشاهد مثل هذه الافلام ، فان الطفل الذي يشاهدها في السينما اسبوعا بعد اسبوع ، او في التلفزيون يوما بعد يوم ، سيتركز في وعيه نمط خاطىء من السلوك ، من السهل تقليده والتمثل به ، لما فيه من متعة للاحساس بالتفوق على الآخرين رغم ما يسببه لهؤلاء الآخرين من اذى واضرار .



القصة هي الوسيلة الفنية المثالية لتوصيل المعلومات للطفل

احتقار الحياة الانسانية :

كذلك يجب الحذر من القصص التي تتضمن ازدراء الأجناس الملونة ، او احتقار الحياة الانسانية والاستهانة بها ، مثل القصص التي تدور حول ابادة الهنود الحمر او قصص طرزان التي تؤكد تفوق الرجل الابيض .

إن قصص الغرب الامريكي ، التي كثيرا ما تقدمها القصص المصورة المسلسلة في مجلات الاطفال ، تؤكد لدى الاطفال شعورا قويا بتفوق الرجل الابيض ، وبتفاهة حياة سكان امريكا الاصليين ، وبأن من حق الرجل الابيض ان يقتلهم كما يقتل الحيوانات المتوحشة

ومثل هذه الصورة نجدها ايضا في قصص طرزان ، التي يتجه فيها هذا العملاق الابيض الى استعداء الحيوانات على اهل افريقيا السود ، تقتل منهم من يرى انهم اصبحوا أعداء له .

إن مثل هذه القصص ، تجعل الحياة الانسانية شيئا هينا في وجدان الاطفال في حين ان من اسس التربية السليمة ان ننمي الاحترام للحياة الانسانية والحفاظ عليها وتقديرها بل وتقديسها ، مهما اختلف لون البشرة .

التبسيط المخل للشخصيات :

كذلك يجب الحذر من القصص التي تلجأ الى تبسيط الشخصيات ، وتجعل بعضها ممثلا للخير المطلق وبعضها ممثلا للشر المطلق ، مثل كل قصص الرجل الخارق للطبيعة « السوبر مان » لان هذا مخالف لطبيعة البشر ، ويؤدى الى فهم الاطفال لمجتمعهم فهما خاطئا ، ففي كل انسان جانب طيب وجانب خبيث والمهم ان نفهم دوافع الانسان واسباب سلوكه ، لكن بطريقة مبسطة تناسب الاطفال .

إن هذا النوع من القصص يؤكد قيما مضادة لكل ما قامت عليه نظم الدول المتمدينة الحديثة ؛ فمن القيم التي يجب ان تشيع في نفوس الاطفال ، احترام القانون ، وترك مهمة محاكمة المخطىء والحكم عليه وتنفيذ الحكم للقضاء وسلطات الامن . لكن كثيرا من قصص الرجل الخارق للطبيعة تجعل البطل هو الذي يحدد ما هو الخير وما هو الشر ، وتتركه يحكم على الآخرين بمعياره الشخصي ، وينفذ بنفسه ما ينتهي اليه من احكام !

يضاف الى هذا ان هذه القصص تزيف الحياة ، عندما تجعل في متناول البطل الثروة والسيارات والطائرات وكل وسائل الراحة ، دون ابراز أي جهد قد بذله للحصول على هذه الوسائل ، حتى انه يحصل في كل يوم ما يتساوى عشرات الألوف من الجنيهات دون أن يتعب أو تدم ثم يجد غيرها بنفس السهولة ، رغم انه من أسس التربية السليمة ان نعلم الاطفال على نشر قيمة ما يحققون لما يتطلعون الى امتلاكه ، وانه لابد من بذل الجهد للحصول على هذا الذي يتطلعون اليه

وإذا قيل ان مثل هذه القصص تنمى الخيال العلمي ، فانه يجب التفرقة بين القصص التي تقوم على تنمية « اسلوب التفكير العلمي » الذي يعتمد على الملاحظة والاستنتاج والتجربة والخطأ ، ووضع الفروض وتمحيص هذه الفروض حتى يصل البطل الى نتائج ايجابية ناجحة ، وبين القصص التي تحفل بها الكتب والمجلات التجارية ، والتي تقدم للطفل ، دون مقدمات ، اجهزة ووسائل جاهزة ، يستخدم البطل بعضها في الدمار والقتل ، دون اية اشارة الى اسلوب التوصل الى اختراع تلك الآلات ، او اية اشارة لما يمكن ان تمنحه للبشرية من فوائد . فهي قصص توهم بأنها من قصص الخيال العلمي ، في حين انها في الواقع من قصص « الهذيان » الذي يستعير من العلم اشكاله الخارجية ، دون مضمونه الحقيقي .

إثارة مخاوف الاطفال

كذلك يجب الا تتضمن القصة ما يثير مخاوف الاطفال . فالخوف هو احدى القوى التي تعمل على البناء او الهدم بالنسبة لتكوين الشخصية ، وقد يؤدي الخوف الى تشتيت الطاقة العقلية ، بدلا من توجيهها الى الاهداف النافعة .

واكثر مخاوف الاطفال تثور بسبب انواع الخبرة التي يتعرضون لها في سنواتهم الاولى ، ومن اكثر هذه الخبرات تأثيرا ، ما يسمعونه من قصص .

إن اكثر المخاوف التي يعاني منها الطفل ، يغلب ان تكون تقليدا لمواقف رآها في اهله ، او سمعها في قصص واقعي او خيالي ، قرأها ، او سمعها في الاذاعة ، او شاهدها على شاشة التليفزيون . فاذا استخدمت القصص عنصر اثارة الرهبة والخوف كوسيلة للتشويق وجذب الانتباه ، فان الطفل قد ينسى عند سماع القصة نهارا ، وهو في حمى الكبار ، ولكنها تملؤه خشية ورعبا عندما يصبح وحيدا في هدأة فراشه او غرفته ، فنجد خياله وقد اصبح يسيطر عليها الخوف من الظلام او الحيوانات او اللصوص او رجال الشرطة او العفاريت ، او حتى الخوف من مجرد الخروج الى الطريق العام ، او من مواجهة الناس والحياة . وهذا الخوف اذا اتسع مداه ، او زادت شدته ، اصبح سببا لعجز الطفل واعاقة نشاطه .

ان واجبنا ان نختار دائما القصص التي تعمق القيم الدينية والاخلاقية او تثير الاهتمام بالادب والفن والعلم ، او تبرز قواعد السلوك او تنمي الشعور بالمسؤولية ، وبوجه عام ، التي يدور مضمونها حول ما نريد ان ننميه ونبنيه في اطفالنا من قيم واتجاهات بشرط ان يجيء كل هذا في ثنايا القصة ، ولا يجيء عن طريق مباشر .

يعقوب الشاروني

بقلم: محمد المنسي قنديل
رسوم: جمال قطب

كل نساء الصحراء

الخروج . العشق . الموت



● قالت لي محاولات الأنثى لا تنبع من التحضر .. سوف أتحول إليها
● من الآلا القبيلة ؟ التي جعلت الأشواب تنتهي بشيء من بيئته .. أم من هؤلاء ؟

خيمتي بعيدة . معزولة وسط البراري وتحت رحمة الصحراء . والرمل أمامي مطلق اليدين في كل المصائر . والريح تأتي إليّ بشيء من الروائح والأحاديث والذكريات . وأنا وحيد على الجبل الوحيد . وفي حاجة لامرأة ... من أنا بالضبط ؟ ... ابن جيد . عاشق خاب سعيه . منبوذ من قبيلته . أم خليط من كل هؤلاء .. ما الذي جاء بي إلى هذه الصحراء العربية الغامضة .. ليس من النادر أن أسير إلى مضاربهم . في كل مرة أسير إلى قبيلة مختلفة ولكني لا أحس فرقا فأنا أسير في الساحات الخالية والطرقات غير المألوفة .. وأقف طويلا أمام أي خيمة حتى اكتشف أنها ليست خيمتها .. فأعود وحيدا إلى خيمتي الوحيدة ..

أريد امرأة صحراوية . تعشق وتغني وتغضب وتنثر الحصى على الرمل نجوما ملونة . وتخرج معي للغزو . تشاركني سرقة الخيل والإبل . تحمل في داخلها سهد الصحراء . ورطوبة الواحات . وعذوبة الآبار القديمة . لا تصغي إليّ ولا تكف عن دفعي للحديث ورواية الأشعار واختلاق الخرافات . لا ترضى بهدية ليست مسروقة . ولا بنجمة مقطفة . ولا بقبلة بدون رغبة قوية .

ولكن بعد ليال طويلة لم أكن قد وجدتها . كنت ألمح طيفها الرقيق يتشكل من الصخر والرمال .. وهبت ريح عنيفة . اقتلعت خيمتي . واطاحت بأشعاري . وانتفضت الصحراء مثل امرأة حبلى بالألم . وجدت نفسي انحدر رغما عني . اهبط إلى واد لم أره من قبل .. بين أشجار جافة وأعشاب وحشية وشاطئ أبيض بعيد كأنه بحر من الملح .. كنت أعرف أنها بانتظاري .. مثوبها الصحراوي الخشن . وقعب اللبن الفاتر كنت أردد أشعارا لم تخطر بفكري من قبل .. ولا أتوقف عن الانحدار كان الوادي الغريب يتجسد في داخلي كائنا حيا . صرخت : أين أنت ؟ .. أجابني الصدى .. أنت في وادي عبقر .. فوضعت جسدي على حافة الوادي وانتظرت .. قال لي صوت كأنه نهيج من الصخر ..

– أنا سوف أقودك إليها ..

* تلفت مفزوعا .. رأيت امرأة فارعة الطول ترتدي ثوبا يمنيا .. لم أمير ملامحها .. قالت ..

– ألا تعرفني .. أنا زرقاء اليمامة ..

اقتربت .. رأيت وجهها .. وهالتين من السواد الذابل مكان عينيها .. امسكت ذراعها كأن مخالب باردة انغرست في لحمي .. قالت في قسوة .. لا تكن أعمى فتحسبني عمياء .. كان في صوتها رنة الذعر .. والنبوءة .. تبعتها في فجاج الوادي . سمعت وجيب الصخور وهمس الينابيع الغامضة والغابات المطمورة .. قالت لهم .. يا قومي إن الأشجار تتحرك وإن العساكر ترعد .. فضحكوا منها وعاودوا الشراب . وحين جاء الموت والأعداء .. فقأوا عينيها .. فقتلوا في بكيها في [illegible]

قالت .. [illegible] من مع الحجر .. كهاتك في الجحيم .. أو الموت .. [illegible] السمر في الليالي .. فلم أجد له .. [illegible] ولكن زرقاء اليمامة .. [illegible] من هذا الوادي .. [illegible] الخير ..

الخروج

من أين يبدأ الرحيل إلى أرض سبأ .. ؟ .. كان العمار فيها أزيد من مسيرة شهرين للراكب المجد . وأهلها يقتبسون النار بعضهم من بعض مسيرة أربعة شهور .. ثم مزقوا كل ممزق ..

بدأت الكارثة بالنذير . وبدأ النذير عندما رأت طريفة الخير حلما . سحب ثقيلة لا تحمل مطرا وحين ارتعدت هبت الرمال منها على أرض سبأ وغطى كل شيء ونهضت طريفة مفزوعة .. هرعت إلى زوجها الملك عمرو بن عمرو ... كان مختليا في الحديقة باثنتين من جواريه . ووقف أمامها نصف عار . نصف خجل . كانما كان يتوقع أن تلومه .. ولكنها قالت :

– ما رأيت كاليوم . حلما أزال عني النوم . رأيت غيما تزعد وابرق . وزمجر واصعق . فما وقع على شيء إلا احرق .. واكمل الملك ارتداء ثيابه في هدوء .. أشار إلى الجاريتين بالانصراف لم حشر يستمع إلى حلمها .. ولم يستطع أن يمنع ابتسامة المحزنة من التسلل إلى شفتيه وهو يرى رعشتها . فسبأ أرض خضراء ممتدة إلى أقصى البصر . والسد في أعلى الجبل يخزن المطر لكل الأعوام ما هذه الأحلام سوى بعض أعراض الاضطرابات الجنسية .. طلب منها أن تنسى الحلم ... ووعدها بأن يزورها ..

وفي اليوم التالي اشتد الحر حتى احترقت السماء . واخذ الشجر ينكفئ بغير ريح . وهذه المرة تسربت النذر إليها وهي يقظى . هرعت إلى خلوة الملك وزفرت في ظل بالغ وهي تهتف به ..

– والنور والظلماء . والأرض والسماء إن الشجر لهالك . وليعودن الماء كما كان في الزمن السالك ..

ولم يرد عمرو اليانه . ولم يأمر الجاريتين بالانصراف . ولم تجد طريفة أي وعد .. وسارت وحيدة تحت السماء الصفراء . وسط الشجر المنكفئ . حاولت أن تصعد الجبل فاعيتها المحاولة . سارت في الشوارع الغافلة التي لا تحس دبيب الموت .. في الحدائق حسبوها أحد البغايا . وفي المعابد حسبوها صابئة . وحين تكلمت لم يستمع أحد إليها .. وقال لعمرو ..

– جنت زوجتك ..

وكان عمرو رغم مغامرات الحديقة اليومية لا يزال يحبها .. سألها عما تريد .. قالت ..

– إصعد إلى السد . فإن رأيت جرذا يكثر بيديه الحفر في السد ويقلب برجليه من أجل الصخر فاعلم أن غمر الغمر .. وأن وقع الأمر .. وابتسم عمرو في إشفاق ووافق على اصطحابها . وكان طريق الجبل وعرا .. وبسبب ذلك لم يحاول أحد الصعود منذ عشرات السنين ولا أحد يدري أن بدأ عملاقة ... شقت الطريق وبنت السد وصنعت تحته الحياة ..

ونظر عمرو لاهثا إليها . رأى وجهها هشا . محلق النظرات . وكان السد شامخا .. متراص الأحجار مثل وجه





عجوز متغضن .. كان شاحبا .. مميتا .. وأوشك عمرو أن يهتف فيها .. أرأيت ابنتها المجنونة .. ولكنها قالت ..

ـ لا تنظر إلى أعلى ..

ونظر عمرو إلى أسفل السد فرأى الفئران .. المئات منها تنشب أظافرها في الطين وفي الصخر .. وتعمل في دأب مروع .. ونفثت الصخر بحنق الطواحين والأوبئة .. كأنها تحت تأثير لعنة موروثة وبدا السد الشامخ مرتعدا .. كانت كل تفاصيل الكارثة محددة .. وتمتمت طريفة

ـ إنه سيل العرم .. لا يبقى ولا يذر .. وصرخ فيها ..

ـ اسكتي لعنك ابنها الكاهنة الحمقاء ..

ثم قال لها في توسل ..

ـ إنها نهاية مأرب ياطريفة .. ولو علم الخبر لتدافع الناس للهرب .. فلننج نحن بأموالنا ولنبع ضياعنا ثم نرحل إلى مكان آخر ..

قالت طريفة في ذهول ..

ـ ولكنك الملك ..

ـ لا ملك أمام الطوفان ..

وهبط عمرو متظاهرا بالهدوء .. وحبس طريفة في أقصى قصره وشاع أن جنونها قد تم .. وافتعل مشاجرة مع إبنه ومع أقرب أصدقائه .. ومع كل من يحيط به .. وأقسم ألا يعيش في هذا البلد الذي أهين فيه وأخذ يبيع ضياعه وأمواله .. واغتنم الجميع فرصة غضبته ونسوا طريفة الخبر ... والتحذير .. حتى جاء الطوفان كالقيامة .. وفي غمرة الفزع الإنساني الرهيب نسي الجميع وجودها وظل الماء يرتفع في عرضها محملا بالرمل والحصى والجرذان الميتة وبقايا البيوت والثياب .. والذكريات .. وقد غرق كل شيء ..

العشق

لم أكن أكره طريفة .. ولكني لم أكن أريد لقاءها .. وعندما يكون لديك امرأة عمياء مثل زرقاء اليمامة فعليك أن تتوقع كل شيء .. صحت فيها ..

ـ لا أريد كاهنة .. لا أريد امرأة تخترق الغيب الذي أخشى مواجهته ..

قالت زرقاء اليمامة في احتقار بليغ ..

ـ وماذا تريد إذن ...؟

قلت .. أريد امرأة ضعيفة .. تعشق وتخاف من الغيب .. وتتفاءل باللحظة الحاضرة ..

هتفت في حدة ..

ـ أيها الأبله .. لا توجد امرأة ضعيفة حتى ولو كانت عاشقة .. وتركتني أتخبط وحيدا .. من أين تبدأ قصص العشق في الصحراء .. كيف تنمو زهوره الرقيقة وسط هذه الحياة القاسية .. تحت الشمس التي تمتد وتكشف كل مكان فوق الرمل .. ولكن .. لابد أنه في مكان ما .. في فجوة بين الصخور .. تسع رجلا وامرأة ومسافة بين كلمات الحرب والتفاخر .. بعيدا عن كل الشراك والكمائن .. في كل الأمسيات هناك امرأة تنتظر رجلا .. مثلما كانت ليلى الأخيلية تنتظر عودة توبة .. ولكن القبائل كانت قد ضجت من غزواته فأقامت له كمينا لم يفلت منه .. وعادت إليها جثته ناقصة الأطراف فقالت كل الشعر الرثاء الوقحة حتى استجاروا منها .. وتحولت السلوى إلى قصيد هائل .. لم يبعد قومها منها إلا الموت حين رحلت ودفعتها ناقتها فماتت على قبر توبة .. ولكن عبلة بنت مالك احتضنتني بين ذراعيها .. لم أر أحدا يجملها في هذا الوادي القفر .. كانت تعويذتي .. تجوس حولي .. وتتجول عيونها كطائرين مجنونين ..

قالت .. يبدأ العشق بي .. عندما أحبني عنترة وأعلن حبه بصرامة السيف وبلاغة الكلمات .. قلت .. ولكنك لم تتزوجي به ياعبلة .. قالت في استنكار بالغ .. أتزوج عبدا .. يكفي أن حبي له منحه الخلود .. لو أنه عشق زنجية مثله هل كان يتذكره أحد ؟ .. وكانت صادقة لدرجة مريرة .. وامتلأ الوادي بأصوات النساء .. هل يوجد كل هذا العدد الكبير من العاشقات ؟ هل رسم الحب خطوطه الطويلة فوق الرمل الأصفر ؟ صاحت عزة .. رغم أنها أنكرت أكثر من مرة أنها عاشقة .. كانت خجلى لأن عاشقها هو كُثَيِّر .. رجل لا يتجاوز طوله الأشبار الثلاثة في عالم حافل بالفرسان والمغاوير .. لم يضع اسمها إلا قلبه

وشعره .. وظل يسير خلفها بقامته القصيرة كأنه ظل لها .. وجاءت ليلى سامحة .. تركها قيس تحت الحاح أهله .. كانت تحبه ولكنها فشلت في أن تنجب له ولدا .. والح عليه ابوه وامه أن يطلقها ولكنه رفض .. فاضربت امه عن الطعام .. وخرج ابوه الى العراء وظل واقفا تحت الشمس والظل والمطر عاما كاملا .. وكان قيس يتوسل إليه أن يرحم شيخوخته ويظلله بردائه لعل حدة الشمس تخف قليلا .. وحين يعود إلى ليلى يبكيان سويا .. لا تستمع إليهما فتصيح وتضيعني .. ولكنه لم يستطع المقاومة .. وعجز عن أن يقيم أود حياته بعد ذلك .. وحتى بعد أن توجه ابواه إليها وطلبا منها العودة رفضت ..

.. ورفضت الكثير حتى سار إليها ثلاثة شعراء مرة واحدة .. زيد الخيل .. واوس بن حارثة .. وحاتم الطائي .. جاءوها خطابا ..

ورحبت بهم ماوية .. وفرقتهم في خيام منفصلة .. وزادت في إكرامهم .. وبعثت إليهم بالهدايا .. ثم تنكرت في زى سائلة وذهبت الى خيامهم .. واعطاها زيد الخيل شيئا قليلا .. واعطاها اوس نصف ما معه .. اما حاتم الطائي فاعطاها كل ما عنده ..

وحين طلبت منهم قول الشعر والمفاخرة .. تحدثوا جميعا عن اشياء خيالية ومبالغ فيها .. ولكنها كانت في حاجة لأن تصدق حاتما .. لذلك قالت في النهاية ..

.. اما انت يا زيد فقد وترت العرب وبقاؤك مع الحرة قليل .. اما انت يا اوس فرجل ذو ضرائر والدخول عليهن شديد .. واما انت يا حاتم فمرضي الاخلاق محمود الشيم .. كريم النفس .. وقد زوجتك نفسي ..

وتزوجت ماوية من أكرم العرب كما تصورت .. وسار إلى ديار بني طيء .. ولكن الكرم الحاتمي تحول الى سفه حقيقي .. اكتشفت انه يمكن أن يمنح أي شيء .. أي شئ بلا حساب .. يكفي أن يمر به أي صعلوك من صعاليك العرب ويطرق بابه حتى يهديه آخر قطعة لحم .. وآخر جذوة نار .. [illegible] إبل جده .. وتجارة ابيه وارث إخوانه .. وتخيلت ماوية اللحظة التي سوف يمنحها فيه لأي صعلوك .. وهمس مالك إبن عمه في اذنها ..

ـ ما تصنعين بحاتم .. إنه يتلف كل شيء .. وعندما يموت سوف يفرك ويترك اولاده عيالا على قومه .. لا تملكون إلا السؤال .. وانا خير لك منه .. اكثر مالا واقل سفها .. طلقيه وأتزوجك ..

ولم يرحمها حاتم .. لم يعطها فرصة للمقاومة .. ظل يتصرف بنفس الـ [illegible] .. وفي أحد ايام الجوع ظل الأولاد يرتجفون وماوية تشاغلهم بالحديث حتى ناموا وهو جالس .. [illegible] آخر الليل جاء جوعى غرباء .. وفوجئت به ينهض ويشرع سيفه ويذبح فرسه ويقيم لحمه للجميع .. ولم تطق ماوية [illegible] انها إزاء رجل مجنون قد فقد عقله .. وهكذا قررت الاستجابة لإغراءات مالك ولن [illegible] ..

وبدأت [illegible] .. [illegible] للشرق محوطة الحزن .. وجاء حاتم [illegible] المتحول .. [illegible] .. وجاء الصعاليك تجمعوا امام باب الخباء حتى بلغ عددهم اكثر من خمسين .. وضاقت ماوية بهم ذرعا .. فارسلت جاريتها إلى مالك تقول له ..

ـ إن اضيافنا قد نزلوا بنا فارسل إلينا ما نضيفهم به ..

ولكن مالك صرخ في وجه الجارية ..

ـ إن هذا الذي طلبت منها أن تطلق حاتما من اجله .. لقد اصبحت مثله .. وعادت الجارية خائبة .. وقالت ماوية في يأس ..

ـ إذهبي الى حاتم ..

ولبى حاتم النداء .. ذبح ناقته وجاء يسعى الى اضيافه .. وصرخت ماوية في وجهه ..

ـ أيها الوغد .. هذا الذي طلقتك فيه .. تركت ولدك وسعيت وراء اضيافك اللعنة عليك وعلى اليوم الذي التقيتك فيه ..

وتركته .. ومضت عبر الصحراء .. لقد دفعت ثمن اختيارها .. ورفضت كل الرجال .. كانوا هم تجربة ضعفها الوحيدة .. وجلست في وادي عبقر لم تكن عشيقة حقيقية .. ولكنها لم تستسلم لحظة واحدة لمصيرها ..

الصوت ..

لم اكن أرى إلى اين سأصل وتلك النسوة يحطن بي .. تدفعني بعد أن فقدت سيفي والشعري واشجاري التي استظل بها .. في هذه الصحراء الواسعة .. حملت المرأة الحياة دائما .. وحملت الموت ايضا .. كان فيها رقة الصبا وشواظ الهجير ووخز الصبار .. اجادت الولادة والدفن وممارسة الحب وقول المراثي .. ذهبت إلى أعماق وادي عبقر .. رأيت الزباء على عرشها .. ورأيت زرقاء اليمامة جارية من جواريها فابهجتني تلك ..

كانت الزباء مازالت تعد العدة للانتقام من جذيمة ملك الفرات الذي قتل اباها .. كانت بنتا مزيلة .. بلا زوج .. وجذيمة محاط بكل فرسان الشمال .. وقررت الزباء أن تستخدم هذا الضعف لاستدراجه .. وارسلت إليه رسالتها ..

ـ اقبل الى .. ملك النساء قبح في السماع وضعف في السلطان .. فاقبل الى تزوجني وتول امري .. »

وايقظت الرسالة كل احلام الطمع في وجه جذيمة .. واتفق اهل الرأي على السير اليها .. الى قصير .. هتف بالملك ..

ـ رأي فاتر .. وغدر حاضر .. لا تمكنها من نفسك فانت قد وترتها وقتلت اباها .. وهزأ الجميع من قصير .. فالزباء إمرأة لا تستطيع أن تفعل شيئا حيال ملك عظيم كجذيمة حتى عمرو بن عدي إبن اخته وولي عهده قال له ..

ـ لو ان قوم الزباء رأوك لصاروا معك ..

وهمهم قصير في نفسه .. لا يطاع لقصير أمر ..

وسار جذيمة الى أرض الزباء .. واستقبله الرسل بالهدايا والوعود المغرية .. وإنتفخت أوداج الملك وهو يقول ..

ـ كيف ترى يا قصير .. ؟ ..

قال قصير ..

ـ خطب يسير في خطب كبير .. وسيلقاك الجيش فإن سارت أمامك فالمرأة صادقة .. وإن أخذت جنبيك وأحاطت بك من خلفك فالقوم غادرون بك ..

وسار جذيمة وسرعان ما تبين نصيحة قصير .. لقيته الخيول والكتائب . وأحاطت به من جنبيه ومن خلفه . ولوى قصير عنان جواده وهرب .. وادخل جذيمة إلى الزباء .. طرحه الجنود تحت قدميها .. وحين رفع رأسه مدهوشا اليها قالت في سخرية ..

ـ المواز عرس ترى .. ؟ ..

قال في أسف .. أمر غدر أرى ..

ـ إن دماء الملوك شفاء من الثأر ..

ودعت بالسيف والنطع وبطست من ذهب .. وسقت جذيمة الخمر ليسكر سكرة الموت .. وأمرت بعروق باطن الذراعين فقطعا وتركتهما يقطران في الطست الذهبي وقد قيل لها إن قطر من دمه شيء خارج الطست طلب بدمه .. فلما ضعفت يداه سقطتا . فقطر من دمه شيء في غير الطست وهتفت الزباء ..

ـ لا تضيعوا دم الملك

فقال جذيمة وهو يحتضر ..

ـ دعوا دما ضيعه أهله ..

وبعد أن لفظ آخر أنفاسه .. سارت الزباء الى كاهنتها .. سألتها عن النهاية .. قالت ..

ـ سوف يكون هلاكك بسبب عمرو بن عدي .. ولكن حتفك بيدك ..

واستعدت الزباء ليوم الثأر الآتي .. كانت تريد أن توقف النبوءة وتمنع الغيب .. أقامت الأسوار والحصون وحفرت الأنفاق .. وحولت مملكتها الى قلعة منيعة .. ولم تسمح لنفسها بأي منفذ عثرة .. وبعثت أحد الذين يجيدون الرسم وأمرته أن يرسم لها عمرو بن عدي في جميع الأوضاع .. جالسا .. وراكبا .. ومتسلحا .. وذهب الرسام وعاد معه كل ما طلبته من صور وضعتها في غرفتها وأخذت تتأملها .. هذا هو عدوها الآتي بالثأر .. نحيف كشاعر .. قوي كذئب صحراوي .. وجلست تتأمله .. ومع مرور الليالي سرت بينهما علاقة غريبة .. وشيئا فشيئا إكتشفت أنها تجلس في انتظاره ..

وكان عمرو مذهولا تحت وطأة الصدمة .. وقصير يقف أمامه .. الثأر .. لابد من الثأر .. ولكن كيف بالزباء وهي تمنع من عقاب الجو ... قال قصير

إجدع أنفي .. وإضرب ظهري .. ودعني وإياها ..

وخرج قصير هاربا من عند عمرو .. مجدوع الأنف مضروب الظهر .. وسار الى أرض الزباء وقرك الحرس يقبضون عليه ويقودونه الى عرشها .. ونظرت هي مدهوشة الى حالته الرثة .. وبكى قصير أمامها ..

ـ زعم عمرو أني غدرت بخاله .. وغدرت به حتى قتل .. وها أنا هارب إليك فافعلي بي ما تريدين ..

هذا شاهد آخر على عمرو بن عدي .. أكرمت قصير .. وتركته يتكلم .. حكى لها كل شيء عنه .. كأنها كانت تعرفه منذ مولده .. كأنها تحت تنتظره .. وللحظة تمنت الزباء لو لم يكن بينهما ثأر ودم مباح .. [illegible] قصير أن يكتسب .. وأخذ يلح عليها في أن تسمح له بالعودة الى العراق .. [illegible] من أمواله بما فيها من ذهب ويواقيت وعطور والثياب .. لو أنه تركها لأحضر قافلة لم تر مثلها من قبل .. ورفضت الزباء .. ولكنه بالغ في الحديث عن العطور والثياب .. كل هذا وهو لا يطلب إلا الإذن بالخروج .. ومجرد ثقة .. ولكنها كانت حذرة فقد سمحت له بالخروج .. وظلت تترصد وقت عودته ..

وحين عاد اكتشف حرس الأبواب والأسوار أنها قافلة خيالية .. ولم تحلم الزباء أن تشاهد كل هذا المقدار من الذهب واللآلئ .. ولا أن تلبس مثل هذه الثياب الحريرية .. ولا أن تشم مثل هذه العطور .. أحست أنها امرأة حقيقية .. ولبستها ووقفت أمام صورته .. ولكن نظرته القاسية لم تلن ..

ومرة أخرى طلب منها قصير الإذن بالسفر لإحضار قافلة أخرى .. وهذه المرة لم تعترض .. ولم يغب هو كثيرا .. عاد بقافلة أكبر من الأولى وأكثر طولا وأحمالا .. ونزلت هي الى باب القصر تتأملها .. كانت أقدام الإبل تسوخ في الرمال من ثقل ما تحمل وهتفت الزباء ..

ـ ما للجمال مشيها وئيدا ..

أجندلا يحملن .. أم حديدا ..

وقال قصير في نفسه

ـ بل الرجال قبضا قعودا

وللحظة أدركت الزباء ما حدث بالضبط .. الجمال أمامها .. والسيوف تشق الغرارات .. وقفز الرجل الأول من فوق الجمل الأول .. إنه هو .. أشد قسوة مما رأته في الصور المرسومة .. لو أنه يتمهل قليلا .. لو يمارس معها الحب للحظة واحدة .. لو يعدها أي وعد .. لكن الأحمق لم يكن يفكر إلا في الموت .. وفتحت خاتمها .. ومصت ما فيه من سم .. بيدي لا بيد عمرو .. تماما كما تنبأت العرافة .. وحين غرس سيفه في صدرها لم تحس .. بيدي لا بيد عمرو .. كانت تبتسم .. أخيرا .. جئت يامن انتظرتك طويلا ..

وانتهت رحلتي وأنا عند نقطة البداية .. صعد من الجنوب للشمال .. من الخروج للعشق للموت .. ورأيت الصحراء الحافلة بالرجال أشد حياة بالنساء رغم الشعر والوأد والاغتصاب والاختطاف وكل صنوف الهوان .. كن روح الصحراء الحقيقية وحقيقتها المؤكدة .. ولو أن قبيلة ما لم تفنها الحروب ولم تضيعها ريح السموم .. فذلك لأن امرأة عاشقة منحتها الحياة ...

محمد المنسي قنديل

خميلة

مفيد فوزي

المذكرات الفنية... نعم السير الذاتية.. لا!

● الأرض العربية لم تعرف قسوة الطبيعة.. كما عرفتها بلاد الشرق الأقصى مثلاً.. فالأرض العربية لم تذق طعم الزلازل والبراكين ولا زار تربتها السيول والفيضانات! وربما كان هذا من حظ الإنسان العربي، وإن كان من سوء حظه أيضاً! فلتلك «الاستقرار» وهذا «الاستواء».. وهذا التصالح مع الطبيعة.. جعل الإنسان العربي «متفرجاً» وسلبياً بعض الشيء.. واتكالياً في أحيان كثيرة.. وعلماء الجغرافيا البشرية يربطون بين «التضاريس الجغرافية» و«التضاريس النفسية» للشعوب.. لعلهم يقصدون أن الأرض التي خاصمت كوارث الطبيعة.. [illegible] أهمها النشاط المادي والتوتر الإيجابي والعمل المستمر وتحقيق قيمة التحدي والإصرار [illegible] للخطر الدائم [illegible] الشعب الياباني [illegible] على الطبيعة [illegible] كوارثها [illegible] مقاعد المتفرجين!


طه حسين

● القليل من السير الذاتية العربية: الأيام لطه حسين.. سجن العمر لتوفيق الحكيم.. الشيء مع الشعر لنزار قباني.. ولا أدري لماذا تكثر المذكرات الفنية وتتوارى السير الذاتية.. أغلب الأمر أن المذكرات هي صورة الفنان كما يجب أن يبدو بها أمام الجماهير.. والسير الذاتية تعرية للضعف البشري.. المذكرات فعل سهل يسير.. والسيرة الذاتية فعل صعب لأن فيه من مواجهة النفس.. الكثير!


عمر الشريف

● صداع كل بيت عربي هو «الامتحانات».. وليس صحيحاً أن الأولاد - وحدهم - يدخلون الامتحانات ويجلسون على المقاعد ويجيبون على أسئلة الأوراق الرهيبة.. الصحيح أن الآباء أيضاً يدخلون هذه القاعات المحمومة المخيفة ويتعرضون لكل ما يتعرض له الأولاد.. نحن - تحت السماء العربية - نعلق كل الآمال على نتائج الامتحانات.. ومع أن هناك من نجحوا في الامتحانات بتقدير ممتاز وبلغوا في الحياة العملية ضعيف جداً.. الامتحانات - أيها السادة - ليست مقياساً للذكاء أو للبلادة، يكفي أن يتعرض الطالب يوم الامتحان لحالة نفسية.. ولهذا ينادي كل العقلاء بضرورة إعادة صياغة الامتحان والحث على التحصيل بدون ألم. لكن معظم هذه الأصوات تتوه في الزحام.. وربما يحدث أن تشذ دولة عربية عن القاعدة وتلغي هذا الشبح.. وتحذو حذو بعض الدول المتقدمة التي جعلت أولادها يتذوقون المعارف بلذة دون خوف من «الامتحان» حيث يكرم المرء أو يهان!


توفيق الحكيم

● [illegible] وترى أن هذه المصارعة مع الحيوان - بدائية وتطالب إسبانيا بوقف هذه الحفلات وما يجري داخلها.. لكني أشك تماماً في أن تقطع إسبانيا هذا النداء!

● الحياة سلك..

هناك من يعيش في مدينة «نعم».. وآخرون يعيشون مدينة «لا».. والإقامة في مدينة «نعم» سهلة ومريحة، لا تكلف صاحبها كثيراً.. يكفي أن يومئ برأسه.. مائة مرة في الدقيقة وهو مغمض العينين، لا يرهق صاحبها.. أما الإقامة في مدينة «لا» فهي صعبة، تكلف صاحبها [illegible] وأن سكان مدينة «لا» قليلون في هذه الحياة.. لماذا؟ لأنهم يحملون عقولهم.. يفكرون.. الفلاسفة عموماً من سكان مدينة «لا».. المناضلون عموماً من سكان مدينة «لا».. وهناك البعض الذين يتأرجحون بين المدينتين.. وهؤلاء لا طعم لهم ولا رائحة!

[illegible]

● لا تزال [illegible] ومحاولات التعريب الجادة في الشمال الإفريقي تصطدم بالثقافة الفرنسية - حتى إشعار آخر - !

● وبالمناسبة هناك نوع من التعليم لا أدري سره في معظم تونس والمغرب والجزائر.. فالتصالح بين المثقف العربي والمثقف الذي يحيا في شمال إفريقيا لم يتم بعد.. ثم وأخيراً سمعنا عن «محمود المسعدي» هذا الروائي التونسي العظيم صاحب رواية السد [illegible].. إن التعريف بهؤلاء المبدعين مهمة من مهام المجلات الأدبية.. مهمة من مهام «الدوحة» التي تفتش عن الإبداع في كل وطن عربي.. وربما كانت ثقافة هؤلاء الفرنسية هي التي حجبتهم عن المسرح.. بيد أني قابلت عدداً منهم يجيدون العربية ويشكون من أن كتبهم «شحيحة» الحركة.. ولهذا يقاومون في ديارهم!!

● عمر الشريف.. ذلك النجم العربي العالمي الذي كان.. أصبح [illegible] «هو الخيل والبريدج والنساء».. وبعض الأدوار في أفلام بطولتها الحقيقية لغيره! وهذه عمياء صناعة النجوم في هوليود.. إنها تستنفد النجم حتى النخاع ثم تتخلى عنه وتتركه وحيداً في العراء، والنجم يريد أن يحافظ على مستواه فيقبل أي عمل ليعيش.. ولا مانع أن يقبل نوعاً من التنازل.. والسؤال هو: هل انتهى «دور» عمر الشريف من كواليس السينما الأمريكية أم نفدت بطارياته الفنية؟! حتى استهلكتها الخيل والبريدج والنساء!؟

● عيسى بن راشد، بحريني مثقف اختار في مشوار عطائه «الأغنية البحرانية».. إنه شاعر يحتفي بالكلمة ويعبرون عنه أنه [illegible] «المقامات» أحياناً.. ويوغل في المجتمع البحراني أو الخليجي بمعنى أدق.. وعيسى بن راشد يقول لي إنه يحفظ هذا التراث اللغوي الخليجي من الضياع بالأغنية.. وهو منطق مقبول حقاً.. إن عيسى بن راشد يقيم متحفاً صغيراً منسوجاً من الكلمات والإيقاعات الموسيقية.. يحفظ فيه تراث مجتمعه.



من العتمة الداخلية إلى صوت البراءة في المدن القديمة

خيرية البشلاوي

ظلت السينما الإسكندنافية مرتبطة في أذهاننا بفنان واحد هو المخرج السويدي إنجمار برجمان الذي اكتمل عامه الثمانين والستين في ١٤ يوليه الماضي.

وأعمال برجمان التي تصل إلينا نادرًا وسيطرتها على أذهاننا على نحو غريب حتى صار اسم «برجمان» يلمع وسط المثقفين بخصوصية خاصة. وبتين هذا نحن نقد السينما إحساسنا بالعبقرية والجلال، فنحن نذهب إلى رؤية أعماله بعد طقوس خاصة نمارسها في الإعداد قبل الجلوس في صالة العرض وسط الجماهير. كل هذا يسعى إلى رؤية مسبقة لأعماله في عرض خاص يتيحه لنا المركز القومي للثقافة السينمائية في القاهرة وكل هذا يجعلها في مرتبة لقراءة ما كتب عن برجمان ومن أعماله التي لم نرها، أو تلك التي نتأهب لرؤيتها.

الشكل المتوازن والأعمال المضطربة

في العمل السفلي حين عرض فيلم «وجهًا لوجه» (١٩٧٦) في القاهرة لأكثر الذي رأيت الفيلم أربع مرات، والطريف بأنه إحساس بالاكتئاب غريب، ربما لأن الفيلم استطاع أن يمسنا من الداخل ويهزنا بعنف. ولا أدري لماذا وجدت مشاعري مع جيني إيزاكسون (ليف أولمان)، إنها امرأة في الخامسة والثلاثين، تبدو ناعمة متوازنة وودودة، إنها طبيبة مشهورة في الطب النفسي مظهرها الخارجي يوحي لمن يتكلم بأشكال الحياة العصرية الميسورة، وبمقاييس الاجتماعي المرموق والنجاح الجماهيري والمهني، وهي أم لفتاة في الثالثة عشر (آن) وزوجة لطبيب ناجح يعمل في مجال الطب النفسي أيضًا، ويحتل مكانة في المؤتمرات العلمية الدولية.

والثلاثة: الأم، الأب، الابنة يعيشون كل في مكان بعيد عن الآخر. الأم في استوكهولم والابنة في معسكر ناء لعطلة الصيف، والزوج في أمريكا يحضر مؤتمرا علميا. وما إن يمضي الفيلم حتى يكشف لنا برجمان عن أعماق هذه المرأة التي تنتهي إلى محاولة يائسة إلى الانتحار، ونراه بالتدريج يمزق هذا السطح المتوازن لكي

إنه يحضر في الكثير من الأشياء التي ينغلق عليها عقل الإنسان



الموت مجسداً يرتدى عباءة سوداء



الدكتور ايزاك بورج في رحلة مزدوجة ... في المكان المسافة والزمن الماضي «الفراولة البرية»

«وتعد عالم بيرجمان فكرة الامتزاج العضوي الكامل بين الماضي والحاضر، كما يشهد انتشار الشر في الوجود بصورة فجة، وكذلك التعلق الروحي»

مبارزة الشطرنج بين الإنسان والموت «الختم السابع»

يكشف عن مدى الاضطراب والتمزق والتعاسة التي تسكن داخل هذه المرأة وتحرمها من النوم الهادىء. فهذه الأحلام الكابوسية التي تجسد لنا ملامحها وتشتت التشتت والمعها تكشف للمتفرج الكثير من أسرار جيني الداخلية وتشير الى جذور الشقاء النفسي التي يحرمها من التحقق ويسلبها كل مشاعر الأمان. كما تشير الى ذلك الخراب والتمزق في العلاقات الإنسانية بين جيني الصبية الشقية وبين جدتها المرأة العجوز التي بدت لنا في مظهرها الخارجي حانية وعطوفة على عكس صورتها الحقيقية التي تتجسد في أحلام جيني وتجعلها تصرخ «اكره رائحة العجائز». وهو خراب تكشف انعكاساته في علاقة جيني بزوجها، وفي علاقتها بابنتها الصبية الصغيرة التي تسمعها تقول قبل نهاية الفيلم في لقاء حزين سريع فاجع «إنك لم تحبيني قط»، وهذه هي الحقيقة!!

.. الى خبايا النفس

إننا نطل على مفاتيح برجمان جميعها في هذا الفيلم .. وكل تلك «التيمات» التي جعلت منه فنانا خاصا بسبب التميز: الزمن والساعة التي تهدد دقاتها لو تتوقف عقاربها، اليوم، الذكريات القديمة التي يجعل من الماضي حاضرا حيا ومتصلا، مشاهد الحلم التي تفرزها العقل مكبوتة تشعر الى مواجهة ذاتها، التفاصيل المروعة لمشاهد الامتصاص، الشيخوخة والخوف البشري من فكرة الموت والزوال.. الخ الخ لقد أعطانا برجمان أكثر الصور إثارة للدهشة في تاريخ السينما، والإثرة للذهن، ونقل التعقيدات الكامنة والمتداخلة داخل جمجمة الإنسان.

واعتاد برجمان منذ أن تعرفنا على أعماله أن يعيش في علاقة الإنسان بقلقه ومخاوفه، بالكون، بالشيطان، بالحب، بالموت، وبالعالم الملىء بالوحشة والإثارة والأشياء التي تتجاوز المألوف والعادي، مجسدا هذه الأشياء الذهنية بموهبة خاصة في التكوينات البرقية الغربية والمتحركة، فهو فنان دافئ، إنه فسيس بروستانتي، وهو أيضا ابن الحضارة الغربية ومواطن يعيش في السويد، أكثر مناطق العالم تحضرا، فكان تؤرقه التناقضات الكامنة بالتجربة الإنسانية في مختلفها الأكثر شمولية .. والعالمه تتحجر في شكل شديد الخصوصية والتميز حول هذه

من الصمت الداخلية إلى صوت البراءة في المدن القديمة

التجربة، وشخصياته - الوسيطة - التي تشكل خلالها هذه التجربة شخصيات خاصة ومتفردة وعلاقة هذا القلق الذي استطاع أن يوحد بين أداة تعبيره وبين الموضوع الذي يعبر عنه تحكم عبر الشكل في أفلامه هو المضمون وجميع الأفلام (الشكل والمضمون) كلا لا يتجزأ. ومن هنا أتيح برجمان نفسه كواحد من أعظم الفنانين وأكثرهم خصوصية في تاريخ السينما، ووضع وسيلة الفيلم - كوسيلة تعبير فني - في محور والفن الذي أدى إلى عالم نفسي يشترك فيه المتفرج وكأنه أحد أطراف المباراة في لعبة «الشطرنج» التي تجمع بين «انطونيوس بلوك» (ماكس فان سيدو) فارس العصور الوسطى الذي يعود إلى وطنه السويد ليجده يغرق وسط وباء الطاعون وبين شبح الموت الذي يرتدي عباءة سوداء - في فيلم «الختم السابع» (١٩٥٦)، أو كأنه المشاهد على هذا الطبيب العجوز «إيزاك بورج» (فيكتور سيستروم) الذي يقترب من نهاية حياته ويستعرض تفاصيلها أثناء رحلته لاستلام الجائزة الفخرية التي تتوج عمله كطبيب، بينما تؤكد هذه التفاصيل على خلو هذه الحياة ذاتها من المعنى وعن المواجهة الشخصية التي تحققها هذه الرحلة، لا يرائه مع ذلك كما قبل على عدائيته وعلى ملمس الشيخوخة التي تفاجيء الإنسان وتجعله يكتشف الحياة المعنى الحقيقي الذي تنطوي عليه سنوات عمره التي امتدت إلى أكثر من سبعين عاما في عمر الطبيب في فيلم «الفراولة البرية».

البحث عن السكينة

لقد ظل برجمان في الكثير من الأشياء التي يتعلق عليها عقل الإنسان. ويأتي في أعماله مرارا فكرة الزوال والموت («الدائرة [illegible]» و «الختم السابع») ومشكلة الشيخوخة والحاجة إلى معرفة الذات ومبرر الموازنة («الفراولة البرية») مثلما قام بالتنقيب في أشكال الحياة المعاصرة وانعكاسات مضامين هذه الأشكال على حياة الإنسان الداخلية «الأم، الصمت» و «برسونا» و «العار».

ويطرح كذلك فكرة الامتزاج العضوي الكامل بين الماضي والحاضر ومشكلات الحب والموت (وجها لوجه) ويكشف عن العذابات الناجمة عن التساؤلات حول وجود الله، وانتشار الشر في الوجود بصورة مفجعة، بالإضافة إلى التمزقات التي تنبعث من الرغبة في تدمير الذات والخوف من العقم العاطفي والروحي والخلل العضوي والنفسي والمادي فيلم («العشاء») والقدرة على الالتزام العاطفي والانسحاب كلية إلى داخل الذات خوفا من مواجهة الواقع المرعب والرهيب للحياة الراهنة («ساعة الذئب») والبحث عن السلام والطمأنينة في عالم لا يقدم للإنسان سوى الآلام والصرخات وعتمة العوالم الداخلية التي تتحسس في داخلها روح الإنسان («صرخات وهمسات») ثم «خريف العمر» و «خريف الشيف» وتلك



ليبيس - بطل من الجنة القديمة



الصمت - السفيرة [illegible] (إنجريد تولين) في فيلم [illegible]

المواقف الخفية والتلاحم [illegible] التي [illegible] موقع [illegible] (١٩٨٢) [illegible]

[illegible] وبلغت السينما السويدية داخل هذا المنظور الذي يقدمه [illegible] مستقلا أبدا - الممثل [illegible] - ولهذا فإننا نتحول نقيم الموقف الخاص بعيد ميلاد فنان عظيم مثل برجمان أن نتذكر أنه لم ينشأ من فراغ وإنما عرف العالم الإنتاج السويدي في العشرينات على يد فيكتور جوستروم (١٨٧٩ - ١٩٦٠) وموريتز ستيلر (١٨٨٧ - ١٩٢٨) اللذين عملا في هوليوود أيام السينما الصامتة.

إلا أن الثلاثينات شهدت بدايات أفلام سويدية تعد من أعظم المحاولات في تاريخ السينما، ومن تجربة برجمان التي قررت أن تعترف السينما أخيرا بعد آخر أفلامها سيحلا الخريف عام ١٩٧٨ حتى تكون سيرتها الأخيرة في هذا الفيلم هو التتويج الأسمى لمحلة قلبه متصلة امتدت ما يقرب من نصف قرن.

صحيح أن الإنتاج السويدي في الخمسينات كان قليلا ومحدودا وقاصرا على الاستهلاك المحلي، ورغم ذلك استطاع برجمان أن يكون هو النجم السويدي الوحيد الذي يخترق حدود بلاده ولن يدافع منه بجيل من الممثلين في السويد إلى ساحة المجال الدولي (إنجريد برجمان، هاريت أندرسون، ماكس فان سيدو، وجونار بجورنستراند والممثلة النرويجية ليف أولمان التي كانت زوجته وله منها ابنة) .. لكن ظهر في الستينات مخرجون شبان جدد يحسون الغيرة من الضوء على هذا المجد الذي يمنحهم بالغه ويلقاهم اهتمام الجمهور والنقاد. يبرز ضمن هؤلاء المخرج «بو فيدربرج» الذي نقل فيلمه الأول في السينمائي عن رغبة في كسر التعلم الذهني [illegible] لبرجمان ورفضه لنموذج شخصيته المشغولة بالقضايا الميتافيزيقية وغموضها النفسية والخروج إلى العالم الواقعي ومواجهة المتفرج بمستويات والصراعات الاجتماعية التي [illegible] بها هذا الواقع. وقدم «بو فيدربرج» مجموعة كبيرة من الأفلام، منها الفيلم العاطفي «الفيرا ماديجان» (١٩٦٧) والتاريخي «جو هيل» و «أدالن ٣١» والكوميدي [illegible] وغيرها. وتتنوع في أسلوبه بين النزعة الرومانسية والحس الاجتماعي، ويكشف عن ميله إلى المشكلات البسيطة، والأداء التلقائي والصورة الشاعرية بالجمال والرغبة في الانطلاق والعودة إلى الحياة وسط الأماكن الطبيعية، كما عبر في فيلمه «جو هيل» «الغرباء» عن التراجيدية [illegible] ووراءه قضية العمال وتحالفه معهم.

وفي فيلمه «جو هيل» (١٩٧١) قدم فيدربرج قصة مهاجر سويدي هاجر إلى أمريكا في أوائل هذا القرن، وبعد بضع سنوات يصبح عضوا بارزا في منظمة العمال الصناعيين، ثم يتحول من خلال ارتباطه بحياة العمال وقربه من همومهم ومشكلاتهم إلى متمرد وفنان وتتحول أغنياته إلى [illegible] يرددها العمال في السجون والحقول وجميع أماكن العمل. والفيلم يقوم على حادثة تاريخية مشهورة يستعيدها هذا المخرج لعمل فيلم سياسي يكشف عن مظاهر الزيف التي تحكم مؤسسة القضاء والمكائد المختلفة المزورة التي انتهت بإعدام «جو هيل» بعد أن يتهموه بقتل [illegible].

لكن فيدربرج يتجه نحو العنف والنزعة العدمية في فيلمه «رجل فوق السطح» ١٩٧٦ ويتخلى عن نزعته هذه الرومانسية حين يقدم موضوعا مستهلكا حول [illegible] رجل

قصة العامل الصغير الذي يكتب الشعر ويقبل على الحياة بصدق وبراءة .. ماهي الصدمات التي جعلته مخلوقاً آخر ؟



الفنان الإيطالي مع الفاتنة في « خلطة من الفساد الكامل في فيلم ليتوس »

البولبس وتجاوزه لهذه الاختصاصات . ولعل أبرز مخرج الفنان الذي يقدم أعمالا جيدة بالمناقشة لكنها لا ترتقي في أحسن حالاتها الى أعمال برجمان .

ظهرت في نفس الفترة أعمال لمخرج آخر هو جوهان برجستراهيل (٤٥) سنة الذي أخرج مجموعة الأفلام . ستيح في السويد ، (١٩٦٨) وفيها يهاجم أشكال الاستغلال التي تمارسها المؤسسات الصناعية عندما استغلت [illegible] تسليم الأسرى السوفيت بعد انتهاء الحرب الثانية . ثم فيلم « الإخلاء » ١٩٧٤ الذي يتناول مشكلة المهاجرين الى السويد والحياة المهينة التي يحيونها في مجتمع يرفضهم بينما يستغلهم أسوأ استغلال على المستوى الاقتصادي .

والى جانب هذه الأعمال ظهرت أعمال أخرى لمخرجين السويديين مثل كجيل جريد (الذي أخرج فيلم ، هوجو وجوزفين ، (وهاري مونتر) والمخرج ستيج بيوركمان (العشاء الأبيض) الى جانب الأعمال الأخرى لمخرجين مثل جان ترول ، وجان هالدوف وروي اندرسون ولاسي فورسبرج وثيودور كاليفاتيس الذي عرض له أخيرا فيلم حب (١٩٧٦) ويتناول المشكلات العاطفية مع تحليل الرغبات المكبوتة والاضطرابات الدفينة التي تصيب رجلا في منتصف العمر . ثم المخرج لارسون فيدل « الآنا ماريا » الذي يعرض لمشكلة الوحدة والطفولة الى الواقع القاسي للحياة . هذه الأعمال مع غيرها من الانتاج السويدي لم تحقق حتى الآن النجاح التجاري الملموس . ولا الرواج الفني الذي حققته السويد من خلال برجمان ، ولولا العروض الثقافية والمهرجانات السينمائية لما استطعنا أن نتتبع هذه الأعمال .. فشركات التوزيع العالمية لم تتحمس لهؤلاء الفنانين حتى الآن فما أن أحدا من هؤلاء المخرجين

يستطيع أن يخترق مجاله السحري بعض سوق الشرق ..... والمعروف في الأفلام السينمائية التجارية .

في مواجهة الكساد التجاري

[illegible]

الشيء الذي [illegible] وجدنا في ... ١٩٧٩ عرض المخرج اوسيليس شعر والتجربة في باريس (أحد المراكز الثقافية النشيطة للأعمال الطليعية) مجموعة من التجارب الجديدة للسينما السويدية على الجمهور الفرنسي وقدمها الاستوديو باعتبارها أعمالا تتعلق بقيمة فنية متطورة ثم بعد باريس انتقلت هذه العروض ذاتها الى البرنامج الثقافي في مهرجان برلين السينمائي في ألمانيا الغربية في محاولة للترويج عن الانتاج السينمائي بهذه الدول والتعريف بقضاياها الجديدة . وشاركت السويد في مسابقة المهرجان الرسمية بفيلم « عودة الميلاد » للمخرج ايرلاند جوزيفسون الذي قلد الستاندريو وقام بالدور الرئيسي فيه كما شارك في الانتاج مع المصور سفن نكفيست وهو فيلم يقوم على مشكلة شديدة الخطورة . لكنها تتحول داخل الأسرة المترفة مقعدا الى مشكلة مستعصية تمزق الرباط الأسري بين الابناء الجميع وزوجته .. والمشكلة هي : لقد اشترى الزوج شراء صاحبات المنزل وقد يقربن المشتمل بدلا من شرب البرتقال .. وعندما تعرض الزوجة بيديه الزوج المنزل ليحيا سعيدا بمفرده . وهكذا يتمرد الزوج ويهجر الأسرة بعد حياة زوجية تعتبر معقولة . انه الحادثة الصغيرة تمنح المشاهد مفتاحا لفهم العلاقات الأسرية في مجتمع الأسرة البورجوازية في السويد حيث الحياة عادية

ومستورة أو خالية من أي أثر للمشكلات المادية ولكن تبقى مشكلات الفقر الروحي والفراغ العاطفي قائمة ومتفاقمة بشكل حاد والعلاقات الانسانية واهنة تتمزق وتنتهي الى حدث صغير جدا .. والملاحظ على تنفيذ هذه بالمنظر الذي يشق هذا الفراغ ويهوي على رأس من يصنعونه كأفراد لا على رأس المجتمع ككل والفيلم الذي اختاره ليمثل السويد يمضي في نمطيته والفعل الصغير للعلاقات الأسرية يعالجها المخرج بأسلوب يفتقد الحرارة ويعتمد بصورة كبيرة على الحوار . لكن لعل قيمة الفيلم في عنصر التصوير الذي قام به سفن نكفست الذي يعد من أعظم المصورين في العالم . فهو المصور الذي لازم برجمان . وقدم أجواءه وظلاله وألوانا كانت هي المعادل الوجداني المرئي .. اذا صح التعبير .. للأفكار الذهنية التي يثيرها برجمان .

ومن برلين انتقلت هذه الأعمال الى مدينة « كان » وذلك في رحلة البحث عن أسواق جديدة وجمهور جديد . وهي الرحلة التي تتيح لنا أن نبحث عن بديل لبرجمان . أو عن بدور الاخلاف الذي يواصل الابداع بنفس المستوى المتميز والأصيل الذي أعطاه المخرج من قبل للسويد التي مازال رغم كل مقتضيات السينما السويدية بما تنتجه السينما الاسكندنافية عموما هو الأكثر جمهورا .

ليتوس البريء

ويقفز الينا هذا التجمع الاسكندنافي الأخير في مدينة « كان » فرصة الكشف عن عمل جديد ومتميز هو فيلم « ليتوس » كما أتاحت لنا رؤية آخر أعمال برجمان (« خان » ١٩٧٩) و« ليتوس » (١٩٧٩) هو الفيلم الثالث عشر لمخرجه فاموت يونغ . وربما كان هو الفيلم الأكثر أهمية بين التجارب التي رأيناها . و« ليتوس » يتناول قصة العامل الصغير الذي يعمل في مكتبة ويكتب الشعر . ويقبل على الحياة بحس صادق مع براءة وبساطة حقيقيتين .. لكنه يصطدم بسنوات عمره القليلة (١٦ سنة) وخبرته المحدودة بمجموعة من الصدمات تأتيه جرعة واحدة ذات مساء فتجعله مخلوقا آخر يعيد النظر في كل الأشياء والعلاقات . بل وفي العالم كله . وليتوس العاشق يحب . يحب والده العامل الفقير سائق اللوري .. ويحب الخادمة الصغيرة التي تتردد على المكتبة مع سيدتها الأديبة الثرية التي تشهر بالقلب « السفيرة » والتي تحبه الحب وتشجعه وتأخذ منه أشعارها حتى تقرأها لخادمتها التي تقص المواهب الصغيرة وتشجعها . وتقدم السيدة لوطلة ممتعة في قلب مدينة ستكهولم . تعيش في احدى شققه . وعندما يلازم ليتوس الغداء الذي يحتمه بالمعنى ذات ليلة في ينشرق النظر الى الخادمة الصغيرة ويصل بعض موتها لهذه المرأة البرجوازية السادة ان يشهد جريمة تعذيب وقتل يقوم بها يواب البناية القاتل الذي يتولى مع بعض الرجال تعذيب العامل التعالي ، حتى حتى القتل . ويأخذ ليتوس بعض بقايا هذا القتيل وخصلة شعر . قلادة مليئة بالمرفة .. الخ .. الخ . كادثة تبين القاتل الذي هو بوضع الجثة في اللوري الذي يملكه والده والذي يتضاعف وقوفه أمام هذا المنظر .. ويحاول ليتوس أن

من العتمة الداخلية إلى صوت البراءة في المدن القديمة

والفيلم يعد مثلا جيدا يفصح فيه اداء رائع للممثل الصغير هارال هامرل الذي يقوم بدور ليوس ، والقصة التي نفذها المخرج بلقطات حقيقية تمتلىء بالمعاني ولا تخلو من الرموز والدلالات الاجتماعية القوية بالإضافة الى المضمون السياسي والصراع الذي يدعم تصاعد العناصر الفنية فضلا عن الفهم الروحي والانحطاط الثقافي الذي يتمثل في المرأة الأدبية . انها مرحلة العشرينات لكن ما اكثر التشابه بينها وبين ظروف الحاضر .

لقد التقت براءة ليوس بفعل هذا الفساد الذي تمثل في اشكال عديدة تجسدت جميعا في هذه البناية الكبيرة القديمة التي تطل على الفناء الواسع وسط مدينة ستكهولم (ترمز البناية للسويد نفسها) لقد ضمت في داخلها منزلا

للرذيلة ، وبوليسا فاشيا يعمل لحساب حركة إرهابية القمع الشرد ، وامرأة تخون زوجها مع صديق طفولته ، كما تضم كذلك الخادمة (الزيست التربسون) التي كانت اول من يغوي ليوس ، كما يشهد هذا المبنى نفسه على انحراف والد ليوس العامل الذي يتخذ من زوجة عشيقة له .. كل هذه الأشياء تتجمع داخل مكان واحد يتحول فيه ليوس من صبي بريء الى إنسان نفعي يبيع نفسه للأدبية الثرية ويتخلص من حبه للخادمة ومن البراءة والدم ، ومن التصدي للمجرم الذي يرتكب الجريمة التي يشهدها بعينه .. وفي قلب هذا المبنى ايضا تختلط مشاعر الخادمة الصغيرة الفقيرة التي تشهد انهيار قيم الحب والجمال وتحولها الى المياه قبيحة وزائفة .. تبقى شخصية « الساقية » واسمها يرمز الى مكانة رسمية الأمر الذي يؤكد ، مكانها ، داخل هذا العمل الفني كرمز للدولة نفسها حينما تكتفي بالجمال والشعر والنبل وتنسى الصغار بينما يحتوي مضمونها الحقيقي على فساد كامل تشهد عليه علاقاتها مع ليوس .

برجمان مرة اخرى

ربما كانت هناك حلول للسينما بديلة ، وربما استطاع الإنتاج السويدي ان يفاجئنا من آن لآخر بعمل جيد ومتميز مثل ليوس ، لكن يظل برجمان هو الأكثر تألقا .. وفاعل آخر أعماله « فارو ١٩٧٩ » الذي يختلف عن كل أعماله السابقة ، ومع ذلك يحقق نجاحا فنيا لدى المتفرجين لا يختلف عن نجاح أعماله الكبيرة .. انه عمل تسجيلي عن الجزيرة التي أحبها واشترى قطعة من أرضها وبنى فوقها بيتا شهد ميلاد الكثير من سيناريوهات أفلامه كما شهدت الجزيرة نفسها احداث بعض هذه الأفلام (بيرسونا ، العار) بعد ان اختارها برجمان لأول مرة مكانا لتصوير فيلمه « عبر زجاج داكن » عام ١٩٦١ ، كما كانت



عشار ... لتحليل جزيرته والعودة من خلالها إلى أشياء الحياة البسيطة بعيدا عن تعقيدات العالم الحديث!

في المكان الذي شهد عزلته في الأيام الصعبة .

وفي عام ١٩٦٩ أخرج برجمان فيلما عن جزيرة فارو التي تطل على بحر البلطيق وتبعد عن العاصمة ثلاث ساعات بعنوان « فارو الوثيقة » الذي انهاه بنظرة متشائمة حول مستقبل الجزيرة . لكنه عاد بعد عشر سنوات لكي يقدم جزيرته المفضلة بعد عمل استمر ثلاث سنوات ، وفي هذا الفيلم يكشف برجمان بوضوح عن وجه هو الشخصي وانجذابه الذاتي نحو هذه الجزيرة وارتباطه بالأقلية التي ظلت تسكنها ويتبع من خلال حوار طويل معهم يقطعه بعد جولة وسط ملامح الجزيرة الطبيعية ومشاهدها الرائعة لكي يعود ويسائلهم عن جسد ، مستعرضا حياتهم ونوعية هذه الحياة مع كثير من التفاصيل الإنسانية البسيطة مصورا مظاهر الأمل والألم في هذه الحياة التي تبدو محرومة تماما من الرعاية والدعم الرسمي للحكومة السويدية .

والفيلم عبارة عن ريبورتاج سينمائي يقوم به برجمان شخصيا وهو موضوع بسيط يخلو من أية محاولة للفلسفة او التأملات الذهنية التي اعتدناها من برجمان ومع ذلك فقد اجتهد برجمان أن يضعه في احسن إطار ممكن .

فقد استقبلت الصحافة السويدية هذا الفيلم بحماس شديد واعتبرته وسيلة من جانب المخرج لتحليل جزيرته والعودة من خلالها الى الطبيعة والى أشياء الحياة البسيطة بعيدا عن تعقيدات العالم الحديث .

ومرة أخرى يحاول برجمان بعمله هذا البسيط الذي رأيناه في مدينة كان ، مكان الصدارة في الصحافة الفنية ويتأكد لنا ثانية ان برجمان وهو يقدم عامه الثاني والستين ما يزال هو الأكثر خلودا وسط كل ما المعاصرين شدة من السماء والتربة اليه من أعماق .

وربما هذا خلود برجمان الى تفتحت وتميز تجربته الفنية والفكرية ، ومنطقه الروحية والعقلية الخاصة ، هذه المنطقة التي دخلها وسط مجموعة من أكبر فناني وأسماء الثقافة الغربية في هذا العصر ، لكنه تفرد من بينهم باستخدام لغة في القرن العشرين — لغة السينما — وهذا التميز والتفرد هو العنصر الذي يزال مفهوما حتى في أكثر تجارب السينما الغربية نضجا .

خيرية البشلاوي

من تجارب الشخصية

حكمتك يارب







الميدان مزدحم بالسيارات المتنوعة الأنماط .. حرارة الظهيرة تداعبني في قسوة .. زفير العربات الأسود يلتهم ذرات الأوكسجين من الهواء .. تعتبر الاختناق يلتف حول رقبتي .. يعتصرها .. يصيبني الدوار .. أتقافز كبهلوان مبتدىء محاولا اجتياز الميدان .. حافلات كأمواج البحر تتلاطم في سرعة جافة معها الموت .. اتجه الى موقف سيارات الأجرة .. أتحسس بيدي البرقية التي وصلتني في الصباح :

ـ عمك مات .. أردد بتلقائية المؤمن إنا لله وإنا إليه راجعون .

سيارة أجرة تتأهب للرحيل .. ينقصها راكب واحد .. هرولت نحوها في آلية لأظفر بالمقعد الخلفي .. السائق ينظر إلي وابتسامة صفراء تلطخ شفتيه .. مسح بعينيه حمولة سيارته .. لعق شفتيه بلسانه .. اطمأن .. أوقف محرك السيارة وتعلل بأنه سيحتسي كوبا من الشاي في المقهى المقابل .. القلق يبعثر أفكاري .. الرحيل تأخر .. أود الوصول في أسرع وقت الى بلدتي بالريف لأشترك في تشييع الجنازة .. السائق لا يلقي بالا لاستجاباتنا الغاضبة .. دوامات الضحك تغرق السائق وزميله .. ينظر إلينا شزرا .. أحسست بالضيق .. لم أستطع أن أمنع يدي من العبث بآلة التنبيه .. صفير مزعج .. أضغط في قوة واستمرارية تعبران عن مدى ثورة الغيظ في صدري .. قام السائق منزعجا من مقعده .. وهرول الى السيارة .. يحدق في بعينين مفعمتين بالشر .. تتطاير من فمه الشتائم .. تهوى القنابل [illegible] الأصوات التي .. صوت المحرك .. ثم انطلقنا .. [illegible] بالخروج من السيارة .. [illegible] على التمسك بمقعدي .. [illegible] أنه لن يتحرك بسيارته طالما ظل راكبا معه .. [illegible] لن أدع مقعدي .. هاج وماج .. تجمع بعض السائقين .. اقترح أحدهم أن أركب معه في سيارته هو .. ومنعا لما قد يحدث .. رضيت بحكم هذا الرجل .. ونظرت في ازدراء للسائق الرعديد .. انتظرت ربع ساعة بعد رحيل السائق .. كانت سيارتنا قد اكتمل عدد ركابها .. مضى سائقنا الطيب في رحلته متوكلا على الله .. الهواء يلفح وجهي .. آيات من القرآن الكريم تأتي إلينا كنسمة روحية من جهاز تسجيل السيارة .. أنصت في لذة إلى كلام الله سبحانه وتعالى .. تبددت آثار الغضب والضيق من حنايا صدري .. نظرت في ساعة يدي .. مضى أكثر من نصف ساعة على قيام السيارة من الميدان .. الأشجار تتوارى على الطريق مع اندفاع السيارة .. إزدحام يقطع الطريق .. السيارات تصطف منتظرة انتهاء هذا الزحام .. تسلل الضيق الى صدري .. الوقت يمر .. أخاف عيون أبي وأولاد عمتي .. وهم ينظرون إلي في عتاب ولوم .

سأل سائقنا أحد الواقفين عن سبب الزحام .. أخبرنا الرجل أن سيارة أجرة انقلبت ومات كل من فيها .. نزلنا مهرولين ناحية السيارة .. شيء يشدنا .. شلنا القلق .. الفضول .. اخترقنا في صعوبة حاجز المتجمعين .. اقتربنا أكثر .. عيناي تحملقان في بقايا وجه أحد الموتى .. إنه سائق السيارة الأجرة التي كنت سأركب فيها .. أخذتني رعدة .. الدوار يلف برأسي .. لم أعد أستطيع الرؤية .. أكاد أفقد توازني .. أستند إلى ذراع السائق .. الأفكار تلفني في سرعة .. أبحث عن تفسير .. عن إجابة .. شعرت بتيار هوائي يسري في عروقي .. رفعت يدي إلى الله شاكرا فضله .. فهو المحيي والمميت وصمت والدموع تهطل من عيني ..

ـ إن لله وإنا إليه راجعون ...

عبد الله السقا
القاهرة

كلمات للتأمل

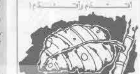
● [illegible] العلم [illegible] في الحكمة
● من لم يصبر على طلب العلم في أول [illegible] صبر على الذل حتى مماته .
● من لم يتحمل مشاق العمل لم يحصل إلا الفقر .
● أعداؤك حريصون [illegible] لإخفاء [illegible] ومعاناتك .
● الإنسانية المتكاملة [illegible]
● النخلة الباسقة [illegible] بالأحجار [illegible] بالثمار .

أيهما أحق بالتبجيل؟

الأب وابنه .. إنني أشعر بالخجل كلما كنت في بروكسل .. تذكر أن جورج والمتطن على مسامع أبراهي ناجح حينما كان في سنك ! الابن : وأنا أشعر بنفس الشعور بوالدي كلما تذكرت أن جورج واشنطن كان رئيسا للولايات المتحدة في مثل سنك !

محمد خير الجنادي
سوريا

الأقدم والأقدم !



عثر العلماء في الولايات المتحدة على أقدم أوراق الشجرة حافظت على لونها الأخضر زهاء ٢٠ مليون سنة ، وقد اكتشف العلماء بأن هذه الأشجار كانت فريسة لانفجار بركاني ، وأن أوراقها احتفظت تحت رماد البركان فاحتفظت خلاياها بالمكونات الكيميائية داخل الأوراق كل هذه الملايين من السنين !.

أما أقدم معاهدة دولية مكتوبة عرفها العالم ، فهي المعاهدة التي أبرمت بين هاتوسيليس الثالث ملك الحيثيين في سوريا ، وبين رمسيس الثاني فرعون مصر سنة ١٢٧٨ ق.م ، وجدت النسخة المصرية في تل العمارنة سنة ١٨٨٦ ، والنسخة الحيثية وجدت في الأناضول ١٩٠٦ وقد جاء في نصها : أن الملك الحيثي أرسل رسلا إلى رمسيس الثاني لطلب الصلح ، وشهود المعاهدة ليسوا كما يظن أحدنا القراء ، إنما هي الآلهة من معبودات الدولتين .

مصدق حسن
المغرب

كلمات لها معنى

الطبيعة كلها تتلخص في فعل ، أكل ، مرة في صيغة المبني للمعلوم ، ومرة في صيغة المبني للمجهول .

« وليام إنج »

لابد وأن في الفقر مزايا ، وإلا لما كان أولئك الفقراء !

« هـ. هاينه »

سوف تجد مكانا على القمة المزدحمة ، لو بحثت جيدا

« فربوت »

كثيرا ما تغير المصافحة بين اثنين ، لأن كلا منهما يشعر بأنه يمتاز على الآخر في أمره !

« بلزاك »

الحقيقة حقيقة ، ولو أنكرها خمسون مليون من الناس

« أناتول فرانس »

ما أكثر الذين يتكلمون عن العقيدة ، ويجادلون ويقاتلون عنها ، وقد يموتون في سبيلها دون أن يعيشوها .

« كونفشيوس »

نعمان شتيبي
الجزائر

[illegible]

يقول الكاتب الكبير عباس العقاد يوما :

« لعدي المنزل بيتا ، وقد أسلمته الشيخوخة بعد أن عشت بين جدرانه أكثر من أربعين عاما ؟ .

فأجاب العقاد : عشت في هذا البيت خير كتبي وأحببتها إلى القدر ، وعشت في تلك الكتب عيشة حية قبل أن أنقلها إلى عالم الأوراق .. هذا البيت صعدت سلالمه ثلاثا ثلاثا ، ثم صعدتها اثنتين اثنتين ثم أصعده الآن درجة درجة على غير عجلة أو اكتراث .

وتزلت في هذا البيت والشعيرات البيض تتوارى في السود ، وعشت فيه والشعيرات السود يتوارين في البياض واستقبلت فيه آمالا ، وأحييت فيه ذكريات ، ومن غار على أهله وذكرياته ، لابد وأن يغار على مواطنها أن تستباح بلده لكل من يشاء .

أحمد الحسيني
القاهرة

ولم لا؟

كان تشرشل يفاخر دوما بقوته الجسدية ، ويقول إنه والموت عدوان ، وحدث أن وقف أحد المصورين يوما يلتقط صورة لتشرشل أثناء احتفاله بعيد ميلاده التسعين ، وما كاد ينتهي من مهمته حتى اقترب منه وقال :

« أمنيتي ياسيدي أن ألتقط صورتك وأنت تحتفل بعيد ميلادك المئوي » ، فأجابه تشرشل وهو يقهقه ضاحكا وسيجاره الكبير الذي لم يفارق فمه أبدا يترالص بين شفتيه :

« لا أجد سببا دون تحقيق أمنيتك يابني ، فأنت مازلت شابا صغيرا ، وتتمتع بصحة طيبة » .

الشوكي عبد اللطيف
الدار البيضاء

فضـــل من الله

جلس رجلان بالقرب من بيت أم جعفر زوجة العباسية ، وكانت معروفة بالكرم ، فكان أحدهما يقول : اللهم ارزقني من فضلك ، والآخر يقول : اللهم ارزقني من فضل أم جعفر .

وفي كل يوم كانت ترسل لطالب فضل الله درهمين ، ولطالب فضلها دجاجة مشوية في جوفها عشرة دنانير . فكان صاحب الدجاجة يبيعها لصاحبه بدرهمين وهو لا يعلم ما في جوفها ـ واستمروا على ذلك عشرة أيام ، سألت أم جعفر صاحب طلب فضلها : ما أغناك فضلنا ؟ .

قال وما هو ؟

قلت : مائة دينار في عشرة أيام .

قال : بل دجاجة ، أبيعها لصاحبي بدرهمين .

فقالت : هذا طلب من فضلنا فحرمه الله ، وهذا طلب من فضل الله فأعطاه الله .

صفاء عباس
الأردن

لبـــاقـــة

زار أحد الخلفاء العباسيين وزيره في داره ، وكان للوزير ولد محبب لنفس الخليفة ، فأجلسه بجانبه وسأله : أيهما أحسن .. دار الخليفة أم [illegible] الخليفة [illegible] ، فقال [illegible] بل دار الخليفة [illegible] أبي .

[illegible] امتحنه وسأله : هل رأيت خيراً من هذا الخاتم ؟ فقال الصبي : نعم ، اليد التي هو فيها خير منه ! .. فدهش الخليفة من الفتى وجرأته [illegible] .

[illegible] فقال الصبي : إن الخليفة أولى مني ، فهو صاحب الحق في الخلافة .

فسر منه الخليفة وكافأه مكافأة كبيرة على حسن جوابه !

سامر محمد سالم
مصر

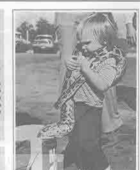
ذكـــاء أم دهـــاء ؟

جلس أحد أساتذة الجامعة بجوار مزارع بسيط في نفس القطار ، واتفقا على أن يوجه أحدهما للآخر لغزاً لتمضية الوقت ، فاقترح الأستاذ أن يدفع الذي يعجز عن حل اللغز ديناراً لرفيقه ، ولكن المزارع احتج على ذلك ، على اعتبار أن الأستاذ الجامعي أكثر منه علماً ، فاتفقا على أن يدفع الأستاذ ديناراً والمزارع نصف دينار عند عجز أيهما عن حل لغز الآخر .

وسأل المزارع الأستاذ هذا السؤال :

ـ ما هو الشيء الذي يكون له ثلاثة أرجل حينما يمشي ، ورجلان حينما يطير ؟ فعجز الأستاذ عن الإجابة ودفع ديناراً ، ثم التفت إلى المزارع وقال له : وما هو الجواب ؟ ، فرد المزارع قائلاً : إنني أيضاً لا أعرف ! .. وهاك نصف دينار !!

أحمد توفيق
حلب





[illegible]



أراد الحجاج أن يستحم يوماً ، فأوغل في النهر وأشرف على الغرق ، ورآه رجل من بني ثقيف عرف بشدة كراهيته للحجاج فسارع بإنقاذه ، ولما تبين الحجاج شخصية منقذه ، وكان على علم بما يكن له من الكراهية قال :

ـ أتعرف من أنقذت ؟

ـ نعم أنت الحجاج !

قال الحجاج : ولكنهم زعموا أنك تبغضني .

قال : ذاك والله .

فسأله : إذن لماذا لم تدعني أغرق ؟

أجابه الرجل : ما أنقذتك رغبة في إنقاذك ولكني خشيت أن تموت شهيداً فتدخل الجنة !

هاني ألفي حكيم
الأقصر/مصر

حل مسابقة من . أين . ما

عدد ٥٤

من : حسن ابو سعدة
أين : ميسلون
ما : الفرات

الجواب الصحيح

١ ـ الرؤية : النظر بالعين ، اما الرؤيا ما نراه في المنام .
٢ ـ الاثنين
٣ ـ أبو رغال
٤ ـ ٦٥
٥ ـ كبريتات الكلسيوم
٦ ـ المأمون
٧ ـ عمرين ابي ربيعة
٨ ـ المتنبي وتتمة البيت :
فان المسك بعض دم الغزال
٩ ـ ١٨٠ درجة
١٠ الطيب صالح

من . أين . ما

من :
كنيته ابو الانبياء عليهم جميعا السلام ، يحترمه كل اهل الاديان السماوية اسمه من سبعة احرف :
٤ـ٥ـ٣ـ١ـ٧ قبور في مصر
٣ـ٦ـ٢ شاه

أين :
جزر يلاقي المسلمون فيها اليوم بلاء عظيما ويجاهدون في سبيل البقاء وحدهم ونحن لاهون غافلون ، اسمها من تسعة احرف :
١ـ٥ـ٣ـ٦ـ٢ الحيوان الذي حاول به ابرهة الاشرم هدم الكعبة المشرفة سنة ٥٧١ .
٨ـ٧ـ٩ـ٤ لا يهدم

ما :
سائل تصنع منه مادة مفرقعة مقلقة ، استطاع نوبل ان يحولها الى مادة صلبة سهلة النقل فاصبح ملبونيرا ، وتكفيرا لشعوره بالذنب لاختراعه هذا المهلك اوصى بجوائزه المشهورة .
اسم السائل من سبعة احرف :
٧ـ٥ـ١ـ٤ زهرة تسمى باسمها النساء
٣ـ٢ـ٦ يأتي من بعد .

عدد ٥٤

الجواب الصحيح

١ ـ ثلاث من الصحف والمجلات الآتية تصدر في قطر :
الريان ـ الراية ـ العهدة ـ القبس ـ العربية ـ الصقر .
٢ ـ امن تذكر جيران بذي سلم .. اكمل البيت وانسبه الى قائله وماعنوان قصيدته ؟
٣ ـ احتل الانجليز مصر في سنة :
١٨٠٧ ـ ١٨٧٢ ـ ١٨٨٢
في عهد حاكمها الذي كان اسمه :
سعيد باشا ـ الخديو اسماعيل ـ الخديو توفيق .
٤ ـ الذي اشتهر في التاريخ الاسلامي باسم خامس الخلفاء الراشدين هو :
هرون الرشيد ـ عمر بن عبد العزيز ـ معاوية الثاني بن يزيد
٥ ـ « الاسم الكيماوي لملح الطعام هو كلورات الصوديوم »
هل هذه العبارة صحيحة علميا ؟
٦ ـ تقع البحيرة المسماه باسم «بركة قارون» من الوطن العربي في :
فلسطين ـ مصر ـ مسقط ـ نواكشوط
٧ ـ الذرة من مجموعة النباتات :
النجيلية ـ النخيلية ـ القلقاسية
٨ ـ «ضياع المال هين ، وضياع الأمل صعب ، ولكن ضياع الشرف هو الضياع الكامل» .
قائل هذه العبارة هو الشاعر :
المتنبي ـ شكسبير ـ ميلتون
٩ ـ في سنة ١٩٨٠ هذه يكون قد مضى الف عام على مولد الحكيم المسلم العبقري :
البيروني ـ ابن سينا ـ ابن الافلح
١٠ ـ «ياأولاد الأفاعي بيتي بيت الصلاة كان يدعى وقد جعلتموه مغارة لصوص» .
هذا قيل في حق اليهود على لسان :
سيدنا المسيح عليه السلام ـ ذي النون المصري ـ الحسن البصري ـ سيدنا سليمان عليه السلام .

نتيجة مسابقة يونيو ١٩٨٠

● القارىء : ... ...
فاز بالجائزة الاولى ومقدارها ٣٠٠ ريال قطري واشتراك لمدة نصف سنة :

● القارىء : فادي محمد سعيد / سوريا
فاز بالجائزة الثانية ومقدارها ٢٠٠ ريال قطري والاشتراك لمدة نصف سنة :

● القارىء : عادل محمد الشقر / القاهرة
فاز بالجائزة الثالثة ومقدارها ١٠٠ ريال قطري والاشتراك لمدة نصف سنة :

● القارىء جميل خلف مطر / العراق

● الفائزون باشتراك لمدة سنة
١ ـ سعد شبشوب / تونس
٢ ـ سامي محمد اسامة / سوريا
٣ ـ نعمات علي جاد الله / السودان
٤ ـ رشدي السيد احمد / مصر
٥ ـ عبد الله رمضان / العراق
٦ ـ منذر فخري عبد السلام / الأردن
٧ ـ كمال بدر الدين الرافعي / لبنان
٨ ـ سهير خميس / قطر
٩ ـ عبد الله اسماعيل / السودان
١٠ ـ انشراح يوسف عضل / الأردن
١١ ـ فدوى محمد زهرة / قطر
١٢ ـ منى سمير عواد / مصر





حاول أن تعرف

١ ـ إحدى الواجهات الاثرية القديمة باعمدتها المتميزة .. مازالت شامخة بين الجبال الخضراء في شمال إحدى الأقطار العربية الشقيقة ..
هل يمكنك التعرف على هذا القطر ؟

٢ ـ لوحة زيتية رسمها احد الفنانين الايطاليين لزوجته وملهمته .. انفردت اعماله بطابع خاص تميزت عن اعمال الآخرين .. ومات مريضا دون ان يكمل مشواره الفنى .
هل يمكنك التعرف على الفنان ؟



ضع التعليق المناسب واربح ١٠٠ ريال

حل مسابقة حاول أن تعرف عدد ٥٤





الصورة الأولى :
● من هو الفنان ؟
هو الفنان رامبرانت
اسماء الفائزين :
١ ـ كريم فكرى / المغرب
٢ ـ عبد الرازق بو عامر / اليمن

التعليق على الصورة الثانية :
ـ اخشى ان تمتد موجة غلاء الاسعار الى « الايس كريم » .
معالى حمودة / الاسكندرية
ـ دعوني وشأني !
على ابو ستيتة / السودان

حل مسابقة كاريكاتير وتعليق عدد ٥٤



ـ الزوج : لن نصل الى البيت سالمين ؛ إذا ضغط على الفرامل كلما رايت فارا
عبد الرحيم الصديقى / الدوحة

ـ الزوجة : اسفة ياعزيزى .. لقد ظهر عامود النور فجأة امامى ..؟
محمد عبد الباقى / القاهرة

ـ الزوجة : والآن هل تشترى عقد اللؤلؤ .. لو اريتك مهارتى فى قيادة السيارة ؟
معن الدباغ / العراق

ـ الزوجة : لاتكن جبانا ياعزيزى هيا مع نظرك بافخم اتوبيس سوف اقتحمه فى حياتى ! ماجدة على / مصر

أحمد العناني

المجد كله رمضان

القرآن وبدر ومكة !

ثلاث هدايا سماوية لأهل الأرض مناسباتها بين يوم بدر الكبرى في السابع عشر من رمضان الى يوم الفتح والنصر العزيز بمكة في العشرين من رمضان الى نزول القرآن فرقانا بين الحق والباطل في الأرض ، على ترجيح في ليلة السابع والعشرين من رمضان !

ثلاثة أحداث عظمى اوجدت اعظم رابطة عرفتها الانسانية واضخم وحدة ثقافية في التاريخ ، وجاءت بكلمة السماء الأخيرة الى اهل الأرض في كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ...

فأما بدر فللتفكر في بعض معجزاتها ...

قوة المسلمين الى قوة المشركين هي بنسبة واحد من المؤمنين الى ثلاثة من المشركين .. وفرس واحدة للمسلمين مقابل كل خمس وثلاثين ، وجمل واحد مقابل كل عشرة جمال للمكيين .. اما سلاح المسلمين وتجهيزهم وتموينهم فلا يكاد ترقى الى متوسط تلك النسب إذا قيست بما كان لقريش من تجهيزاتها ...

ومع ذلك كله كانت النتيجة سبعين قتيلا من قريش وثلاثة وسبعين اسيرا في مقابل اربعة عشر شهيدا من المسلمين .

ولم يمض بعد بدر إلا عشر سنوات عددا تم خلالها توحيد واعادة توحيد شبه الجزيرة العربية كلها تحت راية الاسلام ، ودخول المسلمين عاصمة الفرس في المدائن وسلخهم عن الامبراطورية البيزنطية اعظم ولاياتها واكثرهن خيرات واحسنهن من سائر الوجوه .. ومن يقرأ تفصيلات بدر ويتفكر فيها جيدا يجد اسباب النصر ماثلة ، في تطبيق روح الشورى في النظام النبوي الاسلامي ، وفي وضوح حاسم للرؤية ، وتنظيم جماعي قائم على العدل والتراحم والطاعة .

وروح الشورى يعكسه حرص الرسول عليه السلام في ان يترك للانصار حرية القرار هل يدخلون المعركة قبل نشوبها ام لا يدخلونها ، ان كان تحالفهم مع الرسول في بيعة العقبة تحالفا دفاعيا يفرض عليهم مجرد حماية الرسول والمهاجرين داخل المدينة ، ولا يقتضيهم غزوة مع الرسول خارج المدينة ، كذلك طرح موضوع المعركة ، مكانها وخطتها على المسلمين فكان الرأي الأمثل لواحد من عرض الجماعة ، وكان رأيه وجيها صائبا فأخذ به . اما وضوح الرؤية فناتج عن ايمان راسخ بالله ورسوله وحماسة المظلومين المقهورين ، الذين اخرجوا من ديارهم في مكة بغير ذنب إلا ان يقولوا ربنا الله .. اما النظام الجماعي فكان نظاما متقنا وصارما وقائما على العدل والمحبة ، صف القتال رتب ترتيبا متراصا لم يشذ عنه إلا واحد من المسلمين عنف به الرسول واعاده الى مكانه ، فكان كلما سقط شهيد سارع اخواه عن جانبيه الى رص الصف وملء الفراغ الناشيء عن سقوطه فلا يجد المشركون امامهم ثغرة ينفذون منها حتى نهاية المعركة ..

اما فتح مكة في العشرين من رمضان فكان اول فتح في التاريخ يقبل فيه المنتصرون من المغلوبين مجرد التسليم باحتمائه في الحرم او دار ابي سفيان ، وبعد ذلك لا شيء ، لا سبي ولا نهب ولا قتل ولا تروج ولا ترويع امن بل عفو شامل وسماحة نبي ما عرفت الأرض أبر منه ولا ارحم ..

وهو فتح استخدمت فيه القوة للردع فحجب الدم ، وانتصر مبدأ الحق ... لم تر فيه شماتة ولا بذاءة ، ولا كان إلا لله ذلك النصر .. لم يسحب القائد على ظهر راحلته يبلل دمع الشكر لله عارضيه الكريمين ، ثم يتوجه محمد صلى الله عليه وسلم اولا وقبل كل شيء لتحطيم الاصنام في الكعبة ، وتحقيق التوحيد في نقية شموليته ، ما بدأ محمد بزيارة الحي ولا الدار رغم طول الشوق ، ولواعج اللهفة الى ارض الوطن ..

واما القرآن المنزل في رمضان فكان كتابا في التاريخ لم يعش في الغموض والتشكك ولم يؤثر في كل تفاصيل الحياة كما فعل كتاب الله الخالد بكامل حرفه ونصه ..

ومازال القرآن قوت القلوب العابد ، واساس التشريع والنظام لملايين عديدة ، ومازال يجمع الأبيض والأسود في اعظم وحدة ثقافية ذات مضامين انسانية في العالم كله ...

ومازال هذا الكتاب الالهي ينبوع البلاغة ، وحافز العلم والبحث ، ومنظم كيان الأسر ، ومقر انصاب الورثة ، وكهف الأمان لكل عائذ الى الله من رحلة ضياع ، ومراب لكل غادر .

لقد كان رمضان لهذه الأمة حتى في اشد عهودها تخلفا وشتاتا علامة فارقة على وحدة العقيدة وتماثل الشعائر والمشاعر وهو في عصر النهضة الراهنة دليل العقل الإسلامي الجديد نحو اعادة البناء الحضاري لهذه الأمة على مدى ونور وبصيرة .

المجد حقا كله رمضان ، فبينما الانسانية تقاسي الآم الشباع من حضارة الصناعة المادية ، ومن حصادها المر من الحروب الطاحنة والتمييز العنصري الذميم ، وتحجر القلوب وانهيار القيم ، يطل رمضان شامخا ، سدا منيعا يحول دون انتحار الانسانية وغرقها ، بكل ما يحمله من كرامة العدالة وفيوض الرحمة ، وتكريم الانسان بتقوى القلوب ، وتوجيهها الى اعزاز كلمة الله الذي له المثل الأعلى والأسماء الحسنى .

أحمد العناني